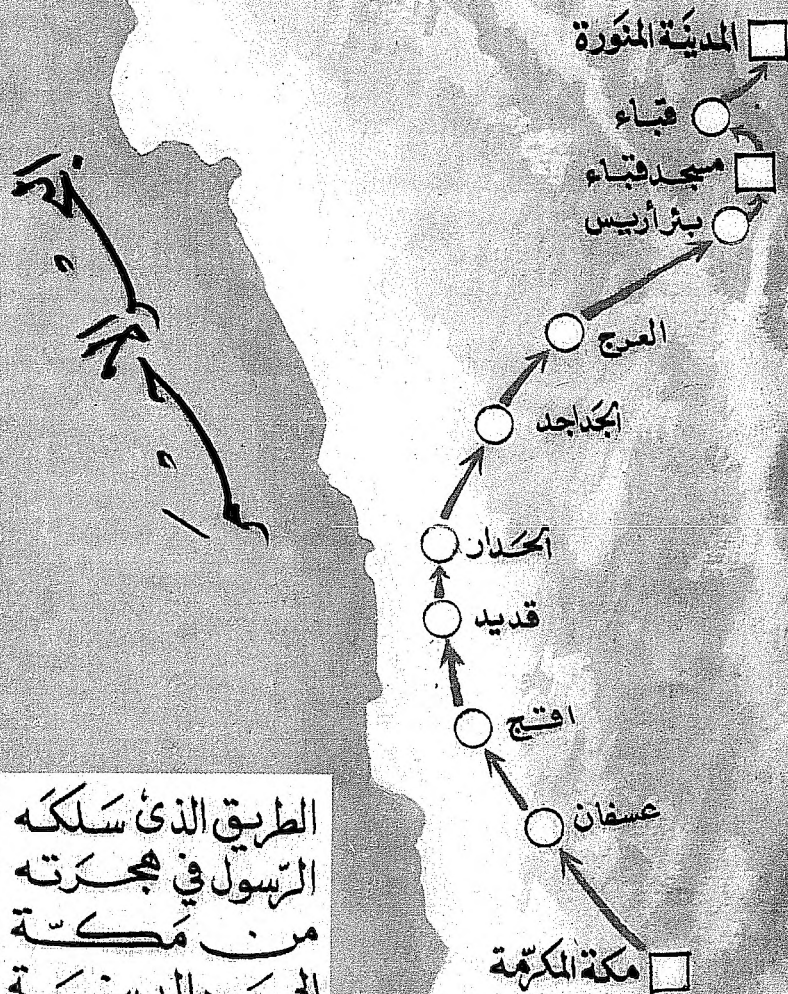


التقويم الهجري لعام ١٣٩٤ هـ
عدد ممتاز
هـب

الرحيل إلى الشام

الشمس تشرق في شمسها

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ يناير ١٩٧٤ م - السنة التاسعة - العدد ١٠٩ -



الطريق الذي سلكه
الرسول في هجرته
من مكة
إلى المدينة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهجرة بين ماضينا وحاضرنا

الدكتور محمد بيهار

فى مستهل هلال شهر المحرم من كل عام هجرى ، يستعيد المسلمون ذكريات
امجادهم ، ويستحضرون معالم تاريخهم ، ويستذكرون ما اسهمت به الامة
الاسلامية فى هذا التاريخ الطويل ، فى بناء الحضارة الانسانية ، وما شاركت
به فى ركب التقدم العمرانى ، ثم ما بذلته هذه الامة من افئدة ابنائها وقلوب
عمارها ، وجهود افرادها وجماعاتها من اجل اسعاد الجنس البشرى بصفة عامة ،
وتقرير المصير العربى ، بل وتقييمه بصفة خاصة .
وكان مقترنا بذلك كله ، بل واصلا لذلك كله ما افاضت من المعانى الجميلة ،
والقيم الرفيعة ، والنفوس الصافية ، المطمئنة على مجتمعتها وعلى الناس كافة ،
من فضائل ومثل ، ومن خلفيات عظيمة استقتها من تعاليم دينها الحنيف واستمدتها
من نبع حضارتها المتدفق بالاصالة والازدهار ثم دفعت بها دفعا الى الحياة
للناس تصبغها بكل خير ، وتحملها على حب الحق ، وتحضها على أداء الواجب
والسمو بالنفس والضمير الى الاقتراب — ما أمكن — الى الجود المستطاع
والتأسى بنور الرسالة الوهاج وصبح الاسلام الابليج ، ومشرق الحقيقة
الخالدة فى النفوس الزاكية الصاعدة .

هذا ما اعتاده المسلم عندها يشهد هلال شهر المحرم من كل عام هجرى وكأنه يحاول حينذاك وبإيجابية خالصة مخلصه ، وعزيمة صامدة صابرة أن يحدد فى ضوء ذلك كله مسيرته الى الله أولا ، وطريقه الى الحياة ثانيا ، ولعله لا يحس حينئذ بتناقض بين مسيرته الى ربه وطريقه الى واقعية فعالة فى حياة تتطلب العمل بمقدار ما تفكر الكسل وتنشد القوة بمقدار ما تنبذ العجز ، وتعايق العلم والمعرفة بمقدار ما تباعد بينها وبين الجهل والقصور ، لا يحس المسلم بأى تناقض أو تناحر بين هذا وذاك لأن الاسلام ليس نظرية بغير تطبيق ولا جسدا من غير روح ، وليس حياة جامدة وإنما الاسلام تعليم روحى متدفق بكل أسباب الحياة وعقيدة حقة بها من الطاقات البدنية والفكرية والروحية ما يحيل المثالية الرفيعة والمبادئ المسطورة فى ضمير المؤمن الى واقع حى خلاق يثرى الحياة ، وينميها ويرقى بالوجود الإنسانى فى مختلف جوانبه بل ويلبى حاجاته فى جميع أوجه حياته .

ومن هنا يأتى المفزى الكبير لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه معه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولا يقتصر هذا المفزى الكبير على هذه الممانى الجميلة والقيم الرفيعة والمبادئ الخالدة وإنما يتعداها الى واقعية حية وممارسة عملية لرسالة المسلم والحياة (١) بتنشيطها وعمارها واستخراج أركانها (٢) واستثمار خيراتها والأخذ بأسباب القوة المادية بشتى صنوفها وأوجه أدائها .

وبذلك يصل المسلم الكامل دينه بحياته ، ويحى الأرض ويعمرها بنشاطه كما يصل نفسه بربه ويعمل ما استطاع على الاقتراب من جلاله الأسنى ونوره الأسنى وبهاتين الصلتين - صلة المسلم بالله وصلة دينه بالحياة - يكتمل الوجود الإنسانى ، وتؤدى وظائفه فى إطار من الفهم الدقيق ، والوعى العميق ، بل يكتمل الوجود الكونى كله حيث تنسق الصلة بين الخالق والمخلوق وتتحقق عبودية العابد للمعبود فى ثمار العمل النافع والقوة الصامدة والدأب الصابر المثابر على تطوير الحياة الإنسانية وتأمين مسيرتها ودعم أصرارها .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا تأكيدا واثقا لكل هذه الممانى وترسيخا لها فى قلب المؤمن . لم يقتصر عليه السلام على تبليغ الدعوة الى الناس وإنما اخذ مع ذلك بأوجه الحياة ويقوانيتها التى لا تتخلف ادراكا منه عليه السلام ومن صفوة الاخيار بأن الكلمة وحدها لا تفى وبأن الحق بنفسه لا ينتصر وبأن المبدأ بدون تطبيق عملى وممارسة واقعية كلا مبدأ .

ومهما أوتى الحق وأصحاب الحقوق من بين الشواهد وقوة الحجج على صدق مبادئهم وما ينحصر فى دائرة القوة المعنوية فإن ذلك وحده لا يكفى لانتصار حقهم اذا ما تسلح خصومهم بالقوة المادية وحصلوا من اسبابها ما يتفوقون به على أهل الرشاد ، وكما ان نفاسة الجواهر وجودتها لا تحميها من عبث العابثين بها

وكما ان بريق الماس وغلاء ثمنه لا يحول بينه وبين الاعتداء واختلاسه من خزائنه ، وكذلك الحق بحقيقته وخيريته وجودته وبكل ما يتصف به من فضل وشرف لا يحمي نفسه من أباطيل المبطلين وجحافل المعتدين .

لهذا كان لا بد للحق من قوة تحميه واعداد يصونه ودفاع صامد فعال يأخذ بكل ما يمكن من أسباب القوة .

هكذا كان التصور الاسلامي للهجرة وهكذا كان المغزى الكبير لها لذلك هاجر الرسول الى المدينة وخطط لاستراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية ووطد العزم على ان يأخذ بكل ما يمكن من سببه وبكل ما يستطيع من عمل يسير به خطوة نحو قهر أعدائه واعداء دعوته والانتصار عليهم وتثبيت دعائم الحق وأركان الدولة الاسلامية في أرض الله ومن أجل نصره دين الله .

ولم يكن أمرا عارضا ولا صدفة محضة ولا مجرد خاطر أن يختار الرسول المدينة المنورة دارا لهجرته وملجأ لدعوته ومقرا لدولته وحاشى أن تكون الهجرة فرارا من أعدائه أو خوفا على نفسه واتباعه وطلبا لشيء آخر غير نصر الله وانما كان ذلك لأهمية الموقع الاستراتيجي للمدينة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية لقد كان في شمال الجزيرة العربية أكبر دولتين عظيمتين في العالم حينذاك هما دولتا الفرس والروم وكان في مكة معقل الشرك وقوة المقاومة للإسلام على يد كفار قريش فلو أن - الرسول هاجر الى اليمن في جنوب الجزيرة أو الى شرقها مثلا لأعطى الفرصة لكل القوى المناوئة له أن تلتحم وأن تتماسك في جبهة متحدة فيتعرض لمواجهتها ومن ورائه المحيط الذي لا يسمح لكفاحه ولجيشه بحرية الحركة وفنية المناورة ولكنه في المدينة يستطيع أن يكون ذا موقع متوسط بين أعدائه في شمال الجزيرة وبين أعدائه في مكة فلا يسمح ببقاء بينهما ، كما أنه يستطيع من هذا الموقع نفسه محاصرة قريش اقتصاديا وتهديد تجارتها الى الشام التي كانت تمثل أكثر من سبعين في المائة من ثرواتها .

ولكن دورات الفلك لا تقف والتاريخ الاسلامي يعيد نفسه وما أشبه الليلة بالبارحة فيها هي ذكرى الهجرة في عام ١٣٩٤ تأبى أن تكون تكرارا أو أن تكون مجرد انفعال بذكريات طيبة عطرة ، وإنما تقترن بمثل أعلى ، وتتجسم في واقع حي لهذا المغزى الكبير للهجرة ، واقع يشمل جوانب الوجود العربي بصفة خاصة والكيان الإسلامي بصفة عامة فيصبح وكل فرد فيه مهاجر ويمسى وكل شعب فيه مرابط لا ببدنه فقط ولا بروحه فقط ولا بوجوده فقط ولا بمشاعر فياضة ولا بشعارات فضفاضة ، ولكن يهاجر بالمغزى الكبير للهجرة ويناضل بالمعنى العميق للنضال ويفدى بالاسلوب الشريف للفداء . يهاجر من السلبية الى الايجابية ومن التفرقة الى الوحدة ومن الاحجام الى الاقدام ومن الضعف الى القوة ومن الخور الى الاصرار المصير المعاند على الجهاد حتى النصر .

يهاجر من ماله الى انفاقه في سبيل الله ، ومن نفسه فداء لها من أجل الدين والوطن ، ومن مضجعه إلى ميدان الشرف والجهاد ، ومادام الهدف مشتركا والمصير

مشاركاً والكفاح مشتركاً والرباط القومى والدينى وشيخته ولحمته تعدل لحمة النسب ان لم تفقها فمن الطبيعى أن يملئ ذلك أنواعاً أخرى من الهجرة ويملى على شخصية المسلم أن يهجر الاحقاد الى الحب والوداد ، وان يهجر نوازع الشر ووساوس الشيطان الى قيم الخير ورضوان الرحمن .

وقد شاء المولى عز وجل ان يكرم عباده المؤمنين وان يبارك مسيرتهم ويسدد خطاهم وان تتمثل هذه الهجرات كلها فى السادس من أكتوبر وفى العاشر من شهر الانتصارات شهر رمضان ١٣٩٣ هـ .

لقد ربط العرب والمسلمون فى ذلك اليوم ومنذ فجره الاول بين النظرية والواقعية وحققوا ذلك التكامل بين جوانب وجودهم ونواميس كونهم الذى يحيون فيه فاتخذوا لصراعهم من أجل الحق أسلوباً جديداً وشقوا لمخططاتهم أنفاقاً تحت الأرض تأمينا لسيرها وضماناً لدعائها وامعانا فى اخفاء أسرارها وحين أذن مؤذن الجهاد وانتفضت القوى العربية والجيوش العربية الباسلة لعبور القناة وتحطيم خط بارليف وانقضوا على قوى العدو فى الجولان . فما كان للامة العربية أن تصبر صبر أولى العزم من الرسل الا لى تنصر ولا ان تسكت الا ليتكلم الحديد والنار او تنتظر الا أملاً فى سلام قائم على احقاق الحق وسعياً وراء قضاء عادل من المنظمات الدولية يرد الحق لأصحابه ويرد المعتدى ويقر قاعدة الحق والعدل والسلام .

ويوم أن يئس العرب من كل المحاولات السلمية لاسترجاع حقوقهم المشروعة ويوم أن رأوا عدوهم قد أهدر القيم الانسانية وتكر لمبادئ الأديان السماوية واعتدى على حقوق الانسان وداس المقدسات يوم أن ايقنوا ذلك كله لم يكن أمامهم الا أن يبرزوا أصالتهم وان يفجروا كوامن طاقتهم وان ينطلقوا الى تحرير أرضهم بالاسلوب الذى يفهمه الأعداء ولا يفهمون غيره وبالقوة المادية التى يخشاها الأعداء ولا يخشون سواها .

وقد شاء الله ان يطل علينا الهلال الجديد لشهر المحرم ١٣٩٤ هـ والمعرفة ما زالت قائمة والهجرات متدفقة والاصرار متصاعداً والترصد لاسترداد الحق المفتصب وتحرير الأرض السليبية والقدس الحبيبة يزداد يوماً عن يوم كها وكيفا .

فالى مزيد من الاصرار ، والى مزيد من الفداء ، والى مزيد من الصمود حتى تملو كلمة الله وينتصر الحق ، ويعم السلام أرض السلام على يد أولياء الله ، ودحضا لأولياء الشيطان .

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) .

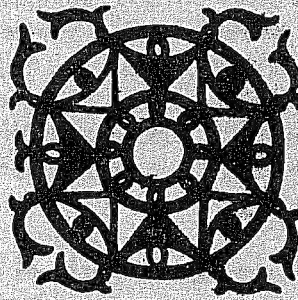
سورة « الأنعام » من السطور الطوال التي نزلت بمكة تقيم قواعد الإيمان وتنصب حوله البراهين وتجادل عنه الأعداء والجاهلين ..
 واسلوب السورة يتسم بالأخذ والرد ، والحوار الحي ، والنزول الى أرض الواقع واستخراج كل ما لدى المشركين من شبهات ومزاعم .
 ولذلك تكررت كلمة « قل » للنبي — عليه الصلاة والسلام — أربعاً وأربعين مرة ينزل بعدها التوجيه الإلهي اعلنا للحق وخذلنا للباطل .
 وسورة الأنعام بهذه الخاصة من أشد السور قمعا للضلال ، وإخمادا لأنفاسه ، وإعلانا لمنار التوحيد وجمعا للأفكار والأئدة عليه .
 ونبدأ بالقاء « نظرة » على مراحل الصراع بين الاسلام وأعدائه في هذه السورة المباركة ...

إن الحق الغريب في البيئة العاتية يبدأ ضعيف الشأن قليل الناصر يلقاه الأقوياء بالنظر المتجهم ويتناولونه بالسخرية الظاهرة ويرفضون رفضاً شديداً أن يدخلوا فيه بل أن يسمحوا له بالسير .

والله عز وجل في هذه السورة يوجه الحديث الى الطرفين المتنازعين فيطلب من المشركين أن يحذروا المستقبل وأن يتأملوا في تاريخ الماضي لتتحسم سخريتهم : « ولقد استهزئ برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ! » وفي الوقت الذي ينبه المشركون فيه الى مصيرهم يقال لصاحب الرسالة ومن معه من المؤمنين : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوفوا حتى أتاهم

نظرات في سورة الأنعام

للشيخ / محمد الفزالي



نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبي المرسلين » .

أى اثبتوا أيها المؤمنون ، وتحملوا صنوف الأذى ، وصابروا الليل الطويل حتى يطلع فجر النصر — ولا بد أن يطلع — فان كلمات الله لعباده وقوانينه فى خلقه لن تتغير . ويمكن استقراء الصراع القديم بين الهدى والضلال لتعرف هذه الحقيقة ..

بيد أن حبل النزاع طويل ويظهر أن طوله يستغرق أعمارا كاملة وأن النتيجة المرتقبة تتحرك ببطء رهيب . . . ببطء يغرى الكافرين بالتطاول والصلف وتكاد معه أرواح المؤمنين أن تزهد . وتستطيع أن تتبين موقف الفريقين فى هذا الحوار : « قل : إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به . ان الحكم إلا لله . يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل : لو أن عندي ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم . . »

إن الله عز وجل يعطى المبطلين فرصا واسعة ليؤمنوا إذا أرادوا ، ويبدو أن سعة هذه الفرص لا تزيدهم إلا ضراوة . ولقد راثبت سيرة المشركين مع النبی عليه الصلاة والسلام فوجدت أن المشركين أنفسهم هم الذين فتلوا الحبال التى شددت حول أعناقهم وأجهزت على حياتهم . إنهم هم الذين صنعوا معركة بدر وكانوا قادرين على العودة من حيث جاءوا بعد نجاة قافلتهن لكن مشاعر الكبر التى أدارت رءوسهم وترجم عنها أبو جهل فى كلمته الحمقاء « لا نعود حتى ننحر الجذور ونشرب الخمر وتغنى لنا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون بهابوننا أبدا » . هذه الكلمة هى التى ألحقت بالشرك أول هزيمة قاتلة ، وأحنت رأسه أحناء مذلا الى آخر الدهر وكما فعل المشركون بأنفسهم ذلك فى بدر كرروا صنيعهم قبيل الفتح الأعظم ليعطوا

المسلمين حق دخول مكة بعدما نقضوا العهد المبرم ورفضوا الهدنة الممتدة . إن الخط الذى رسمه القدر كان فوق فكر البشر وذلك هو السرفى قول الله لنبيه :

« قل : لو أن عندي ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين » .

إن على أهل الحق شيئا واحدا أن يعيشوا به وأن يعيشوا له . . . أما كيف يدلل الله لهم من عدوهم فهذا ما استأثر العلم الإلهي به وتمعز القوى عن دركه وارتفاع أهل الحق الى مستواه فى خلقهم وسلوكهم شيء صعب ولكن ما منه بد .

ثم هم بعد هذا الارتفاع لا بد أن يخضعوا لسنن الله الكونية التى تتناول أوليائه وأعداءه على سواء ويعد التعرض لها جزءا من الاختيار الشامل فى قصة الموت والحياة . . .

.. وتأسيسا على ذلك يأمر الله نبيه أن يفهم المؤمنين بأنه « بشر » لا يملك طاقات فوق المادة وأنه يتعرض مع جماهير المؤمنين لتكاليف الصراع الخالد بين الإيمان والكفر فلا هو صاحب مال لا ينفد ولا هو مدرك للغيوب ، ولا هو ملك متخف من خواص المادة الانسانية . إنه صاحب دعوة اصطفاه الله لفتح البصائر المفلقة وهداية الجماهير النائية .

« قل : لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك . ان اتبع إلا ما يوحى الى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وقد قضت الحكمة العليا أن تغير الظروف التى يعيش البشر فيها تغييرا يرغم على الانتباه لما يطلب منهم فان الناس اذا ألفوا النعماء قل تقديرهم لها وقل شكرهم لمرسليها الكبير وقل اكثرائهم بحقه وقل

يتمهون • ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون • حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون » (المؤمنون ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) .

لكن سورة الانعام تذكر لونا آخر من مكر الله بالأمم فان الله يرفع العذاب النازل بالأمم الشاردة ويعيد إليهم ما فقدوا من نعمة ومتاع بل ربما أرسل إليهم أكثر مما ألفوا ليزدادوا ترفا وشرها : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون • فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

إن قطع دابر « المتكبرين » بعدما طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد نعمة تقربها العيون وتشرح بها الصدور وتتبادل عليها التهنية ويشكر عليها رب العالمين ..

وظاهر من وصف القرآن لمراحل التفسير من رخاء إلى شدة ومن شدة إلى رخاء أن الزمان طويل وأن أهل الحق خلال أيامه ولياليه يجب أن يصبروا ويصابروا (والعاقبة للتقوى) نعم زمان طويل يبدأ فيه النضال والباطل قوى مستقر والحق ضعيف منكور ثم تنشب الحرب النفسية والدموية لتتغير بعدها الأوضاع فيقوى الحق ويضعف الباطل بيد أن هذا التفسير يقطع من الزمن طريقا طويلا وإلى قبيل النهاية لا تؤذن الأمور بالنهاية في جبهة الضلال بل قد تظل مرهوبة الجانب محذورة الشر .

ولذلك فإن المهادن الهشة تنفتت على مراحل الطريق ، وينجم النفاق ، ويؤثر الضعاف والجنباء أن ينجوا بأنفسهم ويستريحوا إلى دنياهم • من أجل ذلك يأمر الله نبيه بالثبات على الحق وتثبيت المؤمنين عليه

استماعهم لرسله • ومن ثم فإن الله يسلبهم ما يطغيهم لعلهم يعتدلون !

وقد صرح أن النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى كبرياء قريش وطول صدورهم دعا الله عليهم فقبال : « اللهم سبعا كسبع يوسف !! »

أي أرسل عليهم سبع سنين عجاف تكسر كبرياءهم وترد إليهم صوابهم • وهذا علاج حق فان الذهاب بنفسه قد يتواضع ويعقل إذا فقد ما غره من مال أو جاه •

وفى هذه السورة الكريمة يقرر الله جل شأنه هذه السنة الحكيمة : « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فآخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » .

والبأساء : سوء الأوضاع الاقتصادية • والضراء : سوء الأحوال الصحية •

وليس أضرى بالأمم والجماعات من هذين البلاءين وجدير بمن فقد صحته وماله أن يجأ إلى الله تائبا طالبا النجدة ..

ومع ذلك فإن هناك شهوبا بليدة تنزل بها القواصم فما تطلب من الله رفقا وما تقف بساحته منية صارعة بل تبقى على غوايتها وكفرها « فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون » •

وهذا لون خطير من موت القلوب وعصف الشهوات بالأمم وقد كان المفروض أن الآلام ترد الناس إلى بارئهم كي يحجب سخطه عنهم فاذا أودوا وظلوا في عماهم فمعنى ذلك أن الفساد تغفل في كيانتهم واستبد بزمامهم •

وقد يطول بالأمم العناء — والحالة هذه — كما قال تعالى في سورة أخرى : « ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم

يخور .. واذا الشرك السافر والمقتع
يتقهقر ..

وإذا التوحيد الخالص يتقدم
ويشيع ..

وإذا العدالة في الحساب
والسلوك تتقرر ((قل : أغير الله أبغى
ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب
كل نفس الا عليها . ولا تزر وازرة
وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينيحكم بما كنتم فيه تختلفون)) ..
إن الخلاف الديني سوف يبقى ما
بقيت الأرض ولن يبت فيه الا الله
وحده ! وستنشا الأجيال الجديدة
وهي في مهدها حاملة مظاهر هذا
الخلاف .

والمهم أن يكون المؤمن بالله
ورسوله رفيع اليقين والخلق مما ،
طاهر القلب والسيرة جسيما . مقتنيا
أثر نبيه العظيم وهو يؤكد أن صلاته
وتسبكه وحياته ومماته لله جل شأنه .
إن هزائم الحق في أغلب الأحيان
تجبيء من تفريط المؤمنين وهبوطهم
دون هذا المستوى المطلوب فمن ولد
مسلمنا ورزقة الله هذا الشرف فليعلم
أنه مكلف بخدمة الحق وتزيين صورته
وتنقية حقيقته ، وحسن عرضه
والقيام به وتلك هي الفريضة المنوطة
بصفته .

إنك لم تولد مسلما تفضل غيرك
دون جهد مبذول وعناء محول ، بل
قد يفضلك غيرك يوم تبذل النعمة
الموروثة وتتركها للضياع أو الامتهان .

- ٢ -

في هذه السورة الجليلة نلمح
منطق القرآن الكريم في بناء العقائد
وغرس الإيمان وهو منطق بعيد عن
التقعر ، برىء من الغموض يقوم على
وصف الله جل شأنه بما ينبغي له من
نعوت الجلال والكمال ، ويلفت النظر
الى آفاق الملكوت كي يدرك الانسان

ويكشف له عورات الشرك ومتابعه
لينفر المعتاد منها ويفروا من طريقها
((قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ
هدانا الله كالذي استهوته الشياطين
في الأرض حيران !!))

فليبق الحيارى ضالين عن رشدهم
وليلزم المؤمنون صراطهم المستقيم
مهما تجشعوا من مشقات ((وأمرنا
لنسلم لرب المالين . وأن أقيموا
الصلاة واتقوه وهو الذي اليه
تحشرون)) .

لكن متى ينتهى هذا الصراع ؟ وترتفع
راية الحق ؟ لا ندري ! ولا بد من
نهاية له على أية حال ((لكل نيا
مستقر وسوف تعلمون)) .

وعلى اصحاب الإيمان طال المدى
أو قصر أن يعيشوا له ، وأن يعيشوا
بـه . وهذا المعنى هو الذى سيطر
على المسلمين في العصر المكي فتكون
منهم جيل اعتنق الإسلام وربط به
سفره واقامته ، وتعبه وراحته ،
وصداقته وخصومته وحياته ومماته .
وقد قررت سورة الأنعام ذلك في
خواتيمها لتجمل فيه منهجا خالدا لكل
جيل مكافح الى قيام الساعة .

وعلى صدر الطريق نلمح خساتم
الانبياء يتلو ما أمر الله به ((قل : إن
صلاتي ونسكى ومحياى ومماتى لله
رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت
وأنا أول المسلمين)) ..

.. أجل انه الأول تجردا لله
وتبتلا اليه ودابا على عبادته وتسبيحا
له وتمجيذا وركوعا وسجودا ثم ..
حماية لهذا الدين بالنفس والمال .
فالحياة لله والموت في سبيله .

وعندما استوهش التوحيد في
زحام العالم وطغت الخرافة أن تاتى
عليه من القواعد . نهض الانسان
الكبير ((محمد بن عبد الله)) ورمى
بكل ما يملك من طاقات في المعركة
الياسية المضطربة فاذا الشيطان

عظمة ربه خلالها . وصدر سورة
الأنعام يتسق مع هذا المنهج فقد بدأ
الكلام بحمد الله خالق السموات
والأرض وجاعل الظلمات والنور . ثم
لفت القرآن الكريم النظر الى تاريخ
الأمم الأولى وموقفها من قضية الإيمان
وكيف أن غفلتها هوت بها ! وأن
حجودها لنعمة الله أوردتها شر
الموارد .

**« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من
قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
لهم »**

بيد أن جماهير الناس ربما ضاقت
بهذا المنطق ولم يعجبها أن تقاد من
عقلها ، ولا أن تستثار مواهبها العليا
كى تؤمن . انها تريد شيئا آخر ،
تريد خوارق للعادات تشد انتباهها
أو تشبع فضولها أو تتجاوب مع
الاتجاهات المادية فى ذوقها وحكمها
والرسالة الخاتمة لا ترضى هذه
اللزعة ولا تحدها .

ومن ثم فإن المنطق القرآنى مضى
فى طريقه يحرك العقل الجامد ويطلب
اليه أن يؤدى وظيفته العتيدة فى
البحث والموازنة والحكم .

والعرب فى جاهليتهم أصروا على
مقترحاتهم فى ضرورة أن تسند
الدعوة « معجزات حسية » وقاوموا
النداء المتتابع بضرورة أن يفتحوا
عيونهم الى آيات الله فى كونه
وإبداعه فى خلقه ودلائل عظمته
المسطورة بين سمعهم وبصرهم .

ونحن نرى أن اصرار الجاهلية
على موقفهم إنما نشأ عن عناد كرية ،
وجحد بكل ما يجب التسليم به من
مقررات انسانية محترمة . ولو أنهم
أجيبوا الى ما طلبوا ما اعترفوا
بالحق ولا انتقادوا له وهنا نجد فى
سورة الأنعام مجموعة من النصوص
تشرح هذه الحقيقة :

**« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس
فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا :**

إن هذا الا سحر مبين » فهم لا يؤمنون
ولو نزل عليهم كتاب من السماء
يلمسون أوراقه ويحسون وجوده ! .
وقد طلبوا أن يتحدث اليهم أحد
الملائكة لكن كيف يتم هذا ؟ ! .

ان البشر جهزوا بحواس محدودة
لا تستطيع أن ترى الماديات الا فى
حجم معين ، وعلى بعد معين فكيف
ترضيهم السماء **« وقالوا : لولا أنزل
عليه ملك .. ولو أنزلنا ملكا لقضى
الأمر ثم لا ينظرون »** أى أنهم
سيسترسلون فى عنادهم ويرفضون
الإيمان بعد استجابة مطلبهم وعندئذ
تعجل عقوبتهم وينزل بهم العذاب
الاليم .

... على أن ذلك كله مع قدرتهم
على رؤية الملك فى طبيعته النورانية .
فاذا استحال ذلك وتجسد لهم الملك
فان الشبهات باقية والمرأة مستمرة
**« ... ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون !! »**

وتناولت سورة الأنعام الخوارق
مرة ثانية فى قوله تعالى : **« وقالوا :**
لولا نزل عليه آية من ربه قل : ان
الله قادر على أن ينزل آية ولكن
أكثرهم لا يعلمون » .

... أى أن الخوارق المطلوبة
ليست مما يعجز القدرة العليا . ولكن
الحكمة الإلهية فوق رغبات الطفولة .
وعندما يريد الصغار ألا يكبروا ...
وعندما تريد الانسانية ألا ترتفع
الى مستواها العقلى . فانه لا بد من
ارغامها على الصعود والاخذ بيدها
الى أعلى وتكليفها أن تحترم العلم .
ولعل ذلك السر فى أن النبى عليه
الصلاة والسلام قارن بين ما منع من
معجزات . وما أجراه الله على أيدي
المرسلين الأولين من آيات ثم قال :
**« ما من نبى من الأنبياء قبلى الا وأوتى
من الآيات ما على مثله آمن البشر**
وكان الذى أوتيته وحيا أوحى الى ..
فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم

القيامة» .

أن هذا الحديث يشعر بأن الله جل شأنه يريد أن يبنى الناس إيمانهم على حسن البحث والنظر وصدق الفطنة والاستنباط لا أن يهملوا أفضل ما أوتوا ، وينتظروا القوارع والخوارق كي يعرفوا ربهم .

والمرء عندهما يجحد الخاصة التي رجع بها بقية الحيوانات ويريد أن يحيا بغيرائزه البدائية وأفكاره الساذجة وحدها .. لا ينبغي أن يجاب الى ما يشتهي . وهذا سر ختم الآية بقوله جل شأنه « ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

وتعود سورة الأنعام الى تصوير لجاجة المشركين في طلب الآيات الحسية وتعليق الايمان على وقوعها . قال تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون » .

ومن حقنا أن نتساءل عن قيمة هذا القسم من مشركين سووا بالله مخلوقاته وحلفوا أيضا على أنه لن يبعث أحدا وأن الدنيا هي الحس كله ولا شيء بعده ...

إن هؤلاء المشركين كأنما يذكرون اسم الله من باب الاسترسال مع الخصم . أو كأنهم يقولون : نقسم بالله الذي تزعمونه معشر المؤمنين وتعلقون به .

أي قسم هذا؟؟؟

... إن الأمر لا يعدو التشبث بما اقترحوه من قديم . أي أنهم ما زالوا متعلقين بالخوارق التي بنوا عليها إيمانهم وهي أن جاءت فلن تؤسس في نفوسهم يقينا ولن ترحزهم قيد أنملة عن جاهليتهم التي ورثوها وأوهامهم التي ألفوها ...

.. وما الظن بقوم يقولون لله : « إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

أما كان حريا بهم لو كانوا مخلصين أن يقولوا : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ...

ولكنها الطفولة البشرية كما قلنا : هي التي دفعت الى هذه المطالب دون تقدير لها . أو ارتباط بنتائجها .

ولا بد من أن نسجل هنا خطأ سرى في الفكر الاسلامي سريانا مستغفريا هو : اهتمام المسلمين بالخوارق وربط الصلاح النفسي بها حتى أصبحت الولاية عند الجماهير لا مفهوم لها الا وقوع الخوارق على ايدى الأحياء أو الأموات !!

إن هذا الخطأ امتداد للطفولة البشرية التي أنكرها الاسلام على الجاهلين القدامى عندما تشبثوا بخوارق العادات وربطوا صدق النبوة بها . واستهانوا بقيمة العقل في تقديرها وأثبتاتها ..

وعلماء الكلام .. بل علماء الأديان عموما لا ينكرون وقوع الخوارق . ولكنهم يرون أن هذه الخوارق الواقعة عديمة الدلالة على ما يزعم لها إذ هي تقع من المؤمن والكافر والبر والفاجر . وفي كتب علم التوحيد عندنا تسميات شتى لخوارق العادات بحسب صدورها من الناس ولم يقل أحد أن لهذه المعجائب دلالة حاسمة أو غير حاسمة على صدق الايمان وقرب المنزل عند الله .

... الولاية كما عرفها القرآن الكريم هي : الايمان والتقوى سواء حدث لصاحبها شيء من هذه المعجائب أم لم يحدث !!

وقد نبه المحققون الى ذلك عندما قالوا : « لو رأيت إنسانا يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تشهد

له بخير حتى ترى مسلكه مع الكتاب والسنة » .

وهذا كلام جيد وهو يربط الكمال المنشود بالرقى المعنوى والاستقامة النفسية ولا يعطى ما وراء ذلك قيمة ما ...!.. اننا عندما نتدبر سورة يوسف نجد أنها تضمنت ثلاث رؤى كشفت عن المستقبل . فجاء تطبيقها صادقا كوضح النهار .

● أولى الرؤى الثلاث : لنبي كريم المعدن . حسن الدعوة الى الله .
● أما الرؤى الأخرى : فهما لقوم لا يعرفون الله ولا يحسنون معاملته .

بعضهم كان سجيناً وعاش بعد سجنه يسقى سيده الملك خمرا . والبعض الآخر كان ملكا غريبا على دائرة الايمان ومنطقه .

وقد بنيت خطة الدولة الاقتصادية على رؤياه خمسة عشر عاما . وأحسبني لو صورت فكر المسلمين الآن لقلت : انهم يحسبون الرؤيا الصادقة اشارة على عظمة المنزلة عند رب العالمين ولو كان صاحبها لا يعرف صلاة ولا صياما . وقد لاحظنا ونحن نقرأ سورة الانعام أنها زجرت المشركين زجرا شديدا لتطلمهم الى الخوارق ، وغفلتهم عن التدبر والوعى .

والسورة بهذه اللفظة الكريمة تريد أن تنبه الى أن العظمة الانسانية لها أصولها العتيدة وأبعادها المحددة . وإذا كان الله قد رزقنا عقلا فيجب على هذا العقل أن يبحث ويقضى . . والأديان انما تستمد وجاهتها وتستحق القبول بما حوت من زكاة للنفوس ورشد للسلوك . . والأديان الفاشلة أو المهترئة القواعد تتحائل على اثبات صحتها وجمع الناس حولها باطلاق الاشاعات عن خوارق وقعت لأحيائها أو موتاها .

وهذه الخوارق فى الأغلب مفتعلة

لا تعتمد على شيء . . انما هى الخيال أو التوهم ولو أن ما زعموه كان صحيحا ما دل هذا على شيء طائل فان الأديان تقوم على الصدق العقلى والنضارة الخلقية . وهذا ما طلبت منا سورة الانعام أن نستيقنه وإن نبني عليه حكما . هل معنى ذلك أن حياة « محمد » عليه الصلاة والسلام كانت خلوا من الخوارق؟؟ كلا! . .

لقد صحت « الأسانيد » أن جملة من الآيات الباهرة ظهرت فى سيرة النبي الكريم ، ورات جماهير من الناس كيف زاد الطعام فى يده وكيف نبع الماء من بين أصابعه وكيف هطل المطر توا استجابة لدعوته ، وكيف . .

.. ان عشرات من هذه الآيات الخسية ثبتت له — عليه الصلاة والسلام — ولكن هذه الآيات لم تعتبر سنادا لإثبات النبوة ولا كان بها التحدى الى آخر الدهر . .

لقد اعتبر امرها ثانويا بالنسبة الى القرآن الكريم . . الكتاب الذى أحيا الفكر وأيقظ القلب وانهض الأمم ودفع الأجيال فى طريق حضارة يانعة وربط بين الناس وربهم ربطا يتجدد على مر الأيام اذ لا يزال هذا الكتاب منذ نزل الى يوم الناس هذا . . الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ضائع الايمان الحر . وسائق العقول بطريق الاستدلال الى معرفة ربها والانقياد له .

هذه السورة المكية حافلة بالدلائل التى تسوق الناس سوقا الى الله . وتفتح الأبصار على الآيات الشائعة فى ملكوته ، والروائع التى بثها هنا وهناك تشهد بوحدانيته وعلوه ولطفه .

ان بعض المستشرقين والمبشرين تحدث عن الأسلوب المكي فقال : انه عاطفى يعتمد على الاثارة أكثر مما يعتمد على التفكير ، وتبعهم فى ذلك

سهاجرة مستأجرون فى ميدان الأدب
والثقافة تحمسوا لهذه الأكاذوبة
وأخذوا يروجونها ..

والقضية كلها دعوى تافهة ،
وسورة الأنعام — من بين السور
المكية — مليئة بالبصائر التى تنير
طريق الحق وتجلو الغشاوات عن
سالكه .

وكلمة « بصائر » فى قوله تعالى :
« قد جاءكم بضائر من ربكم فمن
أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » هذه
الكلمة واضحة الدلالة على العمل
العقلى الذى يميز الظلمات ويكشف
الشبهات ويعرف الناس بربهم عن
طريق السريرة الصافية والنفطرة
الواعية .

وعلى ما ألفنا فى هذه السورة
نسمع بعد كلمة « قل » سؤالاً عن
رب المكان يجيب على هذا النحو « قل
لأن ما فى السموات والأرض ؟ قل
لله » أهو رب المكان وحده ؟ لا . إنه
رب الزمان أيضاً « وله ما سكن فى
الليل والنهار وهو السميع العليم » .

إن اليقين فى تلك السورة يؤسس
على النظر العقلى المتأمل المستنتج
الذى يستعرض شتى الفروض ثم
يرفض الخطأ ويقر الصواب ، وانك
لترى ذلك فى السياحة الفلكية التى
تضمنتها هذه السورة لإبراهيم عليه
السلام ، وهو ينتقل من الكواكب إلى
مكوكبها ، ومن الشارق الغارب إلى
من لا يغيب تجليه ، ولا تنقطع قيوميته
على العالم الرحيب « وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت السموات والأرض
وليكون من الموقنين » .

ومن ثم نلاحظ أن وصف الله فى

هذه السورة يجيب أحياناً بعد
اسمه العلم الظاهر ، وأحياناً بعد
ضمير الغيبة ، فيكاد الوصف البارز
ينقل ضمير الغيبة إلى ضمير حضور
وقد بدأ ذلك من الصفحة الأولى فى
السورة :

« هو » الذى خلقكم من طين ثم
قضى أجلاً .. » .

.. و « هو » الله فى السموات
وفى الأرض يعلم سركم وجهركم .. «
.. و « هو » القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة .. »

.. و « هو » الذى يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار .. «
.. و « هو » الذى جعل لكم
النجوم لتنهتوا بها فى ظلمات البر
والبحر .. «

.. و « هو » الذى أنشأكم من
نفس واحدة فمستقر ومستودع .. «

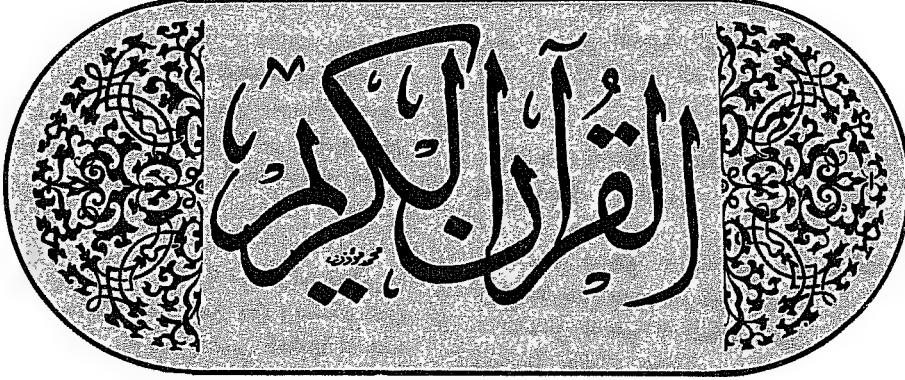
ويظل الأمر كذلك حتى آخر
السورة ، فكما بدئت بضمير الغيبة
الذى يبعث على الشهود ختمت به .

.. و « هو » الذى جعلكم خلائف
الأرض ورفع بعضكم فوق بعض
درجات ليلوكم فيما آتاكم .. «

وهكذا تقف الإنسانية كلها بازاء
الاختيار الكبير الذى ينتظم جميع
أفرادها .. تقف أمام ربها المعدل
الذى يكلف كل امرئ بقدر ما أوتى
من إمكانات مادية وأدبية ..

على أنه مهما تفاوت الذكاء البشرى
بساطة وعمقا ، فلا يجوز أن يعمى
عن الله الذى خلق السموات
والأرض وجعل الظلمات والنور .

لغة



مشكلات الفواصل (٢)

للدكتور علي محمد حسن

في المقال السابق ذكرت بعض الآيات التي عرض لها صاحب البرهان ، واجابته عما اشكل فيها من الفواصل ، واكتفى بهذا القدر . واذكر الآيات التي وقفت عندها ، وما قاله بعض المفسرين فيها ، ولعلنى أوفى على الفساية أو اقارب فى بيان السر البلاغى من التذييلات التي ختمت بها هذه الآيات الكريمة . من ذلك قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (١) . ربما توهم أن الفاصلة ينبغى أن تكون : (وهو على كل شىء قدير) . ولكن لما كانت اجزاء الانسان المعادة ربما تفرقت فى جهات مختلفة متعددة ، بل ربما اختلطت بأجزاء انسان آخر كانت صفة العلم هنا لازمة للتفرقة بين الاجزاء الاصلية ، والاجزاء الفضلية ، فيعبد كلا من ذلك على النمط السابق ، وهذا لا يكون الا من عليم بتفاصيل كفايات الخلق والايجاد انشاء واعادة ، محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص ، اصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق . ومن ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شىء عليم » (٢) . ربما وقع فى بادىء الظن أن التفتيل ينبغى أن يكون : (ان الله على كل شىء قدير) ، ولكن صفة العلم هنا هى الملازمة كل الملازمة ، فهو سبحانه عليم بمقادير الحاجات ، ومقادير الارزاق .

قال الفخر الرازي : وفى اثبات العلم هنا لطائف :

أولها : أن الرزاق هو كامل المشيئة ، إذا رأى عبده محتاجا ، وعلم جوعه لا يؤخر عنه الرزق الا لنقصان فى نفوذ مشيئته ، كالمالك إذا أراد الاطعام ، والطعام لا يكون قد استوى بعد ، او لعدم علمه بجوع المبد .

الثانية : أن الله بآيات العلم استوجب (٣) ذكر الصفات التى هى صفات الاله ، ومن أنكرها كفر ، وهى أربعة : الحياة والقدرة والارادة والعلم ، وقد استوفت الآيات الأربع ، لأن قوله : « خلق السموات والأرض » إشارة الى كمال القدرة ، وقوله : « ييسط الرزق لمن يشاء » إشارة الى نفوذ مشيئته وارادته ، وقوله : « أن الله بكل شىء عليم » إشارة الى شمول علمه . والقادر المريد العالم لا يكون الا حيا .

ومن ذلك آيات من القرآن الكريم ختمت بالحلم والمغفرة ، او بالمغفو والمغفرة ، او بالرحمة والمغفرة ، وربما وقع لبعض الاوهام أن هذه التذييلات فى غير موضعها ، وأن غيرها أولى بهذه الأمكنة منها ، وعلى أحسن الظن ربما خفى على كثير من الدارسين سر التذييلات فيها .

من ذلك قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم » (٤) .

ومثلها قوله سبحانه : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحیما » (٥) .

فالأخبار عن المؤاخذة بما كسبت القلوب ، وعن لزوم الجناح على ما تعمدته يستدرج الذهن الى أن يكون التذليل مما يؤكد أمر المؤاخذة ، ومما يرهب ويخيف ، حتى يدعو ذلك الى الامتثال ، لأن الحكيم لا يذكر المغفو مع التهديد لأنه يكون اغراء بالذنب . وهنا ختمت كل من الآيتين بالغفران ، مع الحلم فى أحدهما ، والرحمة فى الأخرى .

وقد قال أبو حيان فى (البحر المحيط) معقبا على الآية الأولى : (جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده ، حيث لم يؤاخذهم باللغو فى الأيمان ، وفى تعقيب الآية بهما اشعار بالغفران والحلم عن أوعده الله بالمؤاخذة ، واطماع فى سعة رحمته ، لأن من وصف نفسه بكثرة الغفران والصغح مطموع فيما وصف به نفسه ، فهذا الوعيد الذى ذكره تعالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى) .

وجعل أبو السمود الكلمة الأولى من التذليل متعلقة بالجزء الأول من الآية : فالله سبحانه غفور حيث لم يؤاخذ على اللغو مع كونه ناشئا من عدم الثبوت ، وقلة المبالاة ، والكلمة الثانية متعلقة بالجزء الثانى ، فهو سبحانه (حلیم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة .

وقيل فى الآية الثانية « وكان الله غفورا رحیما » لا يؤاخذكم بالخطأ ، ويقبل التوبة من المتعمد ، ولكن لم يجز للتوبة ذكر هنا .



ومما يقرب من هاتين الآيتين قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنین یدنین علیهن من جلابیبهن ذلك أدنى أن یعرفن فلا یؤذین وكان الله غفورا رحیما » .

فالمراد هنا الأمر باخفاء الجلابيب عليهن ، وامتنال الأمر انها يتحقق اذا

وصل بالوعيد على مخالفته ، أما وصله بالمغفرة والرحمة فذلك يدعو الى التهاون فى التنفيذ .

وقد قال بعض المفسرين : وكان الله غفورا لما سلف منهم من التفريط (رحيما) بتعليمهم آداب المكارم ، ومثل هذا الجواب جاء فى قوله تعالى — فى سورة النساء : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ولا يتجه هذا الجواب الا على الراى الذى يقول ان الناس مكلفون بمكارم الاخلاق بحكم العقل ، وقد تعلق بذلك فعلا بعض المفسرين كالزمخشري ، وهو معتزلى معروف .

وقريب من هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور » (٦) .

وقد احتفل المفسرون لبيان المناسبة فى هذه الآية بين اولها وآخرها ، وأطال فى ذلك الزمخشري . قال : فان قلت : كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع ؟ قلت : المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب ، والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ، ومندوب اليه ، ومستوجب عند الله المدح ان أثر ما ندب اليه ، وسلك سبيل التنزيه ، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ، ولم ينظر فى قوله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله — وأن تعفوا أقرب للتقوى — ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » . ف (ان الله لعفو غفور) أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه ، وهو ضامن لنصره فى كرتة الثانية من اخلاله بالعفو ، وانتقامه من الباغى عليه .

ويجوز أن يضمن النصر له على الباغى ، ويعرض — مع ذلك — بما كان أولى به من العفو ، ويلوح بذكر هاتين الصفتين . أو دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة ، لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده .

وقد نقل ذلك الفخر الرازى فى تفسيره الكبير — على عادته من كثرة النقل من الكشاف — ولم يزد عليه شيئا .

ويبدو لى أن كل هذه الأجوبة غير مقنعة تماما لا سيما الجواب الأخير ، فان الدلالة بذكر العفو عن القدرة لا يمنع أن يكون هنا سر لا يثار هذه الكلمة (العفو) على ضدها ، وهو (القادر) مع أن الموضع لهذا المعنى الأخير .

ثم ان الله سبحانه كيف يعده بالنصر على من بغى عليه ، اذا عاقبه بمثل ما عاقب به ، ويذكر ذلك مؤكدا بان واللام . ثم يجعل هذا التصرف منه ذنبا يعده عليه بالعفو والمغفرة .. ؟!

أما الجواب الثانى ، وهو أن الله سبحانه وتعالى اثار بذلك الى انه ينبغى الصفح والعفو جواب حسن لو أن النظم الكريم : (وان الله لعفو غفور) أى بالواو ، حتى لا تكون هذه الجملة مبينة أو مؤكدة لما قبلها ، بل تكون مستقلة فيها صفتان من صفات الله تعالى ، نبه بذكرهما — بطريق الكناية والتعريض — على أن الاولى بمن اعتدى عليه أن يصفح ويغفر .

ولكن يبقى السؤال : لم أوترت الكناية هنا ، ولم لم يقل — كما فى آيات آخر — وأن تعفوا وتصفحوا هو أقرب للتقوى مثلا .. ؟

وقد أجاب بعض المفسرين بأن المعاقب لمن اعتدى عليه كثيرا ما يغلبه ان يلتزم التماثل التام بين الاساءة والعقوبة عليها ، فإشار الله سبحانه الى انه

يعفو ويغفر لمن بغى عليه بعض ما تجاوز عليها ، فأشار الله سبحانه الى انه مظلوم ، وفى التعبير بالنصر هنا ما يؤكد هذا الجواب .

وربما صح لى أن أضيف شيئا الى ما قاله المفسرون ..

يبدو لى — والله أعلم بمراده — أن ذكر الغفران والرحمة والحلم والعفو فى كل هذه الآيات انما هو اشارات الى أن بعض هذه المخالفات سيقع كثيرا فيما يستقبل من الزمان ، وأن هذه المخالفات ليست من الكبائر التى تشدد فيها العقوبات ، فمثلا (الحلف) فشا فى الازمنة المتأخرة ، وكثرة الحلف اللغو ، بل كثرة اليمين المنعقدة اذا حنث فيها ، والتى ليست غموسا ليست من الكبائر . كما أن أدناء بعض النساء من جلابيبن قد قلت العناية به فى كثير من الشعوب ، والذي يرد الاعتداء فلا يلتزم الحد الواجب أكثر من أن يحصى ، فناسب أن يجرى مع هذه التشريعات ذكر المغفرة والرحمة والعفو والحلم . ولذلك نجد الآيات التى عرضت لكبار الذنوب ختمت بتشديد العقوبات ، فأيات القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر لا ظل فيها لذكر المغفرة والرحمة الا مع التوبة منها ، قال تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما » (٧) .

وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قرأناها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنين : والذين لا يدعون مع الله الها آخر .. الآية ، ثم نزلت : الا من تاب . فما رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — فرح بشيء قط مثل ما فرح بها ، وفرحه بأننا فتحنا لك فتحا مبينا ليففر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » (٨) .

فأما قوله تعالى : « ولا تكررهما فتياكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم » (٩) ، فالمراد — والله أعلم — غفور رحيم لهن لا لساكنتهن ، وروى أنها فى مصحف ابن مسعود — رضى الله عنه — كذلك ، وكان الحسن — رحمه الله — اذا قرأها ، يقول : لهن والله ، لهن والله .

ولعل السر فى ذلك أن الاكراه ربما كان دون ما اعتبرته الشريعة ، وهو الذى يخاف منه التلغف ، فكان بقبول البغاء آثمت .

وأمر آخر بدا لى بعد ما أطلت النظر فى هذه الآيات الكثيرة التى ختمت بالغفران والرحمة والعفو والحلم والرافة ، وما الى هذه الصفات التى تبعث فى نفوس المؤمنين الأمل والرضا ، وتفتح لهم طريق العودة الى الله مع كثير من الرجاء .

ذلك الأمر هو أن القرآن الكريم يؤثر جانب الوعد على جانب الوعيد ، فضلا من الله ونعمة ، فهو سبحانه يلفت نظر المسلم وقلبه حتى فى المواضع التى تتملكه فيها الرهبة الى انه — جل وعلا — غفور رحيم . وهذا — اذا صدق الايمان — لا يدعو الى التهاون ، بل ربما بعث فى نفس المؤمن الخجل والحياء من الله ، أن يكون هو مقيما على معصيته الله ، والله سبحانه يعده العفو

والحلم . وبذلك يشتد اقباله على الله ، وتقوى رغبته فيما عنده .
ولعل مما أعاننى على هذا الفهم أن القرآن الكريم فى بعض المواضع التى ترتعد فيها النفوس من قسوة الوعيد يلاطفها بحسن الوعد ، لعلها ترجع بالترغيب ، كما ترجع بالترهيب . لنقرأ قوله تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » (١٠) فقد وقف المفسرون ، والناظرون فى معانى القرآن الكريم عند قوله تعالى : « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » وكيف جاء مع افتراض تكذيب أهل مكة للرسول ، وكيف جاء مع وصفهم فى آخر الآية بأنهم قوم مجرمون ، وقالوا أن التناسب غير واضح .
ومن ذكروا ذلك صاحب (البرهان) حيث قال : (ذو رحمة واسعة مع أن ظاهر الخطاب ذو عقوبة شديدة ، وإنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى فى الاجترار على معصيته ، وذلك أبلغ فى التهديد ، ومعناه لا تغفروا بسعة رحمة الله تعالى فى الاجترار على معصيته فانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم) .

وقول الزركشى هذا واضح التكلف ، فان الآية لا تدل على منعهم من الطمع فى سعة رحمة الله ، بل الذى يتبادر الى الذهن أن هذا اطماع لهم فى أن يرجعوا عن كفرهم ، فيدخلوا فى سعة رحمة الله ، ومع هذا اطماع نبههم الى أن الله سبحانه — مع سعة رحمته — ذو بأس شديد لا يرد عنه القوم المجرمين الذين لم تفرهم رحمة الله فظلوا على اجرامهم .
ولننظر — أيضا — الى قوله تعالى : « يا أيها الانسسان ما غرك بربك الكريم » (١١) وقد أطال العلماء فى بيان سر التعبير بالكريم فى هذه الآية ، وقالوا ان النظم كان يقتضى : ما غرك بربك القهار ، أو الجبار ، أو المنتقم — مثلا — لأن كونه كريما يشجعه على الاغترار بكرمه ، ولذلك روى عن أبى بكر الوراق أنه قال : لو قال لى : ما غرك بربك الكريم ؟ لقلت : غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال ربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته فى الإجابة ، حتى يقول : غرنى كرم الكريم .
والذى روى عن العلماء فى تفسير الآية فيه ما هو متقابل ، فبعضهم يمشى مع السياق الطبيعى للآية ، ويرى أن الله سبحانه أراد أن ينبه عبده الى أنه — جلت قدرته — كريم ، يعطى بغير من ، وبغير انقطاع ، وأن الانسان ما كان يتخذ من هذا الكرم باعثا له على عدم الاغترار ، وعلى الاجتهاد فى العبادة ، وعلى صدق الايمان ، فكثرة الكرم — كما يقول الرازى — توجب الجود والاجتهاد فى الخدمة ، والاستحياء من الاغترار والتوانى .
ونظر بعض المفسرين هنا ببیت امرىء القيس :

أغرك منى أن حبسك قتلتى

وانك مهمسا تأمرى القلب بفعل

مع أن بعض النقاد عابه قائلا : اذا لم يفرها هذا منه فمماذا يفرها .. ؟ ولكن أهل التدقيق فى المعانى أجابوا عن امرىء القيس بأن هذا مبالغة منه ، وتأسيس لها من أن يفرها هذا ، مع أنه موجب للغرور ، ولكن عند غيره ، أو مع غيرها ، وكأنه قال : اذا كان هذا يفر — وهو ولا شك كذلك — فما ينبغى أن بفرك منى ، لأنى ، وأن بلغ بى حبك ما بلغ ، وأن كان قلبى يستجيب لك ينبغى له أن يفر بسعة هذا المعطاء ، بل كان عليه أن كان سليم الفطرة أن فى كل ما تأمرين به — أملك ناصية امرىء القيس ، واستطيع أن أتغلب على كل هذا

الضعف فى نفسى ، فانا مخب ، خاضع للحب ، ولكن افكر عليك أن تخدمى
فتفترى بهذا منى .

ويمكن أن يقال : أن هذه الصفات متصل بعضها ببعض ، أى ما غرك
بربك الذى تكرم عليك بأن صورك فى صورة حسنة ، وهو اذا شاء جعلك فى
آية صورة أخرى ، هو منعم وهو قادر فلا ينبغى أن تفتخر بمن هذه صفاته .
ومع كل هذه التخريجات لا تغفل أن الله سبحانه — وهو أعلم بهراده —
أراد أن يرغب عباده فى عفوه ومغفرته وكرمه ، والا يجعل اليأس من كل ذلك
يسيطر على نفوسهم .

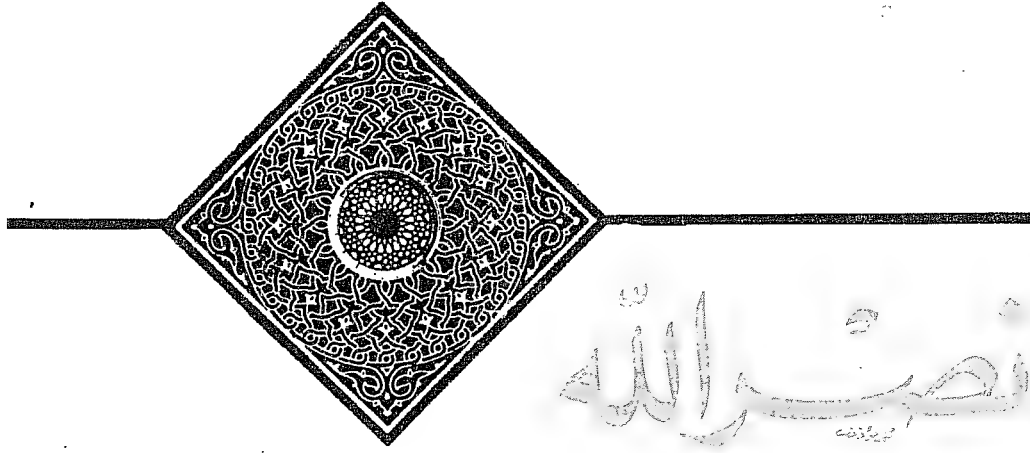
ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

ويبدو للدارس فى بعض الأحايين أن هاتين الصفتين (المغفرة والرحمة)
تجئتان لمجرد وصف الله تعالى بهما ، دون أن يكون هناك ذنب يشار إليه فى
الآية ، وكأن القرآن يقول : حتى لو توهم أن هنا ذنبا فان الله غفور رحيم .
نقرأ قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا
وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله وكان الله غفورا رحيمًا » .

فإن القرآن الكريم وصف بعض الذين لم يهاجروا بأنهم مستضعفون فى
الأرض ، وبأنهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فهم لا يجدون وسيلة
للهجرة بسبب الفقر والعجز ، وليس لهم علم بالمسالك فليس عليهم أذن جناح .
وقد أخرجهم الله سبحانه وتعالى من الوعيد السابق للذين تتوفاهم الملائكة ظالمى
أنفسهم ، فما المراد بقوله : « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا » ، وعم يعفو ؟ ان هذا وعد من الله سبحانه ، وعد مؤكد بالعفو عنهم ،
ولكن القرآن لم يشر الى ذنب ارتكبهوه ، فما السر ؟ لقد أجاب صاحب الكشف
بأن هذا (للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى ان
المضطر ، البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عني ،
فكيف بغيره) . وهو — بذلك — يقرر أنه لا ذنب لهؤلاء الا مجرد الخوف من
أن يكون تأخرهم مع اضطرارهم ذنبا ، ومع ذلك وصف الله سبحانه نفسه بأنه
عفو غفور لتكون هاتان الصفتان على ذكر دائم من المؤمنين الذين عاقبتهم ظروفهم
المادية والجسدية والنفسية عن الهجرة .

والقرآن الكريم وصف (الرجل) بأنه خرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله . وبأنه حين مات دون غايته وجب أجره على الله ، فأى ذنب جناه
هذا المهاجر ؟ لعل ذنبه أنه تأخر عن الهجرة فى وقتها الواجبة عليه فيه ، فآله
غفر له ذلك ، لكن القرآن يقول : « فقد وقع أجره على الله » . أى أنه لما
هاجر خالص النية لله ولرسوله كان ذلك كافيا فى أن يتكفل الله له بالأجر ،
وان لم يبلغ غايته التى هاجر اليها ، فوصف الله سبحانه نفسه هنا بالفقران
والرحمة لتذكير المؤمنين بهاتين الصفتين الكريمتين .

وقد أطلت فى هذا الموضع لأن الآيات التى ذكرت فيها هذه الصفات :
(الغفران — الرحمة — الرأفة — العفو) كثيرة فى القرآن الكريم ، وبعضها
يحتاج الى وقفة واعية متأملة ليصل الدارس الى سر ذكرها فى هذا الموضع
أو ذاك .



نصر الله للمؤمنين وهدايته لهم

للدكتور محمد البهي

فتجعل نصر المؤمنين لله شرطا أو مقدمة لنصر الله لهم . وتأتى آية أخرى لتؤكد هذا الشرط ، فى قول الله تعالى : « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز** » (الحج . ٤) والتعقيب فيها بقوله : « **ان الله لقوى عزيز** » ليوضح توافر أسباب النصر فى جانب الله ، وهى أسباب القوة والمنعة لديه . وهذا من شأنه أن لا يكون هناك عائق اطلاقا للنصر من جانب الله . ونصر المؤمنين لله لا يتصور الا باتباعهم هدايته ، على نحو ما جاء فى كتابه . وهداية الله هى تخطيط لموقف المؤمنين نحو ذواتهم ، ولوقفتهم من أعدائهم .

* يعد الله المؤمنين بنصرهم . ويؤكد وقوع النصر كأمر لا يتخلف فى حياتهم اطلاقا : « .. **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » (الروم ٤٧) . فيوجب عليه جل شأنه فى هذه الآية القرآنية : نصره للمؤمنين . بل لا يكون النصر للمؤمنين الا منه وحده ، سبحانه : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » (آل عمران ١٢٦) .

* هذا وعد الله فى كتابه . ولكن متى يتكفل الله بذلك للمؤمنين به؟ أو بعبارة أخرى : متى يتحقق النصر فعلا للمؤمنين به ؟ .

تقول آية قرآنية أخرى : « **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » (محمد ٧) ..

✽ فإذا قرأنا بعد الآية الأخيرة
هنا في سورة الحج قول الله تعالى :
« الَّذِينَ أَنْ مَكْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » (الحج ٤١) ..
وجدنا أن نصر المؤمنين لله باتباعهم
هدايته فيما يتعلق بذواتهم هو — أن
مكنوا — أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا
الزكاة ، ويأمروا بالمعروف ، وينهوا
عن المنكر .

ومعنى أقامتهم للصلاة : خضوعهم
لله وحده ، وتوكلهم عليه ، وعدم
طغيانهم بنعمه من قوة مادية ، أو
اقتصادية ، أو بالأولاد والعصبية ،
وبالجاه والسلطان .
إذا اتصلهم بالله في الصلاة عدة
مرات من شأنه أن يحملهم على
الرجوع الى كتاب الله فيما يتعلق
بسلوكهم .

ومعنى إيتائهم الزكاة : مشاركتهم
بأموالهم الخاصة في سد حاجة
الآخرين معهم في أمتهم ، وبعدهم بذلك
عن أن تسيطر عليهم الأنانية . ومن
لا تسيطر عليه الأنانية فهو إنسانى ،
قد تحول فعلا من الجاهلية المادية الى
الروحية الإنسانية في مجتمع اسلامى
ولذا جعل القرآن الكريم الظاهرة
المميزة للمؤمن — وهو غير الأنانى
شأننا — عن الجاهلى أو المادى ،
وهو أنانى : أن المؤمن يسد حاجة
المحتاج ، وهو محب لما يقوم به من
مشاركة في سد هذه الحاجة . يقول
تعالى في سورة الانسان ٧ :
« وَيُطْعِمُونَ الطَّمْعَامَ عَلَى حَيْثِهِ
(أى على حب الاطعام) مَسْكِينًا ،
وَيُنِيمُوا ، وَأَسِيرًا إِنَّمَا يُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ

الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »
بينما الجاهلى أو المادى الانانى لو
سئل في سبيل المشاركة في سد حاجة
غيره هذا وسخر من السائل ، وظن
أن السائل له في ضلال وحيرة :
« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَنْطَعِمُ
مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ، أَنْ أَنْتُمْ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » (يس ٤٧) .

ومعنى الأمر بالمعروف : قيامهم
بالواجبات ، سواء تلك التى فرضها
عليهم إيمانهم بالله ، أو الأخرى التى
يفرضونها هم على أنفسهم في المهود
والمواثيق لله ، وفى القبول والإيجاب
في المعاملات : « يوفون بالنذر » (وهو
الواجبات المختلفة) « يخافون يوما
كان شره مستطيرا » (الانسان ٩) .
أما النهى عن المنكر فهو العمل
على البعد عن الجرائم ، وبالأخص
الاجتماعية منها ، وهى التى تتعلق
بالنفوس ، والأموال ، والأعراض .

وأداء هذه الأمور الأربعة تجعل
للإنسان صلاحية : أن يتغلب على
أهوائه ، وبالتالي يؤثر المصلحة العامة
على المصلحة الفردية . وإيثار
المصلحة العامة هو عامل نجاح الأفراد
في عمل جماعى . وهو قبل ذلك
عامل في السيطرة على الفردية
المهلكة في الذات .

✽ أما اتباع المؤمنين هداية الله
في موقفهم من أعدائهم فيتمثل في ثلاثة
أمور ، يوضحها كتاب الله :

الأمر الأول : أن يمسد المؤمنون
أنفسهم لمواجهة أعدائهم في رد
عدوانهم ، أو في القضاء على مفتنهم

تصور الله للمؤمنين .. وهدايتهم لهم .

والاعداد القوى المتنوع اذن يجب ان يكون ملازما لوجود المؤمنين بالله لو قايبتهم من أعدائهم في الظاهر وفي الخفاء ، وفي حاضرتهم ومستقبلهم . فان قصر المؤمنون بالله في هذا الاعداد لم يكونوا عندئذ قد اتبعوا هداية الله التي هي شرط أساسى في نصره الله لهم على أعدائهم ، وبالتالي لا يكفل الله لهم النصر ، ان هم اشتبكوا في قتال مع هؤلاء الأعداء (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون (الأنفال ٦٠)) والاعداد للقوة لمواجهة العدو أو القضاء على فتنته ، في سبيل بقاء المؤمنين أحرارا يمارسون حقهم في الحياة في ظل هداية الله هو قطعاً في حاجة الى مال ، كما هو في حاجة الى رجال مؤمنين ، ينسون أنفسهم في سبيل الله ، وسبيل المصلحة العامة . وهنا ما ينفقه الأفراد على اعداد قوة المؤمنين يجعله الله جل شأنه في مستوى قرض اقترضه من الموسرين ، ويعد بوفائه من غير نقص أو بخس في قدره ومقداره . وفي به سبحانه في الدنيا والآخرة معا) .

والاعداد للقوة المادية ضرورة اسلامية لحياة المؤمنين ، وهدفه هو رقابة المؤمنين من اعتداء أعدائهم وأعداء الله عليهم ، وهم أولاً وأخيراً: الماديون ، ولو كانوا من أهل كتاب سبق .

والموسرون من المؤمنين في أي مكان مدعوون من قبل الاسلام بالاسهام في اعداد المؤمنين للقوة المادية ، مع عهد الله على نفسه بالوفاء لهم وثناء حسنا . والقرآن هنا اذ يقول للمؤمنين : « وما تنفقوا في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » .. لا يعرف فواصل ولا

واعداد المؤمنين أنفسهم هنا هو اعداد القوة المادية في الدرجة الأولى . اذ الاعداد النفسى أو الذاتى قائم فعلاً بأداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . ويوجب الله على المؤمنين اعداد أنفسهم بالقوة في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (ويدخل في حساب القوة : حسن التدريب على أساس علمى ومنهجى ، واقتناء الوسائل المتفوقة في القتال واستكشاف وضع العدو ، وجودة الاعلام والتبصير في الوسائل وفي الموضوعية ، وغير ذلك مما ينتج الى التفوق في الاعداد) ومن رباط الخيل (وهو مثل من الأمثلة التي يقوم عليها الاعداد القوى ، وليس حصراً الوسائل التمكن والاعداد وانما ذلك بحسب العصور المختلفة)

ترهبون به عدو الله ، وعدوكم (أي والهدف من الاعداد القوى ليس هو الاعتداء على الآخرين ، أو المدوان على حرمات الغير . وانما هو ارهاب عدو الله وعدو المؤمنين معا . وعدو الله والمؤمنين معا هو ذلك الوثنى المادى أو الجاهلى الذى ينكر القيم الانسانية في سلوكه وفي تعامله ، ويلجأ الى الميكانيكية واللا أخلاقية في تحقيق أهدافه . وأرهاب عدو الله وعدو المؤمنين هو حائل يحول دون مباشرة عدوانه أو هو وقاية من عدوانه المفاجيء)

وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (وعدو الله وعدو المؤمنين ليس هو فقط ذلك الفريق الذى يجهر بعداوتهم للمؤمنين وهداية الله . وانما من وراءه ومتستر خلفه : عدو لله وللمؤمنين أيضاً ، أو قد يخرج من هذا الظاهر جيل أو أجيال قادمة تباشر عداوة الله وعداوة المؤمنين .

حدودا بين المؤمنين من القومية ،
والشعوبية ، واللغوية .

تكوين شخصيتهم . والتفوق فى
الامان قد يكون بالحصون
والاستحكامات . وقد يكون بالأسلحة
المتفوقة تكنولوجيا ، أو بالأسلحة
الهجومية ، كما يقال . وقد يكون
بما يسمى الحرص على ميزان القوى
بينهم وبين أعدائهم . أى أنهم يضمنون
لأنفسهم التفوق النوعى فى الاعداد
للقتال ، مقابل تفوق أعدائهم فى
العدد . ومعنى ذلك أيضا : أن يمنع
اعداؤهم بصورة أو بأخرى من
التفوق النوعى فى السلاح وفى
التدريب ، طالما هم أكثر منهم عددا ،
والميزان اذن هو ميزان النوع فى
مقابل ميزان الكم .

الأمر الثانى : أن يرجع المؤمنون
الى كتاب الله ليتفوا على طبيعة
أعدائهم ، وما لهذه الطبيعة من
سلبات ، فان هم رجعوا الى القرآن
ليقتفوا على طبيعة الأعداء الذين تفشى
بينهم النفاق ، والغدر حول مدينة
الرسول عليه السلام على عهده ،
وهم بنوا النضير واخوانهم فى
قريظة ، فانهم سيقفون على طبيعة
تغلب عليها الانانية وحب الذات ،
ويغلب عليها الميل الى التصديق
بالمحسوس وحده . وكل صفة من
هاتين الصفتين تتبعها آثار بارزة فى
السلوك والمعاملة من أصحاب الطبيعة
أنفسهم :

فحب الذات يستتبعه الجبن .
والجبان لا يقاتل فى مواجهة عدوه .
وانما يقبل على القتال من وراء حجاب
اذا أمن آثار القتال على حياته . يقول
الله تعالى : « لا يقاتلونكم هميها الا
فى قرى محصنة ، أو من وراء جدر »
يقول سبحانه ذلك فى وصف
طبيعة اليهود من بنى النضير .
واذ يقول ذلك لا يقوله خاصا بهذا
الفريق من سكان بنى النضير بالقرب
من المدينة على عهد الرسالة . وانما
يقوله كصفة عامة لليهود الذى تحولوا
عن رسالة موسى الى الايمان بالمادية
وحدها ، والكفر بالروحانية والقيم
الانسانية جميعا . ومن قول الله هذا
فى تحديد هذه الطبيعة يتجلى : أن
اليهود لا يجتمعون على قتال غيرهم
الا بشرط التفوق فى الامان . فهم
محبون لذواتهم حبا شديدا ، ويؤثرون
ذواتهم على مجتمعهم وأهدافه . أى
أن الفردية وعدم التضحية بالذات
فيما يسمى بمثل عليا أساسان فى

وحب الذات كما يستتبع الجبن :
يستتبع الفرقة أو الفردية . وهى عدم
الترايط بين الأفراد على أساس رباط
نفسى أو معنوى أو ايمانى مشترك .
والفردية كما هى عامل من عوامل
الضعف فى المجتمع ، هى عامل أيضا
من عوامل الحقد ، والتنافس البغيض ،
والخصومة الحادة بين الأفراد فى
المجتمع الواحد . ويصف هذه
النتيجة قوله تعالى فى الآية ذاتها :
« بأنفسهم بينهم شديدا » (الحشر ١٤)
(أى خصومتهم فيما بينهم شديدة .
وهى تلك الخصومة القائمة على جراءة
فيهم) « تحسبهم جميعا ، وقلوبهم
شتى » (وقد يظن أنهم يجتمعون
فيما بينهم على أمر ما . ولكن واقع
الأمر أن قلوبهم متفرقة لأنه لا يعمرها
الا حب الذات وحدها » .
اما الميل الى التصديق بالمحسوس
نفسه فيولد فى نفوسهم الرهبة من
القوة المادية وحدها . أى أنه اذا
انضمت الى القوة العددية لأعدائهم
قوة نوهية فى الاعداد والتدريب
فالخشية من لقائهم لهؤلاء الاعداء

تتواضع في قلوبهم

١ - أن اليهود لا يهربون إلا القوة المادية ، في كمها ونوعها ، لأنهم لا يؤمنون إلا بالمحسنوس ، ويكفرون تبعاً لذلك بالقيم الإنسانية .

٢ - وأن اليهود تسود بينهم الفرقة النفسية والخصوصة العنيفة ، تبعاً لحب الذات وسيادة الفردية عليهم .

٣ - وأن صفة الجبن تتمكن من نفوسهم . فهم لا يقاتلون إلا محصنين أو متفوقين في أعدادهم للقتال . وعدتهم في وسائله ، ومن أجل ذلك تحملهم تضحية أعدائهم عند المواجهة على الفرار والتخلي عن القتال .

فاذا قابلهم المؤمنون بقوة الإيمان وبقوة السلاح ، وبروح التضحية فانه لا مفر من خذلانهم وهزيمتهم . وهنا يكون نصر الله . ولذا أراد الله أن يؤكد في هدايته في كتابه هذه النتيجة ، ويسجلها لإجيال المؤمنين المتعاقبة . في قوله تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم » (أى ظاهروا المشركين وساندوهم . فى غزوة الأحزاب ضد المؤمنين) من أهل الكتاب من صياصيهم (أى من حصونهم ومعاقلهم) وقذف في قلوبهم الرعب (أى أوصل إلى قلوبهم الرعب من المؤمنين . بسبب كثرتهم فى العدد . وصبرهم على حصار الأعداء . ورغبتهم الأكيدة فى القتال) فريقتا تقتلون ، وتأسرون فريقتا (الأحزاب ٢٦) .

ثم أضافت هداية الله الى تسجيل هزيمة الأعداء من اليهود حول المدينة : فعل الله بأن أورت المؤمنين به ما لهؤلاء الأعداء : من أراض . وأموال ، وديار ، إيدانا منه سبحانه

ستكون عميقة وعظيمة فى نفوسهم ويقول الله فى ذلك فى سورة الحشر أيضاً : « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله » (أى أن المؤمنين فى المدينة بعد أن أصبحوا الآن قوة عددية يحسب حسابها من قریش ومن على شاكلتها من مشركى القبائل العربية بالإضافة الى قوتهم النوعية التى كانت لهم وتجلت فى غزوة « بدر » من قبل وهى قوة الايمان : أصبحوا مصدر إرهاب لليهود بنى النضير ومن حول المدينة ، يخافونها أكثر من خوفهم من الله . لأنهم رأوا هذه القوة للمؤمنين بأعينهم . ولكنهم لم يروا الله محسوسا حتى يخشوا من عظمتهم . ولذلك نقضوا ايمانهم بالله فى عهد موسى ، وطالبوه بأن يريهم الله حتى يعيدوا الايمان به من جديد . ويقص ذلك كتاب الله فى قوله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : ارنا الله جهرة فآخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » (النساء ١٥٣) . وهم اذن لا يؤمنون الا بالمحسوس مجسدا .

والأمر الثانى فى هداية الله الذى يجب أن يقف عليه المؤمنون به . خاصا بطبيعة أعدائهم : يقدم لهم معرفة الهبة لا تخطئ إطلاقا . والخطأ أن وقع يكون فى عدم اتباعها . وعداوة اليهود للمؤمنين هى عداوة تاريخية . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف عن هذه الطبيعة فى وضوح ، ويجعلها من المعتقدات التى لا تترك أبدا ، حتى لا يغفل عنها المؤمنون فى وقت من أوقاتهم .

وقد قدم لهم فى هذه المعرفة :

بأن هؤلاء الأعداء لن يستقر لهم فى تاريخ البشرية وضع بعد ذلك ، مهما كان شأنهم ، أمام المؤمنين بالله ، ان هم اتبعوا هدايته كما خططت هنا فى قرآنه المجيد :

« وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطؤوها ، وكان الله على كل شيء قديرا » (الأحزاب ٢٧) .

وما صورته هنا هداية الله بشأن ما يتبع مع الأعداء من اليهود الماديين ومن النتائج التى تترتب على اتباعها لنصر المؤمنين لا يعوضه بحال انصراف المسلمين اليوم فى مجتمعاتهم الى مصادر أخرى للمعرفة تقيهم شر هؤلاء الأعداء فى حاضرهم وفى محنتهم القائمة معهم اليوم .

والأمر الثالث : عندما تكون المؤمنين قوتهم المرهبة — وهى القوة المادية والنوعية التى يراها هؤلاء من أهل الكتاب — وجوب قتالهم دفعا لعدوانهم لعموم قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعندوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة ١٩) . فان لم يكن لهم عدوان فيجب ان يتحقق للمؤمنين هدف القتال معهم ، وهو الوقاية من أذاهم ، وذلك باستسلامهم وخضوعهم . ويقتل منهم المؤمنون هذا الاستسلام طبقا لقوله تعالى فى سورة الأنفال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله أنه هو السميع العليم » والسلم هو الاستسلام أو المسالة . والجنوح اليه هو الميل له . وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ومن رباط ترهبون به عدو الله وعدوكم ،

وأخرين من دونهم لا تعلمونهم » . ولكن ليس المقصود من التعقيب بها بعدها : ان يتراخى المسلمون فى أعداد انفسهم للقتال ، عندما يقبلون عرض أعدائهم بالمسالة . لأن تراخيهم فى الأعداد قبول منهم للمذلة ، ووصول بهم الى فقد استطاعتهم فى فرض السلام فى حياتهم ، على أعدائهم . وانما المقصود من هذا التعقيب : ان طلب أعداء المؤمنين منهم ان يسالموهم — والمؤمنون فى حال قتال معهم .. أو فى حال هدوء قائم على الأعداد للقتال — فعلى المؤمنين ان يكفوا عن القتال .. أو يظلوا فى حال الهدوء ، مع الاستمرار فى حالة الأعداد للقتال . وفى حال قبول المؤمنين لمسالة أعداء الله وأعدائهم من أهل الكتاب يجب ان يتوكلوا على الله فى قبولها . لأن الله خير مساعد لهم فى وقاية مجتمعهم ، ودينهم ، معا . « وان يريدوا ان يخذعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين : وألف بين قلوبهم أو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف ألف بينهم » (واذا استهدف الأعداء من عرضهم للسلم وقبول المؤمنين له : خداع المؤمنين لفترة ، ينقضون بعدها عليهم ، فالله كافى المؤمنين فى تفويت هذه الخديعة على المخادعين . أولا : لأن الله هو الذى أرشدهم وطالب منهم ان يكونوا على استعداد مادى .. ونفسى فى مواجهة أعدائهم . وثانيا : هو الذى ربط بين المؤمنين برباط واحد ، وهو رباط الايمان بالله بدلا من الرباط القبلى والأسرى السابق . وهو رباط يقوى على الأحداث . ويتفوق فى أثره فى مواجهة الأزمات . والأمران معا ، من أعداد القوة ورباط الايمان .. كهيلا بأن

نصر الله للمؤمنين .. وهديتهم لهم .

لهم .. وتحريضا غير مباشر لاعدائهم على أن يستطيعوا منذ الآن أن ينالوا منهم ، ويفرضوا عليهم شأن عداوتهم .. إذا كان يمنعهم من ذلك ، فإنه لا يرى بحال : التراخي في حال اعداد الامة للقتال اثناء الهدنة .. ولا يرى كذلك : ان تفوت الهدنة على المؤمنين : هدفهم في رقابة مجتمعهم ، ودينهم مما من فرض القتال عليهم ، كوسيلة لدفع اهل الكتاب الى الاستسلام .



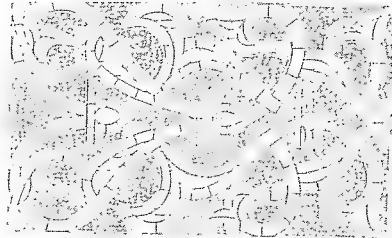
وعندئذ اذا التزم المؤمنون بهداية الله في علاقتهم بأعدائهم فإنه من الضروري أن ينتصروا عليهم اذا اشتبكوا معهم في قتال ، ونصر الله للمؤمنين اذن لا يدخل في باب الاعجاز بل هو قانون من قوانين الحياة الانسانية يمثل ارادة الله . فمشيئة الله تقضى أن ينتصر المؤمنون عندما يتبعون سبيله . وهى تلك السبيل التي أعلن عنها الوحي في كتاب الله . وهذا القانون كما كان له اعتباره في الماضي على عهد الرسول عليه السلام يكون اعتباره في الحاضر والمستقبل . فان الطبايع البشرية لا تتغير وارادة الله في حياة الانسان مرتبطة بخصائصه الانسانية .

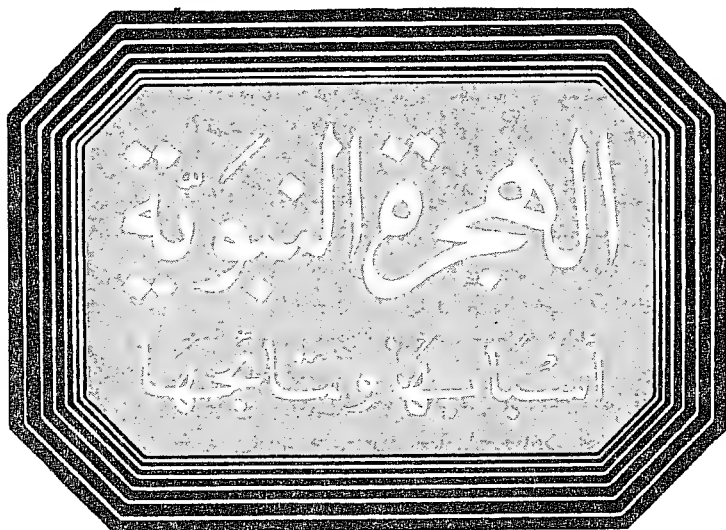
يستتبعا النصر للمؤمنين أصحاب القوة ، في لقاء القتال مع اعداء ماديين ، لا تربطهم الأروابط المنفعية والمبادلات المادية) ، « انه عزيز حكيم » (الانفال ٦١ - ٦٣) .

(ومن صفات الله جل شأنه : العزة والمنعة ، وتفوقه في القدرة على كل موجود سواه .. والحكمة كذلك . وهى البعد عن سوء التقدير .. وعن الجهل ، والحق ، ويريد جل شأنه للمؤمنين به في عبادتهم آياه : أن يحاكوا في انفسهم : هاتين الصفتين صفة العزة .. وصفة الحكمة .

والمؤمنون على سبيل الحقيقة : هم الأقوياء الذين يحولون بقوتهم دون اعتداء اعدائهم عليهم .. وهم كذلك أصحاب الحكمة في توجيه قدرتهم . ومن الحكمة هنا : أن يقبل المؤمنون طلب الهدنة من الأعداء . ولكنه قبول في حذر وحيلة ، تمنع من الغدر ، والخداع والخيانة . وحيطتهم هى أن يبقوا على قوتهم دائما) .

واذا كان القرآن يمنع المؤمنين من أن يطلبوا بادئ ذي بدء : الهدنة مع الأعداء ، في قوله تعالى في السورة التاسعة في الوحي المدنى ، وهو سورة محمد ٣٥ : « فلا تهنوا ، وتدعوا الى السلام ، وأنتم الأعلون » .. لأنه يرى في طلبها ، امتهانا





للدكتور/ احمد الحجى الكردى

لم تكن الهجرة النبوية رحلة اجمام قام بها النبي — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة للنزهة أو الترفيه ، كما لم تكن هربا من العذاب الشديد الذى كانوا يلاقونه على أيدي بعض زعماء قريش ابتغاء الخلود الى الراحة والسكينة ، وايثار العاقبة على المعاناة ، ولم تكن ايضا تخليا عن المسؤولية عن البلد الحرام الذى بقى ابد الدهر موئلا للاتقياء والعباد من بنى البشر ، ولا فرارا من الزحف ، ولكنها كانت مرحلة ضرورية لابد منها لسلامة سير الدعوة الاسلامية بعد أن كادت تصل الى طريق مسدودة . فهي اذن مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وخطوة من خطوات الدعوة الى الاسلام كان لها أسبابها الكثيرة المتشابكة .

وأهم هذه الاسباب :

١) اشتداد العذاب الذى كان يمارسه كفار قريش ضد المستضعفين من المؤمنين . ولو ذهبنا نتحدث عن أساليب التعذيب الوحشية التى كان يمارسها بعض زعماء قريش ضد هؤلاء المستضعفين لكتبنا فى ذلك المجلدات دون أن تنتهى هذه الصور . وحسبنا أن — نشير الى قصص تعذيب بلال وياسر وسمية وابنهما عمار ، وغير ذلك .

وينبغي ان يتنبه هنا الى ان هذا التعذيب لم يكن هو الدافع الى الهجرة او أحد الدوافع اليها بقصد الخلاص من العذاب ، ولكنه الدافع اليها بغية تمكين الاسلام من الانتشار ، ذلك ان العذاب كان يثنى كثيرا من الهمم المتشوقة الى الدخول فى الاسلام من الدخول فيه خشية ان يصيبها من العذاب ما يصيب هؤلاء المستضعفين . وذلك بدليل أن عدد المسلمين ازداد زيادة كبيرة بعد الهجرة وخلاص المؤمنين من هذا العذاب ، كما ان أحدا من المؤمنين الذين لاقوا العذاب الشديد لم يرجع عن اسلامه ، بل فضلوا جميعا الصبر على العذاب واحتمال الاذى والموت على الارتداد الى الكفر بعد الايمان ، وما قصة ياسر وسمية وزوجه عنا ببعيدة .

(٢) الحصار الاقتصادي :

ذلك ان الكفار عندما شعروا بعجزهم عن ايقاف مد الدعوة الاسلامية رغم كل انواع العذاب الذى مارسوه ضد المسلمين قرروا محاصرة بنى هاشم والمسلمين محاصرة اقتصادية كاملة تحول بينهم وبين ضروريات العيش البسيط ، وتمنعهم من الاتصال بأحد من العرب او غيرهم ، فاتفقوا على كتابة الصحيفة التى علقوها فى جوف الكعبة ، تلك التى عانى منها بنو هاشم والمسلمون انواع العذاب والحرمان حتى كادوا يأكلون أوراق الشجر من شدة الجوع ، ولقد كان باستطاعتهم ان يحتملوا ذلك كله لو انه اتاحت لهم معه حرية ممارسة الدعوة الى الاسلام فى انحاء الجزيرة العربية ، ولكن الأسى كان يحز فى نفوسهم عندما أضحت هذه الصحيفة المشؤومة حائلا بينهم وبين الاتصال بالعرب فى غير المواسم الدينية القليلة مما يجعل دعوتهم تسير نحو الاختناق فى قمقها لا محالة لو استمروا هم على اقامتهم فى مكة .

هذا ولا يضر ان الصحيفة نقضت قبيل الهجرة ، ذلك ان آثارها لم تزل باقية ، وأنى لها أن تزول وقد أدمت قلوب المسلمين وقرحت أكبادهم ، وأهاجت أحقاد العرب عليهم .

(٣) وفاة الناصرين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ان الله سبحانه قيض لرسوله الكريم ناصرين له من أهله يواسونه ويخففون من آلامه ، ويدافعون عنه ويمنعون اذى الكفار من أن يصيبه ، ذلك الذى وصل الى درجة لا يستطيع انسان عادى احتمالها ، وهما خديجة بنت خويلد وزوجه الكريمة التى وقفت الى جانبه بمالها وجاهاها ، ونصبت من نفسها مواسيا لجراحه ومخففا لآزائه ، وعمه أبو طالب ، ذلك الإنسان الذى وقف الى جانب النبى - صلى الله عليه وسلم - على كفره فى جميع المواقف يدافع عنه ويحميه وينتصر له وهو من هو فى مكانته ومقامه من قريش . أما الآن فقد ماتا متتابعين فى عام واحد والحق ذلك الحزن العميق بنفس النبى - صلى الله عليه وسلم - لفقده المواسى فى المهمات ، والدافع فى المهمات ، حتى أصبح عرضة للعذاب الشديد الذى يحول بينه وبين تنفيذ

مهماته ومتابعته دعوته ، الامر الذى يتوجب معه الانتقال الى دار اخرى وقوم آخرين يحمونه ويدافعون عنه ويؤمنون به .
(كبرياء قريش وتعاليلها :

فقد كانت قريش تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب منذ القديم ، ذلك انها حامية بيت الله تعالى ، الذى يجتمع فيه العرب جميعا فى كل عام من شتى ارجاء الجزيرة العربية للحج والتجارة وانشاد الشعر والادب . وقد حالت هذه المكانة بينها وبين الدخول فى الاسلام الذى يسوى بين كل الناس قرشى وغير قرشى ، وعربى وغير عربى . ذلك ان الاسلام دائما يعلن المساواة التامة بين جميع البشر ، وان السبب الوحيد للمفاضلة بينهم هو تقوى الله تعالى . وقد حاول النبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — طيلة ثلاثة عشر عاما ان يصل الى نفوس القرشيين عبر تلك الكبرياء . وذلك التجبر دون ان يمس به بسوء او يقضى عليه لعلمهم يرجعون عن غيهم وينتهون من غفلتهم ، فرضى بتخصيص مجلس خاص بهم بعيدا عن عامة المسلمين ، ولكنهم ابوا الا العناد والتعالى على الاسلام والمسلمين حتى لم يعد بد من كسر هذا الكبرياء والتعالى واستعمال السلاح والقوة ، ولكن انى للنبى — صلى الله عليه وسلم هذه القوة لو لم يهاجر الى المدينة المنورة لاعداد الجيش والمجاهدين .

ذلك ما اضطر معه النبى — عليه الصلاة والسلام آخر الامر الى الرحيل من ديارهم ثم العودة اليهم بعد ذلك عودة الفاتحين المنتصرين ، يكسر عنادهم وتعاليلهم بحد السيف ولسان الرمح فتفتتح قلوبهم بعد ان زالت الاغلال عنها وتنتيخ لصوت الحق ، وتحمل لواء الفضيلة والهداية ، وتدخل فى دين الله افواجا .

هذه هى اهم الاسباب التى دفعت النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الهجرة من بلد الله الحرام مسقط راسه ومحط امله واحب بلاد الله اليه . ذلك ان الدعوة التى انزلت عليه من الله تعالى وامر بتبليغها للناس كافة كانت احب اليه من بلده ومن الدنيا جميعها ، فغادرها وهو يناديها بنفس مكتئبة وقلب حزين انك لاحب بلاد الله الى ، ولو لا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت (او كما قال) .

هذه اهم الاسباب التى دفعت النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الهجرة ، وهى بمجموعها تتركز حول حرصه — صلى الله عليه وسلم — على سلامة سير الدعوة الاسلامية نحو القلوب المقفلة والنفوس المظلمة .
والآن لا بد لنا ان نتساءل : هل حققت الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة الغاية المرجوة منها .. ؟

وللاجابة على ذلك فان علينا ان نتطلع الى النتائج التى انتهت اليها هذه الهجرة الكريمة ، والى سير الدعوة الاسلامية بعدها . واذا ما فعلنا ذلك فإننا سوف نرى ان الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبرى فى طريق الدعوة

الإسلامية ، فقد انتقلت بها من عهد الى عهد آخر يختلف فى كثير من جوانبه عن العهد الاول .

ويتجلى ذلك فى النقاط التالية :

(١) حرية الدعوة الى الله تعالى

فقد أصبح النبى — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة المنورة حراً طليقا يدعو الى ربه سبحانه من شاء فى أى وقت شاء ، دون ما رقيب عليه أو معارض له . فهؤلاء هم الأوس والخزرج فى المدينة يلتفون حوله ويدافعون عنه ويحمونه ويؤمنون به ، وهم من هم فى قوتهم وجلدهم ، فقد أعطوه العهد والميثاق يوم العقبة على شركهم وعدم ايمانهم به بعد لا ينالونه باذى ، لانهم بصدد دراستهم لاحواله ودعوته وفى طريقهم للإيمان به . هذه الحرية لم تكن متاحة للنبى — صلى الله عليه وسلم — فى مكة ، فقد كان اذى قريش يناله وينال كل من يتصل به أو ينصت اليه فيصرف ذلك الناس عن الإيمان به .

(٢) الخلاص من عذاب قريش واذاها

فقد كانت قريش تنال المسلمين والمستضعفين منهم خاصة باذى شديد لا يحتمله بشر والامثلة على ذلك كثيرة لا تعد . وهذا العذاب صارف ولا بد لكثير من النفوس عن التفكير فى الاسلام والإيمان به لما ركبت عليه النفوس الانسانية من ضعف خلقى . أما فى المدينة فقد أصبح المسلمون فى أمان الله بصيدين عن ان تنالهم ايدي المشركين باذى ، فان المدينة بلد — حصين — وان الانصار قوم أشداء وأقوياء وقد آخو المهاجرين والتزموا بحمايتهم والدفاع عنهم .

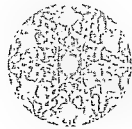
(٣) تفرغ النبى — صلى الله عليه وسلم — لبناء الدولة ، فقد أمضى فى مكة ثلاثة عشر عاما كان فيها مشغولا ببناء الفرد لم يتحول عنه ، أما بناء الدولة والمجتمع المسلم فهو ما لا سبيل اليه فى مكة مع قلة العدد وشدة العدو . أما الآن فقد زاد عدد المسلمين وتفقهوا جميعا فى دين الله تعالى ، وحف عنهم اذى قريش ، لذلك فائنا نرى النبى — صلى الله عليه وسلم — قد انصرف الى بناء الدولة الاسلامية وتنظيم المجتمع المسلم على أسس مخططة مدروسة اثمرت أقوى دولة عرفها التاريخ البشرى تناسقا وتماسكا وحضارة ورفاها . دولة تحمل النور والهداية والعلم للعالم كله ، فتشير بذلك قلوبا مظلمة ، وتفتح أفكارا مغلقة ، وتهدى نفوسا طالما تعطشت الى العدالة والحرية والحق ، وتخلص بذلك الانسانية المعذبة كلها من الهاوية التى كادت تتردى فيها . فحق لها أن تكون بذلك كله خير دعوة وخير رسالة حملتها خير أمة اخرجت للناس .

وعلى ذلك تكون الهجرة النبوية نقطة تحول كبرى فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، انتقلت بها من مرحلة بناء الفرد الى مرحلة بناء الجماعة والدولة .

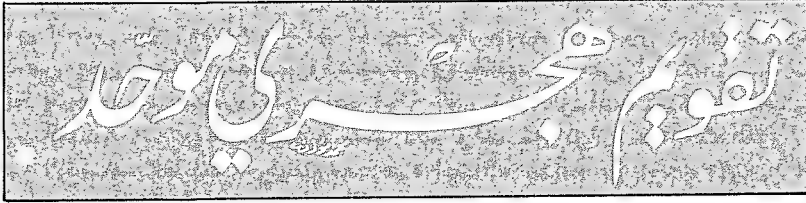
وقد واكب القرآن هذا التحول ، فبينما كان يعنى فى مكة المكرمة ببناء العقيدة والاخلاق وترسيخ القيم وغسل الافكار والقلوب مما ران عليها من الجهل والضلال ، أصبح يعنى فى المدينة المنورة بأمر التشريع وتنظيم العلاقات بين افراد المجتمع من النواحي المختلفة المادية منها والمعنوية وبقيما على أسس من العدالة وتكافؤ الفرص أمام جميع المسلمين ، بل أمام جميع الناس على اختلاف لغاتهم واجناسهم ودياناتهم ، حتى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يعلن دائما قوله الشريف (من آذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة) ، ويعلن قوله (كلكم لآدم وادم من تراب) ، فانه ليس بعد هذا الانصاف انصاف ، وليس بعد هذه العدالة عدالة على وجه الارض .

٤ (تفرغ النبى — صلى الله عليه وسلم — للوقوف فى وجه الكفر ان للضلال ، وصدّه بالدليل والبرهان ، وبالقوة والحرب . فانه من المعروف أن للضلال شوكة فى كثير من الاحيان لا يمكن ردها بالدليل والبرهان وحده ، ولا بالحوار فقط ، بل انه يحتاج فى كثير من الاحيان مع الدليل والمجادلة بالحسنى الى السلاح ، وهو ما لم يكن متيسرا للنبى — صلى الله عليه وسلم — فى مكة مع قلة عدد المؤمنين وضعف قوتهم أمام كبرياء قريش وشذتها ، ولكنه تيسر للنبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك فى المدينة المنورة . فقد استطاع أن يعد جيشا من المؤمنين تمكن به من أن يدرا الاذى عنهم ، كما استطاع به أن يفك الاقفال الثقيلة التى جثت على صدور كفار قريش وغيرها من العرب ، فلم تدع النور الالهى يصل اليها الى أن فكها سيف المسلمين ، وازال الفشاوة التى تركها رانا على تلك القلوب الطيبة ، وهو ما يشير اليه النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — بقوله — (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا) ، ذلك أن الفقه هو استنارة القلب بنور الله بعد ازاحة غشاوة الكفر والعناد والشرك من فوقه .

وبذلك نستطيع أن نؤكد أن الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة قد آتت اكلها وثمارها وانتجت كل نتائجها المرجوة منها ، وكانت بذلك فتحا كبيرا فى تاريخ الدعوة الاسلامية مما حدى بأمر المؤمنين عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — ان يجعل منها منبثقا للتاريخ الاسلامى ، اشارة منه بمكانتها وأهميتها . وحق له أن يفعل ذلك . رضى الله عنه وعن الصحابة اجمعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحاجة إلى



يكون عليه عمل المسلمين في الأرض جميعاً

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

في اليوم الذي يطلع فيه هلال المحرم ، يبشر بميلاد العام الهجري الجديد ، ندعو الباري تعالى الذي قدر لنا في شهر رمضان من العام المنصرم انتصارات تاريخية على أخبث عدو عرفه الناس أن يبشرنا في هذا العام الجديد بمزيد من النصر والتأييد والأمن والفلاح والرخاء ، ونسأله سبحانه أن يبارك وحدة عروبتنا الإسلامية ويجعلها بداية لمولد دولة إسلامية موحدة يخشى بأسها ويحسب حسابها .

أنتهز هذه المناسبة لأشرح لآخواننا في الشرق الإسلامي عن طريق هذه المجلة المباركة مدى حاجة آخوانهم الذين يعيشون في العالم العربي لتقويم هجري موحد ، يعد وينشر الأعوام سابقة كي يرتبوا حياتهم وأعمالهم ونشاطهم الإسلامي على ضوءه دون شك واضطراب ، ودون انتظار حتى آخر لحظة كي يسمعون بالحكم بثبوت الرؤية في بلد آخر — ثم يقال لهم أن شهر الصوم قد بدأ ، أو أن عيد الفطر يحتفل به بعد سويعات ، مما لا يتفق مع نظام الحياة في هذه البلاد التي لا يزال الإسلام فيها غريباً .

تتفضل الإدارة العامة للحساب المساحي والأرصاء بالقاهرة فتعد التقويم الإسلامي لكل عام وتبعنه للمراكز الإسلامية الكبرى ، وفي مقدمتها المركز الإسلامي بواشنطن ، وذلك على حسب التوقيت الزمني للمدينة التي يوجد بها المركز الإسلامي ، ويبين في هذا التقويم التواريخ والأعياد الإسلامية على طول العام بالمقارنة للتواريخ الشمسية ، كما يشتمل على قوائم لمواعيد الصلاة اليومية ، والمسلمون يدينون بالفضل والشكر الجزيل للسيد مدير

الإدارة المذكورة ومعاونيه الكرام ، فان اعداد هذه القوائم يتطلب عمليات حسابية ومجهودات مضمّنة ومراجعات دقيقة .

وفور وصول التقويم اليّنا يقوم المركز بنقل هذه القوائم الى اللغّة الانجليزية واعدادها للطبع بكيفية تتناسب مع الحاجة المحلية ثم يطبع آلاف النسخ من التقويم ويوزعها قبل عيد الهجرة على المسلمين في شتى النواحي بأمريكا الشمالية .

وبوصول التقويم ليد المسلمين ، يقفون على تواريخ اعيادهم ومواسمهم الدينية ، فيقيدونها في مفكراتهم ، ويرتبون على أساسها مواعيد اجازاتهم ، وقد يتقدم من يحتاج منهم الى رئيس الشركة او المصلحة التي يعمل بها بطلب اجازة او اجازات من العمل في هذه التواريخ ليتيسر لهم ولعائلاتهم الاشتراك في النشاط الاسلامي في هذه الايام .

وليس من المستحسن أن ينتظر الموظف في شك الى آخر لحظة متلقفا الأخبار حتى يسمع في إحدى الأمسيات أن شهر رمضان يبدأ الليلة فينوى الصيام ، أو أن عيد الفطر سيكون غدا فيتخلف عن عمله في صباح اليوم التالي ليكون مع اخوانه المسلمين ثم يعتذر لرؤسائه في العمل في اليوم الذي يليه ، فمثل هذا يؤثر على علاقته مع الشركة او المصلحة التي يعمل بها ، وقد يؤدي الى طرده وحرمانه من مورد رزقه ، كما أنه لا شك ان ذلك ليس في صالح العمل نفسه ، وفوق هذا فقد لا يتيسر لكثير من أعضاء الجالية الاسلامية سماع النشرة من راديو خارجي أو من صديق أو زميل مسلم ، وبالتالي يفوتهم صوم اليوم أو الاشتراك في يوم العيد .

والعطلات الرسمية هنا في أمريكا منها ما هو مناسبات دينية مسيحية ومنها ما هو مناسبات وطنية ، وقد نشط اليهود وأصروا على المطالبة بحق اجازاتهم أيام اعيادهم ومواسمهم الدينية ، بالإضافة الى العطلات العامة ، دون خصم شيء من رواتبهم ، وقد حصلوا على ذلك ، بل إن بعض الولايات الأمريكية مثل ولاية نيويورك تحتفل بالمناسبات الدينية اليهودية وتعطل فيها المصالح ودور الحكومة ، لذلك نشط بعض المسلمين من طلاب وموظفين وطالبوا المسؤولين باعفائهم من العمل أو الدراسة أيام المواسم الدينية الاسلامية ، وقد ظفر بعضهم بهذا الحق ، وبدأت بعض هذه المصالح والجامعات تكتب لنا تطلب قوائم بالمواسم الاسلامية لعدد من السنين مقدما ، وقد طلبت منا جامعة « هارفر » المشهورة أن أبعث لها بتقويم اسلامي للسنوات العشرة القادمة كما أن عددا من دور النشر التي تعنى بنشر التقاويم لمختلف الأديان طلبت منا تزويدها بهذه التقاويم ، وهذا لديهم شيء مألوف فان للمسيحيين واليهود تقاويم جاهزة لعدد كثير من السنوات المقبلة لا يتطرق لتواريخها الشك ولا تتعرض للاختلاف ، وينظم رجال الاعمال رحلاتهم واجازاتهم على أساس هذه التقاويم في وقت مبكر ، ويتطلع المسلمون الذين يعيشون في بلاد الغرب ليتيسر لهم مثل ذلك .

ومما يذكر بهذه المناسبة أيضا أن الكثير من الجمعيات والهيئات الاسلامية ليس لديها مسجد يتسع للعدد الكثير الذي يشترك في المناسبات

الكبرى مثل العيدين ، لذلك يضطرون لاستئجار قاعات كبرى لهذا الغرض . ولا يتيسر لهم هذا الاستئجار والتعاقد عليه الا اذا علموا بتواريخ هذه المناسبات مقدما بوقت كاف ، وتجد بعض هذه المؤسسات صعوبات جمة في الحصول على اتفاق لحجز قاعة مناسبة . نظرا لان هذه القاعات تحجز لأغراض أخرى في مواعيد مبكرة جدا ، ومن ناحية أخرى يتفلفل النفوذ الصهيوني بين القائمين على هذه القاعات ففي مدينة نيويورك مثلا يبادر المركز الاسلامي فور وصول التقويم الجديد اليه ويعمل مبكرا على حجز قاعة كبيرة مناسبة ، ويلقى في سبيل الحصول على ذلك عنتا كبيرا ، ولا ضرب على ذلك مثلا ما حدث في عيد الفطر عام ١٣٨٨ هـ ، وتصادف ان كان أيضا أول شهر يناير ١٩٦٨ ، وكان اليهود لا يزالون في نشوة الفرح بالنصر الذي أحرزوه في يونيو عام ١٩٦٧ ، وبصعوبة شديدة استطعنا ان نوقع العقد لحجز قاعة في احدى الفنادق الكبرى المعروفة قبل عيد الفطر ببضعة أشهر ، ودفعنا جزءا من الاجر مقدما . وابلغنا كالعادة اعضاء الجالية الاسلامية بالمنطقة عن مكان صلاة العيد وموعدها عن طريق آلاف المكاتب الدورية التي نرسلها من وقت لآخر ، وبطرق أخرى ، ولكن قبل العيد بيومين فقط اتصل المسئول بالفندق تلفونيا بكاتب هذه السطور ليقول ان القاعة تلزمهم لشيء آخر في اليوم نفسه وانه لذلك سوف لا يمكننا استعمالها ! فأسقط في يدي حيث لم يكن يتيسر بحال في هذا الوقت المتأخر ان نحصل على قاعة أخرى . وحتى لو استطعنا الحصول على مكان آخر . . وهو أمر بعيد الاحتمال . . فلم يكن لدينا من الوسائل ما نستطيع به افادة الآلاف من اعضاء الجالية عن هذا التغيير ، ولو رفعنا الامر الى القضاء — وأكثر قضاة المحاكم من العنصر المعادي — فلم يكن يجدينا شيئا ، والمحكمة تستغرق طويلا ولم يبق على العيد الا يومان ! ولا نرى مقتضيا لسرد ما حدث بعد ذلك من تفاصيل مؤلمة !!

والانتظار حتى يحكم بالرؤية في بلد او آخر من شأنه ان يثير الخلافات ويؤدي الى الارتباكات ، خذ مثلا على ذلك ما حدث في شهر رمضان من العام المنصرم ١٣٩٣ هـ فلقد ورد بالتقويم الذي أعده لنا حاسبون قديرون على أسس صحيحة وبيانات دقيقة . . ان أول شهر رمضان ١٣٩٣ سيكون يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ، وأن عيد الفطر سيكون يوم الاحد ٢٨ أكتوبر من العام نفسه ، وقد رتب المسلمون أمرهم على أساس هذه المعلومات حيث وزعنا التقويم عليهم ، ثم ذكرناهم بقرب مقدم الشهر وبعثنا لهم بامساكيات وتأهب الجميع للصوم في اليوم المذكور ، وفجأة اذاع راديو القاهرة — وسمعه بعض المسلمين — ان الرؤية ثبتت وأن اليوم — الخميس ٢٦ سبتمبر أول شهر رمضان ، فضج الكثيرون واضطربوا ولم تكف تنقطع المكالمات التلفونية الواردة من جميع انحاء أمريكا استفسارا او لوما او احتجاجا ، وحدث مثل ذلك وأكثر منه لما سمع البعض اعلان رؤية شوال في مساء الخميس ٢٥ أكتوبر وأن العيد لذلك يوم الجمعة التالي أي قبل ما حدد في تقويمنا بيومين ؟ فعملت بعض الهيئات الاسلامية بما سمع مؤخرا

فغيرت وبدلت . وابقى البعض الآخر على المواعيد السابقة لأسباب يصعب التغلب عليها ، والبعض صام وأفطر على حسب ما سمع من الخارج ، وظل البعض على ما نوى أول الأمر ، ولكن قلوب الجميع غير مطمئنة وبالهم غير مستريح .

ولما كان عيد الاضحى فى العاشر من ذى الحجة وتاريخه يعرف عند هلال الشهر فقد قررنا منذ عامين أن نؤجل اعلان تاريخ عرفة وعيد الاضحى حتى يرد لنا تاريخهما من المملكة العربية السعودية ليتفق عيدنا مع يوم الاضحية هناك ولا يعترض إذا حدث اختلاف بين تقويمنا وما تثبته الرؤية بالبلد الحرام ، وخشية أن نصلى العيد يوم يقف الحجيج بعرفة ، فإذا وقفنا على تاريخ يوم العيد أول الشهر يكون لدينا أكثر من اسبوع لابلأغ أعضاء الجالية الاسلامية وعمل الترتيبات الأخرى من ضرب الخيام وترتيب تدفئتها وتثبيت آلات الصوت بها لتلقى المصلين من البرد وأذى الأمطار والثلوج المحتملة ، وكتبنا لشخصية اسلامية كبيرة مسئولة فى مكة المكرمة للتفضل بإفادتنا برقيا فور الحكم بشأن رؤية هلال شوال إيجابا أو نفيا ، فوعدنا خيرا .

وقبيل شهر ذى الحجة أعددنا آلاف المكاتيب وأغلقتها ، وابقينا فراغا سيرا بالمكاتيب لنثبت به اسم يوم العيد وتاريخه فور وصول البرقية اليها ، وكنا قدرنا أن تصلنا فى الثلاثين من ذى القعدة الذى يحتمل أن يكون أول ذى الحجة ، ولكن لم يصلنا شئ لا فى اليوم الاول ولا فى اليوم الثانى أو الثالث ، وظللنا نتلقى الاستفسارات من كل جانب ونحن عاجزون عن الجواب حتى مساء اليوم الرابع !

ونظرا لما سبب لنا هذا من الحرج قررنا فى العام التالى أن نتصل تلفونيا فى مساء التاسع والعشرين من ذى القعدة بالشخصية الاسلامية المسئولة بمكة المكرمة لنستفسر عما تم بشأن تحديد أول شهر ذى الحجة ، ولما كانت أمريكا تتأخر زمنا عن مكة بأكثر من سبعة أسابيع ، حينئذ إذا اتصلنا بسيادته بعد الإفراضحى على التأكيد ، ولكن لأسباب عدة لم يتيسر ذلك اتصال بسيادته الا فى اليوم الثالث من ذى الحجة حسابيا ، وكان سيادته كريما نبيلاً وسر لما طمأنته عن أحوال المسلمين لدينا ودعا لهم بالخير ، ولكن كم كانت دهشتى عندما ذكر أنهم لا يزالون فى انتظار الحكم بشأن الرؤية ، وأنه بالتالى لا يعلم أول الشهر ولا يوم عرفة ولا يوم العيد ! ولكنه تفضل ووعد بإفادتي برقيا عندما يتقرر الأمر .

* * *

أسوق هذا كله لأشرح لك أيها القارئ الكريم مدى الاضطرابات والمتاعب التى يعانيتها اخوانك المسلمون فى هذه الديار ، التى لا يزال الاسلام فيها غريبا - من جراء عدم الاتفاق على تقويم اسلامى موحد نخطط على ضوئه نشاطنا وأعمالنا فى أمن واطمئنان ، فهل يرضى السادة العلماء والمسؤولون - وهم أدرى الناس بالروح الاسلامية السمحة - أن يكون هذا حال المسلمين بين جيران من أهل الكتاب والصهيونيين والملاحدة . وفيهم من يتربص بنا الدوائر للطعن على ديننا واتهامه بالتأخر وعدم المبالاة بصالح الفرد ونظام

الجماعة ؟ وديننا هو دين التوحيد — توحيد الاله وتوحيد الكلمة وتوحيد
الامة .. ؟

لقد صدرت فى السنوات الاخيرة فتاوى مقتضاها انه اذا حكم بثبوت
الرؤية فى بلد وجب الصوم على من علم بذلك من المسلمين فى سائر الاقطار
وهذا اتجاه طيب نحو الوحدة ومتفق مع ما جرى عليه كثير من المذاهب ،
لكننى اقول مع جليل التقدير ان هذا لا يكفى ، فان توقف الامر على حدوث
الرؤية الفعلية والحكم بها او اعلانها لا يدفع عنا الحرج ولا يحقق ما نرجو
من تيسير ولا يعطينا الفرصة للتخطيط والاعداد المبني على علم مؤكد سابق
لا تردد فيه ، فالتوقف على ثبوت الرؤية يعنى عدم العلم بالحال الا بعد
دخول الوقت ويجعل المسلم فى حيرة من امره حتى آخر لحظة .

نعم خاطبنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه
بان نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته ، وقد اخذ بهذا حرفيا عندما كانت الامة جماعة
تعيش على السليقة والفطرة ولم ترق بعد وسائل المواصلات اللاسلكية
والحسابات الفلكية كما هى عليه فى عصرنا الحاضر عصر الذرة والفضاء
ولكن كلام المصطفى صلوات الله عليه خالد وصالح للعمل والتطبيق فى كل
حال وكل زمان تطبيقا لا يؤدى الى الحرج والمشقة ، ولذلك قد يتساءل سائل
فيقول : هل حصر الرسول طريق العلم ببدء الشهر على رؤية الهلال
بشاهد او شاهدين ؟ وهل يمنع ان يكون هناك طرق اخرى يعلم بها دخول
الشهر كأن يثبت بالحساب المنضبط ان بالامكان رؤية الهلال حيث لا يقرب
القمر الا بعد غروب الشمس بوضع دقائق ؟ وهل قوله صلوات الله عليه :
« فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » قرآنية حتمية على ان
الرؤية هى السبيل الشرعى الوحيد للعلم ببدية شهر الصوم ونهايته ؟ أم
ان الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} قد اقر طرق العلم ببدء الشهر وهو الرؤية نصحنا ماذا
نصنع اذا كانت هى طريقنا الوحيد للعلم ببدء الشهر الجواب ؟ الا يجوز
ان يكون ذلك مثلا من أمثلة العجز عن العلم ببدء الشهر الجواب ؟ الا يجوز
أكمال الشهر ثلاثين فى حالات العجز كلها كاحتجاب القمر وعدم معرفتنا
الحساب ؟ واذا كان هذا حصرا مؤكدا فكيف قال السادة الشافعية قبل
عصرنا هذا بقرون طويلة بأن على المنجم ومن صدقه ان يعمل بحسابه ؟ وكيف
تتردد فى تصديق الحاسبين المعاصرين وقد تمكنوا من تنظيم رحلات ناجحة
الى القمر مبنية على حساباتهم الدقيقة ومعرفتهم التامة بحركات القمر
ومنازله ؟ ولو حدث أى خلل فى عملياتهم الحسابية لاودى ذلك بحياة رواد
الفضاء ولترتب عليها خسائر فادحة .

ان العالم الذى يحسب ويخطط لرحلات الفضاء ، ويحسب لاوراقات
المد والجزر ليرشد السفن التى تسير عبر المحيطات لايسر عليه ان يحسب
ليعلم متى يمكن رؤية الهلال الجديد فى أول كل شهر ، بل لعل حسابه المنضبط
أقوى دلالة من شهادة ثقة قد تخطئ عينه ، فيحسب السراب ماء ، والخطأ
فى الرؤية محتمل جدا نظرا للبعد الشاسع بين الرأى والرأى .
اننا معشر المسئولين عن العمل فى الحقل الإسلامى بالبلاد الامريكية

شعرنا بالحاجة الماسة لعمل تقويم موحد ، وتوعية المسلمين من أعضاء الجالية بالحاجة الى هذه الوحدة ، وتمهيد النفوس لعدم الفزع أو الاضطراب اذا ما سمعوا آخر لحظة أن المسلمين في قطر ما قد خالفوا لثبوت الرؤية عندهم على غير ما أعلن في تقويمنا ، ولذلك ولأسباب أخرى هامة منها الحاجة الى تنسيق الجهود والخدمات الاسلامية ، كونا في السام الماضي مجلسا يضم رؤساء المراكز الاسلامية ممن يحملون مؤهلات عالية من جامعات اسلامية معتبرة مثل جامعتي الازهر والنجف ، وسمينا هذا المجلس : « مجلس الائمة بأمریکا الشمالية » ونأمل أن يحقق هذا المجلس اذا قدر له التوفيق أن ثناء الله . أعظم الخدمات لصالح الاسلام والمسلمين وقد عقد المجلس عدة اجتماعات ، وكان مما أنه بفضل الله تنظيم برامج الحلقات الدراسية التي تعقد للمسلمين خاصة الناشئة وحديثي المهتد بالاسلام ، كما عنى المجلس بدراسة موضوع توحيد التواريخ الاسلامية ، وقد نظر فيه مرارا وقام باتصالات مع السادة المسؤولين بالبلاد الاسلامية بهذا الشأن ، وأخيرا اتخذ قرارا بحل مؤقت وذلك بعمل تقويم خاص للمسلمين في أمريكا الشمالية تحدد فيه تواريخ الاعياد والمناسبات وبدء الصوم ونهايته على حسب مطلع أحد البلاد الامريكية وعلى ضوء ما تحصل عليه من معونة وإرشاد من المرصد الامريكية والاسلامية ، وذلك حتى يتم عمل تقويم حسابي تجمع عليه الامة ويكون عليه عملها مهما اختلفت مطالع بلادهم .

ولنعد الى موضوع الرؤية ، فقد يظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « صوموا لرؤيته » قد دلنا على النقطة الزمنية التي يبدأ بها الشهر الاسلامي ، الا وهى عندما تتأني رؤية الهلال الجديد ، فليست هى منتصف الليل كما هو الحال في بداية اليوم الشمسي والشهر الشمسي ، وليست مطلع الفجر ولا وقت شروق الشمس أو زوالها ، ولكنها اللحظة التي تعقب غروب الشمس في الليلة التي يتخلف فيها غروب القمر الجديد لأول مرة عن مغيب الشمس ويمكننا معرفة ذلك ، إما برؤية الهلال الجديد فعلا وأما بالحساب الصحيح المعتد ، وعليه هل يمكن أن يحتمل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « صوموا لرؤيته » وجوب الصوم عند العلم بالحساب الصحيح المؤكد إيمان الرؤية مطلقا ؟

والذى نقترحه ونرجو السادة العلماء والمسؤولين النظر فيه هو ما يلي :
أولا : النظر في إمكان اعتبار الحساب الموثوق به لضبطه وأمانته أساسا للتقويم دون انتظار لثبوت الرؤية طالما أكد الحساب المؤكد أن الرؤية ممكنة اذا ارتفعت الموانع لتخلف غروب القمر الجديد عن غروب الشمس .
 ثانيا : اختيار بلد اسلامي عريق كبلد الله الحرام يكون مطلعها أساسا لهذا التقويم الموحد .

ثالثا : العمل على جمع كلمة المسلمين حول هذا التقويم والاخذ به مهما تباعدت ديارهم أو تعددت مطالع أماكنهم .
 والله على ما نقول وكيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .



لمصير القدس ، تبعدها عن ان تعيدها الى حالتها الاولى قبل الاحتلال ، كما تزيل عنها صبغة الاسلام والعروبة وتعرضها لخطر كبير ، لذلك رايت ان اشرح وانبه الى اشياء قد لا تكون معروفة الا للذئير اليسير ، واشياء اخرى لها خطرها : وقد يحاول اخفاؤها حتى لا يتنبه لها المسلمون والعرب ، فى آية مناسبة يطرح فيها مصير القدس .

القدس ..

القدس بلد عربى منذ نشأته ، مقدس قبل اليهودية والمسيحية والاسلام ، فان ملكى صادق العربى اليبوسى منشئ القدس ، كان فى مرتبة كهنوتية عالية ، حتى ان المسيح عليه السلام ، اعتبر من مرتبته (٢) . ثم ظهرت الديانات الثلاثة على التوالى اليهودية والمسيحية والاسلام فنظرت اليها نظرة الاحترام والتقدير .

فى نظر اليهود

رغم ان موسى عليه السلام رسول بنى اسرائيل ، لم يات القدس ولم يدخلها ، فقد اهتمت اليهودية بها لسببين :

الاول : اقاموا لهم فيها مملكة فى عهد داود عليه السلام سنة ١٠٤٩ ق م لم تتجاوز مدتها سبعين سنة .

الثانى : انهم اقاموا لهم فيها هيكل للعبادة فى عهد سليمان عليه السلام وهو قسم من قصره .

ثم فى عهد عزرا ، وقد هدم الهيكل نتيجة أحداث دموية ، ثم اقيم الهيكل الثالث فى عهد هيرودوس ، وقد هدم فى عهد تيطس الروماني سنة ٧٠ م .

رغم انى لست ممن يؤمن بجذوى الحلول الاسلامية ، والمباحثات السياسية ، فى نزاعنا مع الصهيونية العالمية ، والاستعمار والامبريانية ، فانى رايت ان اكسب هذا المجال عن القدس ، لالفت النظر ، وانبه الفافل ، وانكر المؤمن ، باهميه هذا البلد ، ومدى تأثيره فى اى حل يمكن ان يوضع او يتوصل اليه ، فى هذا النزاع الخطير ، ووضح ايضا انهم خلقوا تعبيرا للنزاع فى الشرق الاوسط ، ليسدلوا ستارا ، او ليضموا قفازا على وجوههم ، يحجبون بذلك مؤامرتهم على ديار الاسلام ، وعلى مسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وموطن معراج الشريف ، ولو ان سكان هذه الديار يدينون بغير دين الاسلام ، او ينتسبون لقبير الامة العربية ، لما امكن ان يحيكوا هذه المؤامرة بهذا الاتقان ، والا فابن هذا النزاع فى الشرق الاوسط .. ؟ اليس هو مؤامرة اغتصاب فلسطين من المسلمين ، وطرد سكانها العرب ، وتسليمها للصهيونية العالمية ، لاقامة دولتهم عليها .. ؟

ونحمد الله ان تنبه المسلمون والعرب اخيرا ، وادركوا حقيقة الخطر ، وابعاد الشر ، فوضعوا فى الميدان ثقلهم ، وسخخوا فى تضحياتهم ، ونرجو ان يستمروا فى خطتهم ويزيدوا تضحياتهم ، حتى يتحقق الهدف ، حرصا على وجودهم ، ومقابلة لتحدياتهم ، ونرجو ان يكونوا على حذر من مغبة حلقة اخرى ، من حلقات التآمر ، حتى لا نؤخذ على غرة ، ولا نخدع من جحر مرتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » (١) .

ونسلمع من وراء الكواليس همسات عن حلول او اقتراحات

ولما تولى اديانوس عرش الرومان ١١٧ - ١٢٨ م ناز اليهود وقامت اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل ، فافقن اديانوس انه لا سلم ولا امان في البلاد ما دام اليهود فيها ، فقاتلهم وقهرهم ، ومن لم يقتله امر بطرده وحرّم عليهم العودة للبلاد ودمر المدينة تدميرا كاملا وأنشأ مكانها مدينة جديدة (٣) .

أين الهيكل . . ؟

يزعم اليهود أن المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة ، أقنما على أنقاض الهيكل دون أن يكون لديهم أى دليل علمى أو تاريخى صحيح ، ولذلك أخذوا منذ احتلال سنة ١٩٦٧ يجدون فى البحث عن مكان الهيكل ، وأخذوا يؤازرون البعثات الأثرية الأجنبية التى تبحث شرقى وجنوبى وغربى الحرم الشريف ، وان الدكتور كينون باسم المدرسة البريطانية لعلم الآثار فى القدس منذ سنة ١٩٦٠ م وهى تبحث فى الجهة الجنوبية خارج سور الحرم عن آثار الهيكل وحتى الآن لم تعثر على شئ من ذلك . ثم تولى اليهود أنفسهم البحث بواسطة البروفسور بنيامين مازار مدير الحفريات باسم الجامعة العبرية ، وقد أبرزت الحفريات أربع مستويات أثرية :

- ١ - طبقة العصر الأموى حتى أيام السلاجقة .
 - ٢ - طبقة العصر البيزنطى من الفتح العربى الاسلامى الى أيام قسطنطين الكبير .
 - ٣ - طبقة العصر الرومانى ، عصر مدينة أيليا كابولينا .
 - ٤ - طبقة عصر هيرودوس حتى خراب الهيكل الثالث سنة ٧٠ م .
- وقد وضع البروفسور تقريرا بما توصل اليه وأصدرته الجمعية الأثرية

الاسرائيلية سنة ١٩٧٠ م ، وقد تضمن التقرير أيضا أن الجدار الجنوبى للأقصى شرقا وغربا هو بناء اسلامى ، كما تضمن اكتشاف ثلاثة قصور أموية استمرت مسكونة من قبل أمراء القديس من الأمويين والعباسيين والفاطميين ، وأن الوازع الدينى حمل الفاطميين والسلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا حتى أظهرها التنقيب . وهذا التقرير أغضب سلطات الاحتلال خصوصا دايان حتى أمر بإزالة الآثار العربية والاسلامية وأبقاء ما عداها .

وقد توسعت الحفريات على يد الاستاذ مبير بن دوف المساعد للبروفسور مازار ، وقد وضع هو تقريرا يتضمن آثارا أموية وآثارا أخرى ليس منها أثر اسرائيلى . كما تضمن التقرير أنه يمكن اعتبار عيد الملك بن مروان الروح التى حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على إعادة عمرانها (٤) .

البراق أو المبكى

هذا المكان فى حقيقته هو الجدار الغربى للمسجد الأقصى المبارك ، وفى سنة ١٩٢٩ حصل نزاع بين العرب واليهود على هذا المكان أدى الى اشتعال الثورة المعروفة حينئذ ، وقد شكلت لجنة من ثلاثة قضاة ليسوا من التبعية البريطانية ، وبعد أن اطلعت على جميع الوثائق التى أبرزها الطرفان تابيدا لوجهة نظره ، واستتمعت للبيانات والمرافعات التى قدمها المحامون عن الفريقين قررت أن المكان جزء من المسجد الأقصى المبارك وهو وقف اسلامى ، وليس لليهود فيه الا حق المرور لتأدية طقوس معينة بقبود مقررة ، وقد تأيد هذا بالرسوم الذى أصدره ملك

بريطانيا سنة ١٩٣٠ ، كما وافقت عليه عصبة الامم ، وبذلك يكون هذا النزاع قد فصل فيه قضائيا بصورة حاسمة لا يجوز اعادة النظر فيه .

الكنس اليهودية

رغم أن حكام المسلمين كانوا يحافظون على اليهود ومعابدهم واعطاهم الحرية الدينية في جميع العصور ، حتى أنه في القرن الخامس عشر في عهد السلطان قايتباي على أثر صدام بين العرب واليهود هدم بعض متعوسى المسلمين كنيسا يهوديا ، فاعاد السلطان قايتباي بناء الكنيس كما كان (٥) .

وفي سنة ١٩٤٨ م كان لهم ثلاث كنس في داخل المدينة القديمة وقد تترسوا بها وجعلوها مستودعات اسلحة وذخائر وكانوا منها يذفون بقبائلهم ورصاصهم السكان الآمنين في بيوتهم والحرم الشريف ، مما دفع المناضلين لنسفها وهدمها ليتخلصوا من مصدر الخطر عليهم وعلى المقدسات .

عند المسيحيين

يعود تقديس المسيحيين للمدينة الى أن السيد المسيح عليه السلام ولد في رحابها في بيت لحم ، وعاش في القدس ، وله فيها آثار ومواقع دينية ، وأنهى حياته الشريفة فيها ، وأكثر الطوائف المسيحية يعتقدون أن قبره المقدس في كنيسة القيامة ، كما أن لهم فيها عدة كنائس وأديرة ، وأن كان بعضهم يعتقد أن القبر موجود خارج سور المدينة في الجهة الشمالية ، في مكان معروف ، وهو من الاوقاف الاسلامية .

عند المسلمين

ينبع تقديس المسلمين للمدينة من عدة أمور :

١ - اسراء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام اليها من مكة المكرمة ومعراجه منها الى السموات العلا .

٢ - انها قبلة المسلمين الاولى ، وقد صلى المسلمون اليها ، حين فرضت الصلاة ليلة المعراج ، واستمروا يتجهون اليها بعد الهجرة نحو ثمانية عشر شهرا .

٣ - أن المسجد الاقصى المبارك أحد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرجال .

٤ - مضاعفة الاجر والثواب لمن يصلى في المسجد الاقصى ، أو يساهم في اعماره .

٥ - انها مركز من مراكز الحضارة الاسلامية .

٦ - دفن الاعداد الكبيرة فيها من أصحاب الرسول والمجاهدين والشهداء والعلماء في مختلف العصور .

التراث الاسلامى فيها

كانت القدس تعرضت لخراب واسع في أثناء الفتح الفارسى سنة ٦١٤ م واستمر ذلك الخراب حتى الفتح الاسلامى لأن الرومان وان استعادوها بعد ذلك ، إلا أنهم كانوا متضعفين ومرهقين نتيجة الحروب المتوالية فلم يعمروا فيها شيئا يفكر .

ومنذ الفتح الاسلامى اتجه الولاة في جميع العصور الى اعمار المدينة،

٢ - وقفية صلاح الدين الايوبي .

٣ - وقفية خاسكي سلطان
زوجة السلطان سليم العثماني .

٤ - وقفيتا المحسنة المقدسية
السيدة امينة الخالدي ، فقد وقفت
عقاراتها التي كانت تملكها في القدس
الجديدة وفي القدس القديمة ، وهي
في غاية الاهمية والمكانة الممتازة من
حيث موقعها وقيمتها ، وبخاصة
العقارات الواقعة قرب المستشفى
الالمانى في احسن موقع تجارى في
القدس الجديدة ، وفدرت قيمتها
حينئذ باربعمائة ألف جنيه استرليني،
وقفقتها على مستشفى اسلامي ينشأ
في القدس ، وكان ذلك حينما كنت
قاضيا في القدس سنة ١٩٤١ -
١٩٤٥ م .

ومما يزيد في مكانة القدس لدى
المسلمين انها ضمت في عدة نواحي
منها رفات عدد من اصحاب الرسول
عليه السلام والمجاهدين والعاملين ،
ومن هؤلاء الصحابي الجليل شداد بن
اوس ، والصحابي عكاشة ، وعبد
الله القرشي ، وابو مدين الفوث
المغربي ، والجراح من قواد صلاح
الدين ، ومجير الدين بن الحنبلي
صاحب كتاب الانس الجليل ، والملك
حسين بن علي صاحب الثورة العربية
الكبرى وجد الاسرة الهاشمية ،
ومولانا محمد علي الهندي من زعماء
المعالم الاسلامي وعبد القادر
الحسيني ، وآخرون كثيرون .

احراق الاقصى

نظرا لاطماع الصهيونية التي لا
حد لها ، ومزاعمهم في أن الاقصى
اقيم على انقاض الهيكل ، اقدموا
بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ على احراق

ففي عهد امير المؤمنين عمر رضي الله
عنه ما لبث أن بحث عن مكان يقيم
فيه مسجد المدينة ، فأرشد الى مكان
الصخرة ، وكان الخراب مخيما عليها
واقام مسجده في الجهة الجنوبية
الشرقية ، في المكان الذي يعرف حتى
الآن بمسجد عمر .

وفي العهد الاموي قام عبد الملك
ابن مروان الخليفة الاموي الخامس
٦٨٥ - ٧٠٥ م ببناء مسجد الصخرة
المشرفة الذي يعتبر بحق درة يتيمة
وتاجا في رأس كل مظاهر الحضارة
والاعمار في أي عصر من العصور
السابقة واللاحقة ، حتى أن السيد
حسين شافعي كبير المهندسين
المصريين لاعمار مسجد الصخرة
والمسجد الاقصى ، أخبرني أنه لولا
تعصب المستعمرين الغربيين لاعتبر
بناء مسجد الصخرة وقفيتها احدى
العجائب السبعة ، ففيه من الفن
والاقتنان ما هو أهم بكثير من
أهرامات الجيزة وقد أقام عبد الملك
في المدينة عدة قصور ، واستمر بعده
ابنه الوليد ٧٠٥ - ٧١٥ م في إنجاز
مشروعات والده حتى تجاوزها في
الاتساع فعاد الى القدس عمرانها
وأبهتها .

وأيضا سرت في القدس ، وفي
المسجد الاقصى وحوله ، تجد آثار
الحضارة الاسلامية من دور العلم
والمستشفيات والمساجد والتكايا
والرباطات وسبل الماء ، تتحدث عن
أعمال الامويين والعباسيين
والفاطميين والسلاجقة ، والايوبيين
والعثمانيين ، وقد دون الكثير من
ذلك في وقفيات لا يزال الكثير منها
محفوظا في سجلات المحكمة الشرعية
في القدس ، ومنها :

١ - وقفيات أبي مدين الفوث
والمحسنين من المغاربة .

كما أن الاسلام يقضى بضرورة الاعتراف برسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام ، ورسالات جميع النبيين والمرسلين ، قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » (٨) .

ومن هذا المنطلق وهذا المفهوم ضمنت اليهود والوثائق التي كانت تعقد في زمن الرسول عليه السلام أو زمن خلفائه من بعده ، لليهود والنصارى ، حريتهم الدينية والمحافظة على كنائسهم ومعابدهم وحقوقهم كاملة .

ومن هذا المنطلق أيضا كان الحسن البصري وأمثاله من كبار علماء المسلمين لا يتعصبون تعصبا يجعل الواحد منهم يمقت أهل الديانات الأخرى ، وكان الحسن يفتح صدره لكل شخص مهما تكن ديانته ، واستوحي من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ويواسيهم ويعزيهم أن كان ما يوجب العزاء (٩) .

وأيضا فإن سلطان المغرب محمد بن عبد الله أصدر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٨٠ هـ و ٥ فبراير سنة ١٨٨٤ م أمرا تضمن أسس مبادئ العدالة ، والمساواة بين اليهود وغيرهم وبين المسلمين في المعاملة ، وأن كل من يخالف ذلك يتعرض لأقصى أنواع العقاب الرادع (١٠) .

ومنهم من كان يشغل وظيفة الوزارة أو أية وظيفة سامية أخرى ، وهذا الموقف السمج كانوا يلقونه من

المسجد الأقصى في مسرحية مكتسوفة قدموا لها ضحية شابا استراليا ، زعموا أن في عقله خلا ، وأن جريمة الاحراق أكبر من أن تحدد أبعادها ، فهي بالإضافة لآثارها المعنوية في نفوس المؤمنين وهي لا تقدر بثمن ، فإن تلك الجريمة أنت على المنبر التاريخي المعروف بمنبر صلاح الدين ، وقد أعده في حلب نور الدين الشهيد خلال مدة عشرين سنة ، ليوضع في الأقصى ، وهو تحفة فريدة في العالم ، كما أنت جريمة الاحراق على القبة الخشبية الداخلية من قبة الأقصى ، بزخارفها وما فيها من فن بديع ، وقد أعلمني السيد حسين شافعي المشار اليه ، أن ذلك المنبر مصنوع من خشب الارز وخشب الأبتانوس ومطعم بالفضة وليس فيه مسمار واحد ، في زخرفة نادرة وأن حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثل له أو للقبة الخشبية المشار إليها (٦) .

مناقشة هادئة

ولو أردنا أن نناقش مناقشة هادئة بعيدة عن التعصب والهوى لخرجنا بنتيجة هي أن القدس موضع اهتمام وتقديس أصحاب الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام ، وأن كلا من اليهودية والمسيحية انما تدين بديانتهما فقط وبرسولها ، أما الاسلام فمبداه أن أصل الديانات السماوية واحد ، وأن مردها واحد ، قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧) .

قال مجاهد في تفسيرها أوصيناك وأياهم ديناً واحداً ، وبذلك يعترف الاسلام بوحدة الأديان السماوية ، قبل أن تمتد إليها يد العيث والعبث ،

الاسلام والمسلمين قبل أن تظهر فيهم
الفكرة العنصرية الصهيونية
الفاتمية .

واما المسيحيون المواطنون فهم
أقراننا في الحقوق والواجبات ولم
يقع بين هؤلاء والمسلمين أية أحداث
جدية مطلقا ، الا كما يقع بين فريق
وأخر من المسلمين ولهذا فان أى
تفكير فى المطالبة برعاية حقوق
المسيحيين فى مقدساتهم لا يستند
الى أساس صحيح ولا وجه له .

واما المستعمرون الاجانب فقير
مؤهلين لحكم البلاد وسيادتها لأسباب
لا تخفى على أحد ، وبذلك نصبح
نحن المؤهلين الوحيديين لحكم المدينة
حكماء قائما على رعاية حقوق جميع
الطوائف واتساعة العدالة والمساواة
بين الجميع ، واعادة الحالة الى ما
كانت عليه قبل العدوان الأخير ،
وكل تفكير يفاير ذلك يعرض المدينة
لأفدح الأضرار ويعرض السكان من
المسلمين والمسيحيين لخطر التصفية
النهائية والتهجير ، كما يدل على
ذلك خطط الفاصبين فى تهويد المدينة
وتفجير معالمها ، وازالة كل آثار
العروبة والاسلام عنها .

الاقتراحات المتداولة

بلغنا أن فكرة التدويل يجرى بحثها
بطريق أو بآخر ، وهى معروضة
للمناقشة ، فى أى مؤتمر يعقد ،
كما أن هناك فكرة أخرى معروضة ،
وهى جعل المدينة بقسميها مفتوحة ،
بحيث يسمح لرعايا المنطقتين أن
يذهب كل منهم للمنطقة الأخرى ،
ولكن لا يكون بينهما حواجز . الخ .
مع ابقاء السيادة اليهودية على القسم
المحتل سنة ١٩٤٨ وابقاء نوع من
السيادة على المحتل سنة ١٩٦٧ الخ .

أخطار التدويل

يعتمد الساسة الذين يدعون الى
التدويل ، على أنه مما تضمنه قرار
الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ م وهذا
يعنى التزاما دوليا ، غير أن تدويل
القدس هو جزء من قرار تقسيم
سنة ١٩٤٧ ، وقد كان شاملا للقدس
بقسميها ، ومع أن القسم المحتل من
القدس سنة ١٩٤٨ لا نفرط فيه
ولا نتنازل عنه لما يلى :

- ١ - أنه جزء من المدينة المقدسة .
- ٢ - أشتتل على مناطق واسعة ،
واملاك شاسعة ، هى للعرب .
- ٣ - هو جزء من الوطن
المقتصب .

الا أن موضع البحث هو تدويل
القسم العربى من المدينة ، لأن هؤلاء
يرون أنه ليس من السهل على
الإسرائيليين أن يسلموا القسم المحتل
من المدينة سنة ١٩٤٨ لسلطة دولية ،
وقد أعلنوها عاصمة لهم ، ورغم كل
هذا فاننا نعلم من التاريخ أن جبل
طارق قد أصابه بسبب التدويل كثير
من الفساد والتخريب مما لا يزال
الناس يتحدثون عنه وعن أهواله ،
ولم يكن لليهود علاقة ظاهرة فيه
هناك ، فكيف يمكن أن يطمئن الى
أية سلطة دولية تقوم فى القدس
العربية فقط ، ثم لا تسيطر عليها
الصهيونية العالمية أو لا تخلق فى كل
يوم مشكلة جديدة للسكان العرب ؟

وبالإضافة الى هذا فان التدويل
يكون سببا لجعل القدس ممرا من
أجل تصريف منتجات سلطات الاحتلال
الى البلاد العربية الأخرى مما يكون
عاملا مهما فى أفساد الاقتصاد
العربى ، والتنفيس عن الاقتصاد
اليهودى ، فضلا عن تصريد الأشخاص

المشبهوهين أو المدمرين الى البلاد
العربية مما يندر بشر كبير وضرر
مستطير .

خطر الانفتاح

وأما انفتاح القسم المحتل سنة
١٩٤٨ على القسم المحتل سنة ١٩٦٧
فانه مرحلة للقضاء على الوجود
العربي أو الاسلامي في المدينة وذلك
للاسباب التالية :

١ — السكان العرب في القدس
المحتلة سنة ١٩٦٧ حول ستين ألفا .

٢ — بعد احتلال السلطات
الصهيونية لذلك القسم ، أنشأوا
فيه عدة أحياء على أراض عربية
أغتصبوها من أهلها ، وبنوا على
تلك الاراضي عمارات شاهقة ،
لاسكان المهاجرين فيها من اليهود ،
وقد سكن فيها حتى الآن ما لا يقل
عن ستين ألفا ، وهو ما يعادل
السكان العرب ، ويوجد الآن مساكن
وعمارات جاهزة أو في سبيل الاعداد
والتجهيز لاسكان مثل ذلك العدد .

٣ — القسم المحتل سنة ١٩٤٨
من القدس يسكنه من اليهود مئتان
وعشرة آلاف ، فاذا فتح القسمان
على بعضهما ، كانت النتيجة ، أن
يكون العرب من مسلمين ومسيحيين
نحو ستين ألفا ، يقابلهم من اليهود
مئتان وعشرة آلاف سكان المنطقة
المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ونحو مائة
وعشرين ألفا ، السكان اليهود في
المنطقة العربية من القدس ، أي نحو
ثلاثمائة وثلاثين ألف يهودي ، ولا شك
أن هذا العدد الضخم من اليهود ،
والذي هو قابل للزيادة ، بأساليب
الجهنمية ، وخداعهم وختلهم ، ينتلج
تلك الاقلية العربية ويقتضي عليها

تدريجيا الى أن تصبح القدس
بأكملها ، صهيونية ، بموافقتنا ،
ليس فيها الا اقلية عربية ، لا حول
لها ولا طول ، ولذلك لا يجوز أن
نقبل بحال من الاحوال ، بأقل من
عودة القدس العربية الى حالتها
السابقة ، وضرورة اخراج السكان
اليهود الطائرين عليها بعد سنة
١٩٦٧ .

فتنبهوا يا عرب ، ويا مسلمون ،
واياكم ثم اياكم أن تقعوا في احبولة ،
قد يكون مظهرها تسامحا ، ولكن
جوهرها قضاء مبرم على عروبة
المدينة واسلاميتها .

فاللهم اني قد بلغت ، واللهم
فاشهد .

واخيرا ..

وقبل أن اختتم هذا البحث أرى
الاشارة الى الكاتب اليهودي
الاميركي ، موشى منوهين ، الذي
نشر في الولايات المتحدة كتابا بعنوان
(انحطاط اليهودية في عصرنا) الذي
كشف فيه بصراحة متناهية مخازي
الصهيونية وفشائنها ، وجرائمها
الوحشية ، ابتداء بمذبحة دير ياسين
ومرورا بمجزرة كفر قاسم ، وانتهاء
بالمجازر البشرية التي ارتكبتها
اسرائيل في عدوان ه حزينان ، وما
بعده ، وقد استهل كتابه بهذه
المقدمة :

((لقد اطلقت على هذا الكتاب
عنوان — انحطاط اليهودية في
عصرنا الحاضر — ولكن كنت أفضل
له عنوانا آخر هو (القومية اليهودية
جريمة تاريخية ، رهينة ولعينة) ،
وبعد أن يؤكد ، مستندا الى التاريخ
والثبوت أن عرب فلسطين الذين

اصبحوا اليوم لاجئين في الكهوف
والخيمات خارج حدود وطنهم وارض
آبائهم واجدادهم ، بسبب السياسة
الصهيونية ، هم المالكون الحقيقيون
لفلسطين » .

يختم كتابه بقوله :

((ولما كانت الحقيقة كلها يجب ان
تقال ، مهما بدت مريرة ، وجارحة
وقاسية ، فاني اقول : ان المطامع
الصهيونية ولعنة القومية اليهودية ،
تسببت حتى الآن في وقوع ضحايا
ابرياء كثيرين ، وانا لا اعنى بالضحايا
الابرياء عرب فلسطين وحدهم ، بل
كذلك يهود فلسطين ايضا ويهود
المهاجر كذلك ، الذين سيدفعون يوما
ما غالبا جدا ، من اخطاء زعمائهم
وجرائمهم الرهيبة)) .

هذا ، ومع ان حقنا في القدس
وسائر الديار المفصولة واضح
وضوح الشمس في رابعة النهار ،
يؤيده التاريخ والآثار واستمرار

وجودنا العربي آلاف السنين ،
ووجودنا الاسلامي اربعة عشر قرنا ،
يستثنى منها فترة الحروب الصليبية ،
فان الامر مع الصهيونية ومؤيديها من
اركان الاستعمار والامبريالية ، لا
يجدى فيه المنطق والدليل التاريخي
والعلمي ، وقرارات الامة المتحدة ،
لذلك يجب على جميع القوى العربية
والاسلامية ان تستمر في تكتلها
وتضحياتها ، البترولية ، والمادية
والبشرية ، وان تتجاوز عن أي
تناقض أو خلاف بينها ، حتى تتخلص
من هذا الاخطبوط ، الذي يهدد كل
عربي وكل مسلم ، في وجوده
وحضارته وعقيدته ، واذا وصلنا لتلك
النتيجة ، وهذا ما نأمل ونرجوه ،
بفضل اتحادنا وتضامننا ووعينا ،
فحينئذ يجب ان يرفع على المدينة
المقدسة وسائر الديار ، علم الحرية
والمساواة والعدالة ، في غير حقد
ولا ضغينة ولا كراهية .



- (٥) الانس الجليل ، ويحث خاص لاجسد
زكى باشا ومكانة القدس في الاسلام
ص ٤٢ ، ومجبر الدين الحنبلي .
(٦) ماذا بعد احراق المسجد الأقصى
ص ٥١ .
(٧) الآية ٦ من سورة الشورى .
(٨) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .
(٩) مكانة القدس في الاسلام .
(١٠) ماذا بعد احراق المسجد الأقصى .

- (١) البخاري .
(٢) المجلد الاول من كتاب روايات اليهود
لجنزيرج بالانجليزية ص ٢٣٣ ، والمجلد
الخامس من نفس الكتاب ص ١١٥
و ١٦٢ وقاموس الكتاب المقدس
بالانجليزية ص ٧١٠ وماذا بعد احراق
المسجد الأقصى .
(٣) مكانة القدس بالاسلام .
(٤) نحن وآثارنا للسيد محمود العابدی .

نَحْوُ اِقْتِصَادٍ اِسْلَامِيٍّ

دكتور ابراهيم فؤاد أحمد على

تلك دعوة الى الأخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية وتطبيقها بعد أن هجرتها الدولة الإسلامية منذ وقت طويل واستبدلتها بنظم مستوردة غير صالحة في غالب الأحيان . ويهمنى في هذا المقال الإشارة الى النظام المالي في الاسلام كما نزل به القرآن الكريم وبينته السنة الشريفة وعمل به الخلفاء الراشدون ، وذلك لأظهار ما في الفقه المالي الاسلامي من صلاحية للتطبيق الآن ، وما به من مزايا لم تتوصل اليها النظم المعاصرة بعد .

وإذا نظرنا الى الفقه المالي الاسلامي نرى أنه وضع دعائم التنظيم المالي الحديث منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . فقد حدد الموارد التي تؤدي لبيت المال لينفق منها على مصالح الدولة المختلفة ، واتبع مبدأ فصل أموال الدولة عن أموال الحكام في وقت كانت تختلط فيه تلك الأموال بأموال الحكام وكان ينفق منها هؤلاء بحسب أهوائهم دون ضوابط للإنفاق أو اتباع قواعد ترشيده أو مراعاة الصالح العام . ولم يتبع مبدأ الفصل الا في العصور الحديثة في حين طبقه الاسلام منذ العصور الوسطى (منذ بداية القرن السابع الميلادي)

ولا بد من الإشارة عند الدعوة الى تطبيق النظام المالى الاسلامى فى الدول الاسلامية الى بعض المفاهيم الاسلامية لتتعرّف عليها ونتفهم وضعها بالنسبة للمفاهيم السائدة .

المفهوم الأول :

هو أن الاسلام وضع دعائم التنظيم الحديث ، فمن الناحية المالية وضع الأصول الجوهرية لأحكام وأعدل سياسة مالية ، فبيّن الموارد التى تؤدى لبیت المال ، كما بيّن أوجه الانفاق الرشيد على مصالح الدولة العامة ، وهذا يتفق مع قاعدة « عمومية الميزانية » ووجه الانفاق وجهة اقتصادية واجتماعية ، وهو اتجاه لم تسع اليه الدول الحديثة الا فى فجر القرن العشرين ولما تبلغ غايته المرجوة بعد .

والمفهوم الاسلامى الثانى :

هو أن الاسلام جاء بأحكام مجملية تتصل بالشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وقد أجمل تلك الاحكام قصدا اذ لو أتى بها مفصلة لتقيدت بها الأجيال ولأصاب الناس من ذلك عنت كبير . فالنظم الاسلامية ليست نظما جامدة تقف عند جماعة خاصة أو حقبة معينة من الزمن ، ولكنها مرنة ترك للمسلمين تكييفها وفق ظروفهم وأحوالهم التى يعيشون فيها . وهذا هو سر عظمة الاسلام وخلوده .

المفهوم الثالث :

ان مصادر التشريع هى القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، والاجماع والقياس وهو مبنى على الاجتهاد الذى يبين مرونة الفقه الاسلامى ويبعده عن الجمود . وقد اجتهد السلف الصالح فى الكشف والاستنباط الفقهى والعرض بما يتفق مع أسلوب عصرهم ومعارف زمانهم ، وخلّفوا لنا ميراثا ضخما تتمثل فيه عقليات العصور والمدارس الفكرية المختلفة والأزمان المتعاقبة التى عاصرت الاسلام وارتبطت به وارتبطت بها فى شؤون الحياة المختلفة .

وقد ورثنا — نحن أبناء هذا العصر — ذلك الميراث فلم نفكر فى الاستفادة منه أو الانتفاع به ، ولم نفكر فى الأسلوب الذى نعرضه به على أنفسنا وعلى غيرنا ، عرضا صحيحا جذابا يدفع الى العناية به ويلفت الانظار اليه . واستهوينا النظم الأجنبية فأصبحنا فى كثير من نواحي الحياة

عن هدى الاسلام وأصوله وقواعده بعيددين ، مع أن الاسلام لا يأبى علينا أن نقبّس النافع مما كشفه العالم الأجنبي على أن نرد الطيب منه الى أصوله الخالدة ، وانما الذى يأباه الاسلام علينا أن نأخذ كل شىء من الخارج دون رده الى قواعد الشريعة الفراء ، وقد آن الأوان لبعث هذا التراث العظيم على أيدي ، صفوة من ذوى الفيرة على الدين .

وقد دعى ذلك البعض الى القول بأن الفقه الاسلامى قد جمّد وان المسلمين قد تركوا الاجتهاد ، وهذا يجعله — فى نظرهم — غير صالح للعمل به فى هذا العصر الذى ارتقت فيه القوانين والنظم الحديثة حتى كادت تبلغ الغاية . ونحن نوافق هذا الفريق على أن الفقه الاسلامى جمّد من ناحية أسلوب عرضه ، ولكنه من ناحية قواعده الاساسية ومبادئه الكلية فانه لا جمود فيه بل هو حى ينبض بالحياة . يدلنا على ذلك أنه كان يظهر فى فترات متفاوتة من الزمان بعض الأئمة المجتهدين « كابن تيميه » وتلميذه « ابن القيم » يستنبطون أحكاما موافقة للعصور التى عاشوا فيها ، ويعرضون الفقه الاسلامى عرضا سليما يظهر ما فيه من مزايا عديدة تدلنا على صلاحيته لكل الأزمان . ثم مالنا نذهب بعيدا ونحن نرى فى هذا العصر من ينادون بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه بعد أن فتحوه ودخلوا فيه بالفعل ؟ ممثلا البحوث التى قامت بها حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية التى انعقدت بدمشق سنة ١٩٥٢ لبحث أوجه التكامل الاجتماعى ووسائل تنظيمه فى الدول العربية ، ذهبت فى هذه البحوث الى أن الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وأيام الاستنباط الفقهى . وقد اتجهت الحلقة هذا الاتجاه عن طريق الاجتهاد والتخريج فى الفقه الاسلامى . مثال آخر هو البحوث التى قام بها مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمراتها التى عقدها بين آن وآخر ، الى غير ذلك من أمثلة الاجتهاد .

والمفهوم الاسلامى الرابع :

هو أن الاسلام فى نظره الى المال راعى المبادئ التالية :

١ — لم يحتقر الاسلام المال ولم يزهد فيه بل اعتبره نعمة من نعم الله الواجبة الشكر ، وكذلك لم يرغب فى المال لدرجة السعى الى كسبه عن طريق غير شرعى .

٢ — حث الاسلام على الكسب الحلال واعتبر ذلك قرينة الى الله تؤدى الى حبه ومثوبته وسفوفته قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب المؤمن المحترف » كما قال « من أمسى كالا من عمل يومه أمسى مغفورا له » . وكذلك حرّم الاسلام الكسب الحرام لما له من نتائج سيئة ،

محرم الربا والقمار . . الخ . ووضع فى ذلك القاعدة المشهورة من « تقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة دائما » .

٣ - حرم الاسلام السؤال والاستجداء لما فى ذلك من مذلة وهوان . قال النبى صلى الله عليه وسلم « لئن يحتطب أحدكم خبز له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . وحث على العمل ولفت النظر الى منابع الثروة المختلفة ، فقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

٤ - عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات باعادة توزيع الدخل عن طريق الزكاة المفروضة والكفارات وصدقات التطوع . . . الخ ، ففرض للفقير فى مال الغنى ما يزيكه ويظهره وقرر له حقا معلوما وجعله فى كفالة الدولة وعليها أن تأخذ حقه من الغنى وتعطيه للفقير حتى لا يشعر بالمهانة ، وفى الوقت نفسه أوضح الاسلام بشكل ظاهر أن المال مال الله والانسان أمين عليه ينفقه حيث أمره الله ، وأن ملكيته للمال ملكية مقيدة . وإذا اعتقد الانسان ذلك لم ييخل باخراج حق الغير فى المال . قال تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

هذه هى نظرة الاسلام للمال ، فهو من جهة جعل له مركزا ممتازا لانه عصب الحياة ، ومن جهة أخرى بين أن المال مال الله وأن الانسان خليفته فيه ليتصرف فيه حسب الأصول الشرعية .

واختتم هذه المفاهيم بالاشارة الى أن موارد الخزانة او « بيت المال » هى :

١ - الزكاة : بأنواعها المختلفة .

٢ - الفيء ، ويشمل الخراج والجزية والعشور . والخراج هو ضريبة الاطيان الزراعية المفروضة عليها نظير التمتع بحق الانتفاع بها . والجزية هى الضريبة المفروضة على رؤوس أهل الذمة فى مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين .

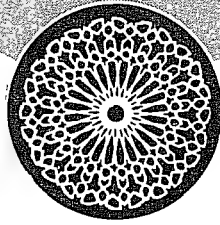
أما العشور فهى تقابل الرسوم الجمركية الآن ، وهى ضريبة تفرض على الصادرات والواردات من وإلى البلاد الاسلامية .

٣ - الخمس : ويشمل خمس الغنائم التى يستولى عليها المسلمون فى الحرب ، وخمس المعادن المستخرجة من الأرض ، وخمس الأسماك والالاء المستخرجة من البحار .

والموارد السابقة هى الموارد الرئيسية لبيت المال فى الاسلام وسيكون التركيز فى المقال التالى باذن الله على مورد الزكاة ، اذ أنه من أهم الموارد المالية لبيت المال فى الاسلام على نطاق الهيئات المحلية .

نحو تربية إسلامية

يا بني



للأستاذ أحمد محمد جمال

يا بني :

« لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

ليس في بلدك الذي ولدت فيه ، وولد فيه آباؤك من قبل ، شرك بالله في المعتقد الديني ، بمعنى أن الها غيره ينازعه خلقه ورزقه ، أو يدعى ويخشي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وحاشا سكان هذا البلد الحرام ، وجيرة الكعبة المشرفة ، رمز الوحدة الإلهية : أن يكون بينهم مشرك من هذا القبيل !! ولن أخشى عليك ، ولا على غيرك ، من أبناء اليوم وآباء الغد ، الحادا الى هذا الشرك الاكبر ، وهذا الظلم الاعظم فقد استنارت الأذهان ، واهتدت القلوب ، وآمن العالم جميعه — أو كاد — بوجود اله واحد خالد ، لولا أن وسائل هذا الايمان تختلف ، ويكتنف مظاهره ما يكتنفها من حيات وعصبيات ، وعقائد وتقاليد .

ولكني أخشى عليك ألوانا أخرى من الشرك .. ألوانا لا تفتأ شائعة ذائعة ، في أكثر بلاد المسلمين اليوم ، ولا أبرىء منها بلاد غير المسلمين ، فانها أخلاق تعم ولا تخص ، وتنتشر ولا تقتصر ، ولكنها في بلادنا (حُكُورَة) و (اسلام) المسلمين عامة — أشيع وأذيع ، لما سترى من (عروبة ، حُكُورَة) و (اسلام) مهجور .. !!

هذه الألوان من الشرك ، يا بنى : منها ما هو خفى ستير ، ومنها ما هو مكشوف وضاح ، ومنها ما سبب وحذك ضرره وأذاه ، ومنها ما يقتصر عليك شره وبلواه ..

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتطلب من أحد حاجة (فضلا) ، تتذلل لها وتتعلل ، بل اطلبها (حقا) ، فان (الأمور تجرى بمقادير) ، كما يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وتحدث الى الناس بقوة فى أدب ، وبعزة فى تواضع ، لئلا يظن أحد بك نفاقا أو ضعفا ، فان المؤمن لا يكون ذليلا ولا منافقا ولا ضعيفا .

ان رزقك المكتوب لك — يا بنى — على استقامتك ، لن يزيده أحد من الخلق ، اذا رضى عليك لنفاقك وضعفك ، ولن ينقصه أحد منهم ، اذا سخط عليك لقوتك وعزتك وعفتك .

لا تشرك بالله أحدا من الناس فى خوف أو رجاء ..

خفه وحده — سبحانه — فلا تأت معاصيه ، وارجه وحده كذلك ، فأت مرضيه . وقل الحق ما استطعت اليه سبيلا .

فقد مضى على أهلك شبابيه وهو لا يمدح ظالما ، ولا يمجّد غاشما ، ولا يهش ولا يبش فى وجه لص ، ولا يقول للمخطئ : أصبت ، ولا للمصيب : أخطأت ، مرضاة لرأى رئيسه أو صديقه ولا يصبر على ظلم ظالم ، الا اذا كان لا يقدر عليه ، متمثلا فى ذلك بقول الشاعر :

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدى

قصيرة عنك : فالأيام تنقلب

وينتظر انقلاب الأيام ، وانتقام القدر ، وقد ذاق حلاوة وفاء الأيام ، وحلاوة عدل القدر .. !

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتعدل مشهودا بين الناس ، وتظلم مختفيا عنهم ، ليقال انك عادل ، والله يعلم ظلمك ، ولا تنفق جهرا ، وتمسك سرا ، ليقال انك كريم ، والله يعلم لؤمك . ولا تظهر الورع والزهد بين يدى اخوتك وجيرانك ، وأنت تأتى المآثم فى خلوتك ، ليقال : انك صالح تقى . والله يعلم اثمك .. !

ان هذا اشراك للخلق مع الخالق — سبحانه — فى خشيته وهيبته ، فأعيزك يا بنى من ذلك ، وأرجو الله أن تكون واحدا فى شرك وعملك ، فلا تأتى الا ما تحبه ويحبه الناس ، ولا تدع الا ما تمقت ويمقتون .

أجل ان الشرك لظلم عظيم :

ظلم للظالم نفسه بما يخسر من رضا ربه الذى ينبغى ألا يطلب سواء ، وما يتبع ذلك من عقاب لن يفلت منه ، وظلم للمظلومين بما يخسرهم من حق ، ويحرمهم من فضل ، وبما يفترى عليهم من قلب الحق باطلا والباطل حقا ، فلا تشرك حبايا والجبان بطلا ، وجعل الحلال حراما ، والحرام حلالا .

فلا تشرك بابن — احدا من خلقه ، والنمس رضاه وحده ،

لتكون من عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم آمنوا به ، واستقاموا على طريقته ، واتبعوا هداه .

● يا بنى :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا سألت فاسأل الله ، وأعلم أن أهل الأرض جميعا لو تأمروا ليضروك ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعوا لينفعوك ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك « جفت الاقلام ، وطويت الصحف » (٢) .

ليس هذا الحديث من فلسفتى ، ولكنه توجيه كريم من توجيهات نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، يشد به عزائم أمته ، ويغذى ضمائرهم ، ويظهر مشاعرهم ، ليعيشوا وليس فى قلوبهم الا الله يخافون عذابه ، ويرجون رحمته ، ويصطحبون تقواه ، وكل الذى فوق التراب تراب ، ليس فى حسابهم من دون الله حساب ، وليس لهم من دون الله أرباب .

● يا بنى :

عندما مضت ميثقة الله بهلاك (يام) بن نوح عليه السلام ، ففرق فى الطوفان الذى أرسل عذابا للكافرين من قوم نوح .. وعندما توجه نوح بكل ما فى مؤاده من حنان الابوة ورحمتها الى ربه ، يسأله نجاة ابنه من الموت .. كان جواب القدر العادل الحكيم : « قال يا نوح انه ليس من أهلك .. انه عمل غير صالح » (٣) .

أرأيت يا بنى كيف أن النسب مهما ارتقى ، لا ينفع صاحبه اذا ساء خلقه ، وفسد عمله ؟ فهذا نسب نوح ، وهو النبى الكريم ، لم ينج ابنه (يام) من الفرق ، لأنه اختار المضى مع القوم الكافرين . وقد ألح عليه أبوه بكل ما أوتى من حنان الابوة ، وعزيمة النبوة : « يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين » (٤) .

ان نسب المسلم هو اسلامه اسلاما صحيحا فلا تهتم يا بنى ان قيل لك : انك غير عربى الأصل ، أو قيل لك : ان نسب جدك يتصل بـ (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، ذلك أن أباك لا يرى لعربى فضلا على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا هو أدب الاسلام ، الذى ندين به ، ويلزمنا أن تتفاضل بالاعمال لا بالانساب : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٥) .

وقد دلت وقائع التاريخ المتتابعة منذ العهد الاسلامى الأول الى اليوم ، على خطأ من لم يتأدبوا بهذا الأدب الرفيع : « العمل قبل النسب » اذ ترك أكثر العرب العمل والعلم اللازمين لاستقامة الحياة وصلاحها ، وللاطمئنان على المصير السعيد ، والخاتمة الحسنى — تركوهاما للتفاخر بالانساب ، والتكاثر بالاموال .

لقد رضى العرب بالحياة الدنيا ، واطمأنوا اليها ذليلة قليلة علية ، ولم يتزودوا لعزتها بإعداد القوة ، ولرخائها بإنشاء الصناعة والزراعة ، ولعافيتها بمعرفة العلوم الطبية والرياضية والتربوية .

ومن أجل ذلك كان مؤلفو أكثر تفاسير القرآن ، وانه لكتاب العرب ،

وشروح السنة ، وانها لحكم نبيهم — من غير العرب الاصلاء ، وجاء بعد هؤلاء علماء الغرب — عدو الشرق وسالبيه حضارته وثقافته وحكمته — فوضعوا التواريخ ، والفهارس ، وأبحاث الآثار ، بعد أن ضربوا فى صحارى بلاد العرب ودرسوا ما فيها .. !

ان ايدى غير العرب على العرب طائلة ، وانى لأعزى نفسى مكرها ، بأنه عسى أن يكون ذلك فى مقابل ايدى العرب الطائلة على غيرهم ، أى بدلا وعوضا عما قدمه النبى العربى الكريم الى العالم جميعا من نور .. نور فى كل شيء .. !

● يا بنى :

ان تكن عربيا ، فلا فضل لك على غير العربى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان تكن غير عربى أصلا ، فلك اسلامك ، وانه لفخر كل فاجر ، فقد تعلم أبوك العربية ، وحفظ القرآن ، ودرس بعض تفاسيره ، وليست العربية كما يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام « بأحدنا من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » (٦) .

ولك فيما يقوم به الآن المسلمون ، غير العرب ، من أعمال تبشيرية بالدين الاسلامى ، وأعمال اصلاحية للنهضة باخوانهم من الذلة والقتلة ، التى أورثهم اياها الاستعمار الغربى — لك فيما يقومون به ، ولا يقوم به غيرهم فى أى بلد اسلامى آخر — أسوة حسنة ، فانما الاعمال ، كما قدمت لك ، ميزانها العمل الصالح ، لا النسب والحسب .

وان صح نسبك الى عربى أصيل — عمر بن الخطاب أو غيره — فقد جمعت خيرين : العروبة والاسلام ، على ألا تسمى باسمها ، ثم تدع العمل ، وتركن الى الأمل ، فكل امرئ بما كسب رهين ، ورب أعجمى مسلم بعمله ، اكرم وأسلم وأغنم من عربى مسلم بأمله .

كن — يا بنى — عربيا كما كان العرب الأول : مروءة وكرما وعفة ، وشجاعة فى الحق ، ومسلما كما كان المسلمون الأولون : قولا سديدا ، وعملا صالحا ، وجهادا فى سبيل الله بيدك ولسانك ومالك .

وأحب العرب بكل قلبك ، فان حب العرب من حب نبيهم ، وبغضهم من بغضه ، وسل الله لهم العزة والقوة والتوفيق .

● يا بنى :

انك مأمور أن تدعو بالرحمة لأبويك وهما كبيران ، جزاء ما تعبنا فى تربيتك وانت صغير .

وسأصور لك ما رأيت بعينى ، وما أحسست فى نفسى من مظاهر ومشاعر ، لحنان الأم ورحمتها ، وحبها الأسمى لولدها . لتدرك لماذا كرر القرآن الكريم الوصية بالاحسان الى الوالدين ، ولماذا خص الحديث النبوى الأم بالنصيب الأكبر من هذا الاحسان .

شهدت بعينى رأسى ، ذات صباح ، أما شابة تضاحك طفلها الرضيع ، وتقبل يده الصغيرة فى نهم وشوق واعتزاز ، بعد ليلة ليلاء قضتها ساهرة جاهدة مع بكائه وعويله .

وتذكرت عندما رأيتها تهوى بشفتيها الرحيمتين على يد طفلها اليمنى ثم اليسرى — تذكرت الآيات القرآنية المتعددة النازلة بإيصال الأبناء بأبائهم وأمهاتهم إحساناً وبراً .. !

ما أروع هذا المنظر : أم تقبل يدي طفلها اليمنى واليسرى معا ، فى نهم وشوق واعتزاز . وقد تعودنا فى مراحل شبابنا ، وكهولتنا ، وشيوخوتنا ، أن يقبل الصفار أيدي الكبار ، والمرعوسون أيدي الرؤساء ، والجهلة أيدي العلماء ، وطالبوا الفضل والبركة أيدي الاتقياء والاولياء .

ان هؤلاء الأذنين يقبلون أيدي الأعلين ، خوفاً ، أو طمعاً ، أو اجلالاً مجرد اجلال ! ولكن الأم التى تقبل يدي طفلها اليمنى واليسرى ، فى نهم وشوق واعتزاز ، لا يدفعها الى ذلك شعور بخوف ولا طمع ولا اجلال .

انها دافعها الحب الخالص ، المنزه عن الطمع والخوف والاجلال ..

الحب الذى لم يكن ثمنا لأى شئ ترجوه فى طفلها الحبيب .. !!

الا ما أغلاها قبله .. ! وما أحلاها شفة أم تهوى على يدي طفلها الرضيع .. ! وما أجله حبا ، حب الأمهات للرضعاء .

ثم هذه الليالى الطوال ، ليالى الأمهات مع أطفالهن ، الليالى التى كلها سهر وتعب وصبر على شم أقدار الطفولة ومسها وتطهيرها ، الليالى التى تنتهى فى الصباح الى قبله رحيمه من فم الأم الطهور ، على يدي الطفل العزيز ، فى نهم وشوق واعتزاز .. هذه الليالى المثقلة بدموع الأم ، وعرقها ، وآهاتها ، هذه الليالى السود التى تتنفس عن صبح باسم تنسى فيه الأم آلامها ، وتهوى على يد من كان سبب هذه الآلام والأثعب تقبلها ، فى نهم وشوق واعتزاز ، وتضحك فرحة مسرورة سعيدة كأن شيئاً ما لم يقع منذ بضع ساعات أسال عرقها ودموعها ، وأخرج آهاتها وأناتها من صدرها الحنون .. !

هذه الليالى ، هى التى هيأت الأمهات لأن تكون الجنة تحت أقدامهن ، وهى التى أوجبت حق الأمهات مضاعفاً على الأبناء ، فى البر والاحسان اليهن ، أكثر من حق الآباء (٧) .

ليس ذلك وحده هو فضل حب الأم الأولادها ، وليس ذلك وحده هو ما أوجب برها والاحسان اليها واکرامها مضاعفاً كل ذلك عن حق الأب على ولده . فهناك الدعوات المكررة الحارة ، فى كل يوم وكل ليلة ، بل فى كل ساعة ، تدعوها الأم لأولادها أن يهبهم الله كل صحة وعافية تراهما فى شخص ، وكل خير وبركة تشاهدهما فى آخر ، وكل مجد ورفعة تعجب بهما فى ثالث .. وهكذا لا ترى ما يسر ويعجب فى أحد من الناس الا تضرعت الى الله أن يقر عينها بتحقيقه فى أولادها الأحباء .. !

وهنا يجب أن ندرك لماذا كرر القرآن فى مواضع كثيرة منه وصيته : « وبالوالدين إحساناً » فى كل من سورة البقرة / ٨٣ والنساء / ٣٦ والأنعام / ١٥١ والإسراء / ٢٣ قارنا هذه الوصية المكررة بوجوب توحيدہ بالعبادة ، ونهيه عن الاشرار به عز وجل .. ؟!

هذا ، ولسنا نهضم حق (الأب) بما أكثرنا من الحديث عن حق (الأم) على (الولد) ، فالأب هو صاحب الفضل الأكبر فى الاتفاق والاشراف على

الاولاد ، تربية وتعليما ، وتقديما لهم فى مدارج الحياة ، ومعارج المجد والرفعة . وحسبنا أن نتصور حياة (الولد) دون أبيه . . اننا نسميه (اليتيم) وننظر اليه نظرات الشفقة والرثاء ، ونمد اليه أيدى البر والغوث ، ويراه الناس فى مجتمعه كسيرا كسيفا ! ولا كذلك (الولد) يعيش فى كنف أبيه ، وتحت ظله عزيزا كريما آمنا ، قوى النظرة واليد واللسان .

الا ما أعظمه حقا هذا الذى يجب للآباء على الأبناء ، وما أكرمها دعوة هاته التى أوحى إلينا بها القرآن ، بعضا من مكافأة الاولاد للوالدين : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٨) .

● يا بنى : « أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور » (٩) .

تلك يا بنى وصية (لقمان) لابنه ، وقد كان رجلا حكيما من غير نبوة ، وقاضيا فى بنى اسرائيل على عهد داود عليه السلام ، أوصى ابنه باقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل كل ذلك من مكروه . .

ان اقامة الصلاة يا بنى — على وجهها — تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك بدأ لقمان نصيحة ابنه باقامة الصلاة ، لينتهى هو أولا عن المنكر ، ويأتمر بالمعروف ، ويتهيا بذلك لاصلاح الناس بعد صلاح نفسه ، اذ أن النصيحة بالخير لا تؤتى ثمارها ، وتضيء أنوارها ، الا اذا كانت صادرة من رجل خير فى ذاته ، لا كما يقول الشاعر :

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى

كيا يصح به وانت سقيم

ابدا بنفسك فانها عن غيرها

فاذا انتهت عنه فانت حكيم

لا تنه عن خلق ، وتأتى مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم

ولا يغرنك — يا بنى — ما ترى من رجال يقيمون الصلاة ، ويترددون على المساجد ، يحملون مسابحهم ، وعلى وجوههم آثار السجود الطويل ، وهم مع ذلك لا يأترون بمعروف ، ولا ينتهون عن منكر ، فان أولئك لم يعملوا ، وانما قاموا وركعوا وسجدوا . وايها صلاة لم تنه صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد بها من الله الا بعدا ، وستلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، رمزا لعدم القبول .

فأقم الصلاة — يا بنى — صلة بالله تناجيه فيها بقلبك ، وتبثه همومك وآلامك وآمالك ، وترجوه — وحده — العون على الجهاد فى سبيل حياة شريفة عفيفة ، وخاتمة مجيدة سعيدة .

كان (محمد) نبيك الكريم عليه الصلاة والسلام يقول : « كلما حزبنى أمر فزعت الى الصلاة » ، وكان يقول لمؤذنه : « أقم الصلاة يا بلال . . أرحنا بها » .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يلتمس فى الصلاة الفرج ، ويرجو بها الراحة ، ويجد فيها حلاوة الاتصال بالخالق الرازق ، الواهب السالب ، المحيى المميت . وكذلك أرجو أن تكون صلاتك يا بنى ، صلة بالله وثيقة قوية ، تبعد عنك سخطه وتدنى رضاه .

ثم اذا استويت قويم الخلق ، صالح العمل ، فانشد فى غيرك الاستقامة والصلاح ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، وقل الحق ، وادحض الباطل ، وارفض الذلة والهوان « فالساكت عن الحق شيطان أخرس » ، « وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . ومن المعجب فى الرجل اذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه : (لا) !

واذا رأيت جاهلاً بأمر من أمور الدنيا والدين ، فهبه من علمك علماً ، واذا لقيت عسير فهم ، فامنحه من ذكائك قسماً ، واذا رأيت مظلوماً فانصره ، أو ظالماً فانصحه ، وامح فى طريقك ما تعثر عليه من علائم الباطل وآثار البهتان .

وبالجملة كن يا بنى : نورا من نور الله الذى يفرينا القرآن بالتماسه : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » (١٠) .

● التمس يا بنى هذا النور ، فليس من دونه ملتمس لنور : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (١١) .

على أنك — بسبب هذا النور الذى تؤتاه ملتقى بشياطين الإنس والجن ، الذين يبسطون أمالك الحجب ، يصدونك بها عن سبيل الله ، ويؤذونك فى نفسك وعرضك ومالك ، فلا تبتئس لما يفعلون ، فتلك سنة الله سبقت فى من هو أفضل منك . . فى الانبياء المصطفين : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (١٢) . ولا يلقى الصبر والنصر على هؤلاء الشياطين الا ذو حظ عظيم : من حزم وعزم وإيمان ، فاصبر على ما يصيبك ، ان ذلك من عزم الامور .

(٤) سورة هود / ٤٢ .

(١) سورة لقمان / ١٣ .

(٥) سورة الحجرات / ١٣ .

(٢) أخرجه الترمذى فى السنن .

(٦) رواه ابن عساكر عن مالك .

(٣) سورة هود / ٤٦ .

(٧) فى التوجيهات النبوية : ألزم رجلها فثم الجنة . . وسأل رجل الرسول عليه الصلاة

والسلام : أى الناس أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك — ثلاثا — ثم قال فى

الرابعة : أبوك .

(٨) سورة الاسراء / ٢٤ .

(٩) سورة لقمان / ١٧ .

(١٠) سورة الانعام / ١٢٢ .

(١١) سورة النور / ٤٠ .

(١٢) سورة الانعام / ١١٢ .

اليهود وثأرهم

للدكتور : محمود محمد زيادة

التي كانت عملا بارعا وسياسة حكيمة
رشيدة فقد أخذ زمام المبادرة وأصبح
عن رغبته في حسن الجوار والمشاركة
في الأمور العامة وكان الأمل كبيرا
بعد عقد المعاهدة أن تسير الأمور بين
الرسول واليهود سيرة حسنة ولكن
ذلك لم يكن فلماذا : ذلك لأن الرسول
عندما أقام حكومته بالمدينة أساسها
الوحي والشورى ، والمؤاخاة في
المبدأ والعقيدة والفكر وانفصح أمام
الرسول الكريم المجال ليعلم تعاليم
الإسلام وليكون بذاته وتصرفاته المثل
الأعلى للتعاليم الإسلامية ، وتركت
هذه التعاليم وتلك القدوة أعماق الأثر
في النفوس فأقبل كثيرون على
الإسلام وإزداد المسلمون في المدينة
شوكة وقوة ، فبدأ اليهود يفكرون من
جديد في موقفهم من محمد وأصحابه
لقد عقدوا معه عهدا ، وهذا العهد
يحول بينهم وبين المجاهرة بالمداوة
وحمل السلاح ، وكانوا يطمعون أن
يضموه إلى صفوفهم ، وأن يزدادوا به
على النصارى قوة ومنعة لأنه كان
أقوى من هؤلاء وأولئك جميعا فهل
يتركون دعوته تنتشر مكتفين بالأمن في
جواره أمنا يزيد من تجارتهم سعة ،
وثروتهم ربحا ؟؟ لعلهم كانوا يقنعون
بهذا لو أنهم آمنوا ألا تمتد دعوته
إلى اليهود وألا تفشو في عامتهم .
على حين تقتضيهم تعاليمهم الزعومة
ألا يؤمنوا بنبي من غير بنى إسرائيل ،

اليهود اهل غدر وخيانة منذ
وجدوا فتاريخهم حجة دامغة على أنهم
لا عهد لهم وأنهم رجس يجب تطهير
الإنسانية منه ، ووباء يجب حماية
البشرية من فتكه .
فطالما أشعلوا نيران الحروب بين
الشعوب ، وسلبوا أموالهم ،
وأفسدوا أخلاقهم ، وكان الرسول
عند هجرته إلى المدينة يعرف أخلاقهم
المرذولة وطبيعتهم الفادرة ، ويدرك
أن وراء ظهره في الجنوب طغيان
مكة وجبروت أهلها ورفضهم تقبل
دعوته ومطاردتهم إياه ، فليس من
الحكمة أن ينهج منهجا يثير به ثائرة
اليهود الذين هم أخطر وأقوى من أهل
مكة في النواحي العلمية والاقتصادية
والعسكرية وفي الوقت نفسه لا تربطه
بهم قرابة كترشيش بمكة تخفف من حدة
العدا بل إنه كان بين هؤلاء اليهود
وبين الخزرج والأوس معاهدات
ومحالفات قبل مجيء محمد عليه
الصلاة والسلام فإذا من الحكمة كل
الحكمة أن يعقد معهم حلفا ليأمن
خطرهم وليحقق في منطقة المدينة
الاستقرار والدفاع عنها ضد أي
اعتداء قد يقع عليها والتعاون بالمال
إذا حدثت أزمة اقتصادية ، وليضرب
المثل العليا للتعاون بين أتباع الأديان
المختلفة على أساس من حرية العقيدة
وحرية الدين فعقد معهم المعاهدة
المشهورة في التاريخ . تلك المعاهدة

في حياة الرسول ﷺ

« يا معشر اليهود ويلكم . اتقوا الله فوالذي لا إله إلا هو . انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق فاسلموا » فقالوا : « ما نعلمه » قال : « فأي رجل فيكم » عبد الله بن سلام « ؟ قالوا : « سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا » قال : « افرأيتم ان اسلم ؟ » قالوا : « حاشا لله ما كان ليسلم » قال « يابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : « يا معشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله وانه جاء بالحق » فقالوا : « انت شرنا وابن شرنا » وتنقصوه . فقال : « يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف » .

فخبرني أيها القارئ الكريم أي تناقض أعجب من هذا التناقض ولا عجب إذا عرفنا طبيعتهم المتناقضة ، وانهم لا يراعون إلا ولا ذمة .

وبدأت حرب جدل بين اليهود والمسلمين أشد لدا وأكبر مكر من حرب الجدل بينه وبين قريش في مكة واستعملوا الدس والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الانبياء والمرسلين أسلحة يقاومون بها انتشار الدعوة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى إنكار كل ما في التوراة كما استعملوا سلاح الوقيعة بين الأوس والخزرج .

ومن أمثلة إنكارهم لما في التوراة ما سبق من انكار صفات محمد وأيضا ما روى عن عبد الله بن عمر أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أن رجلا منهم وامرأة

فكانوا يفهمون انههم خارج نطاق الدعوة الإسلامية وحسبهم منها أن يتحالفوا مع صاحبها ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم افهمهم أن الدعوة لهم وللعرب وللناس جميعا . بل كان النبي ينتظر من اليهود أن يكونوا أول المؤمنين به لا أن يكونوا أول الكافرين به ، فدعوته دعوة السلام والإصلاح ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وقد حرفوا صفات النبي العربي التي يجدونها مكتوبة عندهم في التوراة حتى لا تقوم عليهم الحجة بنبي يبعث من العرب ، وكانوا يستفتحون به على العرب من الأوس والخزرج ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبي يبعث في آخر الزمان سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود » فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وعاندوا وبلغ عنادهم نهايته ، وغيظهم مداه حين فوجئوا بإسلام حبر من كبار أبحارهم هو « عبد الله بن سلام » وقد روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبي فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال : « يا رسول الله إن اليهود قوم بهت — جمع بهوت والبهوت العريق في الكذب والافتراء — وانههم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى يهتوني فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه فقال :

زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ » فقالوا : « نفضحهم ويجلدون » فقال عبد الله بن سلام : « كذبتكم إن فيها الرجم » فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله ابن سلام : « أرفع يدك » فرفع يده فإذا آية الرجم موجودة فيها .

ومن أمثلة الدس والوقيعة بين الأوس والخزرج ما روى أنه مر شاس بن قيس على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فأله ما رأى من الفتنة وصلاحيات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال : « قد اجتمع ملائكة بنى قيلة - الأوس والخزرج - بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم من قرار » فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : « أعهد إليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار » ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواءم رجالان من الحيين على الركب فتناولوا ثم قال أحدهم لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » وغضب الفريقان جميعا وقالوا : « قد فعلنا موعدكم الظاهرة - وهى الحرة - السلاح السلاح » فخرجوا إليها وبلغ ذلك الرسول فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين . الله . الله . ابدعوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر والف بين

قلوبكم ؟ » فبكى القوم وعانق بعضهم بعضا وعرفوا أنها دسيسة من عدوهم . ولما لم تفد هذه الأسلحة فكروا فى أن يهكروا بالرسول وأن يقتلوه بالجلالة عن المدينة كما أجلاه أذى قريش من مكة ، فذكروا له أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس ، وكان به مقامهم ، وأنه إن يكن رسولا حقا فجدى به أن يصنع صنيعهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره بهذا المكر وأوحى إليه أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام « فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام » فولى وجهه شطر المسجد الحرام ، وأنكر اليهود على النبى ما فعل وقالوا : « إنهم يتبعونه إذا رجع إلى قبلتهم » وهم كاذبون فى ذلك أشد الكذب وأعظمه وعندئذ نزل قول الله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . وقد أكثر اليهود من التنديد على الإسلام لهذا التحويل فقالوا : « إذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع محمد عبادة الذين صلوا إليها ، وإذا كان حقا فلا معنى للتحويل عنه وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة » وقالوا : « إن أفعال محمد لو كانت مستندة إلى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولائم نقضه فى الغد ولا سيما فى الأمور التعبدية » . ولا شك أن هذا دس ودعاية كاذبة أرادوا بها تشكيك المسلمين فنزلت آيات سورة البقرة حاملة على اليهود ومطمئنة للمسلمين فقررت أن المسألة ليست فى الشرق ولا فى الغرب وإنما

هى الاتجاه الخالص لله ، وأن الله لا يضيع إيمان المؤمنين ولا صلاتهم ، وعليهم ألا يستمعوا إلى دسائس اليهود الذين يعلمون أن ما وقع حق وإن كتموه ، وأنه لا أمل فى اتباعهم لدعوة النبى وقبيلته وأن الله لا ينسخ أمرا إلا ويأتى بخير منه أو مثله ولله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإزاء موقف قريش وموقف اليهود كان على الرسول وأصحابه أن يناضلوا عن وجودهم ، وأن يعملوا ما يستطيعون على إيجاد حالة من السلم الدائم تهىء الجو لتأسيس مجتمع فاضل يعيش فى ظله الناس متحابين فى أمن وسلام ، وذلك لا يكون إلا بنشر دعوة الإسلام . دعوة الإصلاح والسلام ، والحضارة التى وضع الرسول حجر الأساس فيها بتعاليمه ومثله ، ولكن كيف يكون ذلك ومشركو العرب لا يزالون سادرين فى غيهم واضطهادهم للمسلمين واليهود يتحينون الفرص للتضاء على الإسلام .

الرسول يريد أن يؤدى رسالته وأن يبلغ دعوة الإصلاح والسلام يريد أن ينقذ الناس ويخرجهم من الظلمات عليهم . - عليه غنتهم حريص والرحمة ، وكان شأن المحتلين للرسول الذين سبقوه المحق والابادة ففريق يفرقهم فى اليم وفريق آخر يرسل عليهم صيحة واحدة فيجعلهم كهشيم المحتظر لا تبقى ولا تذر كالقنابل الذرية الفتاكة ، والرسول يشفق عليهم من كل هذا مع أنهم أشد شموسا وأغلظ أكبادا وأعظم إيذاء من سابقهم فكان موقفه معهم كموقف الطبيب الالمى من المريض يجرب كل دواء ، ولا يلجأ إلى الموضع إلا إذا

فشل الدواء ونعين السلاح ، فقد بشر وأنذر ، ولأق من الأذى ما لاقى ، وأخرجوه من داره بعد أن ائتمروا على قتله ، وأخرجوا أصحابه من ديارهم بغير حق سوى قولهم ربنا الله ، فحاول تجنب قتال القرشيين بإرسال جماعات صغيرة وهى المعروفة بالسرايا - جمع سرية وهى القطعة من الجيش وتطلق على الجماعة الصغيرة التى يكون على رأسها أحد قادة رسول الله - تهدد طريق تجارتهم التى يحرصون على سلاتها كل الحرص وتشعرهم بقوة المسلمين عليهم يثوبون إلى رشدهم ، فيحاولون التفاهم مع الرسول وأصحابه تفاهما يؤدى إلى حريصة الدعوة وحرية دخول مكة لأداء فريضة الحج فيحجون كما تحج بقية القبائل العربية ، فكانت السرايا والغزوات وفى المرحلة الأولى منها كان اليهود يعدون أنفسهم لرفض الوجود الإسلامى الذى كان ينمو ويتزايد ، فلما حدثت سرية عبد الله بن جحش وأثارت قريش ثائرة الدعاية ضد الرسول دخل اليهود فى الموضوع يريدون اشعال الفتنة والحرب ثم نزل القرآن قاطعا لالسنة قريش واليهود وبينت آية البقرة (٢١٧) أن المتلبس بكثير من الشرور ليس له الكلام فى الزننول تكب ما هو أشنع منها وأيقن الدعوة ، وليس هذا فحسب ، بل أنهم لا عهد لهم .

أثر انتصار بدر فى اليهود - إجماع يهود بنى قينقاع عن المدينة :

حدث عقب السرية السابقة غزوة « بدر الكبرى » أولى معارك الإسلام ضد الذين

حاربوا الدعوة وانتصر المسلمون فيها انتصارا رائعا، وإذا كان هذا الانتصار قد ترك آثارا في المشركين عامة وفي قريش خاصة فإنه ترك آثارا أكثر وضوحا في اليهود فقد ازداد حقدهم أكثر من ذي قبل على الرسول يدلنا على ذلك قول كعب بن الأشرف أحد زعمائهم : بطن الأرض خير من ظهرها بعد أن أصيب أشرف الناس وسادتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن : ويقفون موقفا جديدا بدأت مظاهره بالتحريض والإغراء بمحمد وأصحابه والتشبيب بنساء المسلمين ، والانتصار بالرسول والتفكير في اغتياله وكان ذلك يصل علمه إلى الرسول والمسلمين فيأخذون حذرهم منهم ويصبرون على أذاهم وما زال الأمر كذلك حتى نقصد يهود بنى قينقاع — وكانوا يسكنون في قلب المدينة — عهدهم بالتعدي على امرأة مسلمة من الأنصار بسوق الصاغة حيث ذهبت إلى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلئ لها . فتعرض لها جماعة من اليهود والذين كانوا عند الصائغ ، وأصروا على أن تكشف لهم عن وجهها . يعاونهم في ذلك الصائغ اليهودي اللئيم الذي أدرك إصرار المرأة وعدم تنازلها عن أن تكشف لليهود وجهها فاختلس لحظة وعقد طرف ثوبها إلى ظهرها يشكت فلما قامت انكشف فصاحت ، فوثب رجل مسحوا منها ، فدخل معه من المسلمين على أشد اليهود على منسجم قتلوه فاستصرخ أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع فذهب الرسول إلى هؤلاء الأوغاد وطلب منهم أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد المودعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش .

فاستخفوا بوعيده وأجابوه : لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصابت منهم فرصة : إنا والله لننحاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ! في اعتقادنا أنه لم يبق بعد ذلك إلا مقاتلتهم ، وإلا تعرض المسلمون وتعرض سلطانهم للتداعي ، وأصبحوا حديث الناس ، فكان قرارا حكما من الرسول حينها أعلن أن يهود بنى قينقاع . إما أن يسلموا ، وإما أن يجلوا جلاء تاما عن المدينة ، ولما لم يستجيبوا لهذا الإعلان وتحصنوا بحصونهم خرج المسلمون إليهم فحاصروهم في دورهم وحصونهم خمسة عشر يوما متتابعة في بطولة فدائية رائعة . لم يجرؤ فيها أحد منهم على مغادرة منزله . على الرغم من أن عددهم وعدتهم أكثر وأقوى مما لدى المسلمين فهم عند بعض المؤرخين سبعمائة مقاتل (ثلاثمائة دارع وأربعمائة جاسر) ، وكان هذا العدد يتحرك على أرض تمكنه من القتال ، ومن المناورة ، وذلك أنهم كانوا قد اتخذوا لهم حصونا ومخابئ . ومع ذلك فإن أولئك الذين هددوا وتوعدوا الرسول في سوقهم « لننحاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » .. قد ظلوا في حصونهم ومخابئهم حتى إذا ما أصبح عليهم والتي أصبحت صفة لازمة لهم ، فاليهود أجبن خلق الله وأضعفهم ، ولا يستأسدون إلا إذا وجدوا من يحميهم ويشد ظهورهم ، وهم الآن في طريقهم إلى الضعف والاختلاف « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » والفرصة متاحة للقضاء عليهم إذا ما صدقت العزائم وقويت الهمم ، وإنا لا محالة إن شاء الله لمنتصرون عليهم . وعندما أعلن اليهود تسليمهم بلا

للإسلام والمسلمين ، وهزيمة شنيعة لليهود والمنافقين والمشركين فقد جلا بنو قينقاع دون أن تتمكن بقية القبائل اليهودية من مدّ العون والمساعدة لهم . ذلك أن الرسول حينما عقد المعاهدة مع اليهود عمل عملا بارعا يدل على حنكة سياسية ، وبعد نظر ، فلم يجمع قبائل اليهود كلها فى معاهدة واحدة ، ولم يجعل منهم شخصا معنويا حتى إذا ما حدث النزاع فى المستقبل بين المسلمين وبعض طوائف اليهود لم تجد بقية القبائل اليهودية مجالا للتدخل فى هذا النزاع ، وهذا ما حدث بالفعل . فمثلا عند ما نقض يهود بنى قينقاع عهدهم واصطدم بهم المسلمون وقف بقية اليهود على الحياد وقالوا : مالنا ولهم نحن على عهدنا : فلم تمكنهم المعاهدة من عمل شىء ظاهر ، ولكنهم اليهود . الجبناء فقد بدعوا يخططون على المدى البعيد فلجأوا الى أساليب إشاعة الفتنة وعمل العراquil ضد المسلمين ونقل أخبار المسلمين إلى المشركين ، فيروى لنا التاريخ أن أبا سفيان لم يطق البقاء بمكة قابلا تحت خزي هزيمة بدر فخرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليستشيرهم ويستعين بهم على حرب محمد فأتى سلام بن مشكم ، واجتمع به وتدارس معه أجدى الطرق للايقاع بالمسلمين ووضح له سلام أفضل الثغرات للهجوم برجاله على وادى المريض ، فهجموا عليه وقتلوا رجلين وحرقوا بيتين وبعض الخيل ثم أنكفأ أبو سفيان هاربا مخافة أن يطلبه محمد ، فكانت حملته كحملة قطاع الطرق وكان يصل علم ما يقوم به اليهود الى الرسول وأصحابه فيأخذون حذرهم منهم وصاروا

قيد ولا شرط فوضوا أمرهم للنبي أن يفعل بهما يشاء . وقبل أن يتخذ الرسول قراره فى القوم تقدم إليه عبد الله بن أبى بن سلول وقال : يا محمد أحسن فى موالى : فأعرض عنه الرسول ولم يرد عليه فاستجار ابن أبى بالرسول وقال : والله لا أدعك حتى تحسن فى موالى أربعمئة جاسر وثلاثمئة دارع منعونى من الأسود والاحمر تحصدهم فى غداة واحدة ، والله لا آمن ولا أخشى الدوائر ! فهل أثر هذا الكلام فى نفس الرسول ؟ أم أن الرسول أراد أن يلحق بقية اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وغيرهما درساً فى العفو عند المقدرة ، وأنه مهما كثر عددهم وقويت عدتهم فإن الله ناصرهم ؟ فقال لابن أبى : هم لك : واكتفى بإجلالهم عن المدينة على أن يتركوا من ورائهم السلاح وأدوات الذهب وكان الذى يشرف على عملية الجلاء « عبادة بن الصامت » الذى كان حليفهم ومع ذلك لم يتشفع فيهم وتبرا من حلفهم ، فنزل فيه وفى ابن أبى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم . . إلى قوله : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فتم الجلاء وساروا حتى بلغوا وادى القرى وبقوا هناك زمنا ثم ساروا إلى أذرعاء على حدود الشام ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك أكثرهم وأستولى المسلمون على أموالهم ، وديارهم وحصونهم دون أن تراق قطرة دم واحدة .

أثر جلاء بنى قينقاع

وكان ذلك الجلاء فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ولا شك أن جلاء قبيلة يهودية كانت تسكن قلب المدينة يعد نصرا كبيرا

يعتقدون أنهم لا يقتلون خطراً عن قريش .

إجلاء بني النضير : بعد موقعة أحد وجد أهل المدينة من اليهود والمنافقين فيما أصاب المسلمين بالرجيع وبثر معونة ما أعاد إلى ذاكرتهم هزيمة المسلمين في أحد وما أضعف في نفوسهم من هبة محمد وأصحابه ، وفكر النبي في هذه الحالة تفكير سياسى دقيق النظر . بعيد مرامى الرأى ، فليس شئ أشد على المسلمين يومئذ خطراً من أن تضعف في نفوس مساكنهم بالمدينة هيبتهم ، وليس ما يطمع قبائل العرب فيهم من أن تشعر بهذا الانقسام الداخلى الذى يوشك أن يثير حرباً أهلية إذا غزا المدينة غاز من جيرانها . ثم إنه رأى أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر ، فقدّر أن لا شئ خير من أن يستدرجهم لتتضح نياتهم . وكان قد حدث أن قتل « عمرو بن أمية الضمري » رجلين من بنى عامر انتقاماً من قبيلتيهما لقتلهما عدداً من المسلمين يوم « بئر معونة » وكان الرسول قد أمنهما ولم يعلم بذلك عمرو فعزم الرسول على دفع دية الرجلين فذهب إلى محلة بنى النضير على مقربة من قباء فى عشرة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . يطلب منهم دفع نصيبهم — بمقتضى المعاهدة — من دية القتيلين اللذين قتلتهما عمرو ابن أمية خطأ ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه : وتظاهروا بالقبول ثم خلا بعضهم إلى بعض وتآمروا على قتل النبي عليه السلام بالقاء حجر عليه من فوق الجدار الذى يجلس الرسول إليه ويحدد ابن هشام فى سيرته اسم الرجل الذى يقوم بهذا العمل وهو « عمرو بن جحاش » .

وهل جاء الرسول الوحى بما عزم عليه القوم فقام ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج راجعاً إلى المدينة ؟ أو عرف النبي ذلك بعمق شفافيته وسرعة بديهته فقد رأى ببصيرته النافذة كيف يقوم بعض القوم إلى البعض يسرون القول . ثم يلح أحدهم يتسلل إلى البيت الذى يجلس الرسول إلى جداره فيستأذن أصحابه فى هدوء ويقوم وحده عائداً إلى المدينة . وأياً ما كان فإنه لما أبطل قام أصحابه فى طلبه فأخبرهم الخبر من اعتزامهم القدر به .

وأمر بالتهيؤ لحربهم ، وقبل أن يسير لهم أرسل إليهم « محمد بن مسلمة الأوسى » يقول لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم . أن أخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر . لقد أجلكم عشرة أيام . فمن رأى بعد ذلك ضربت عنقه » فبدأ القوم يستعدون للرحيل ، وبينما هم يتجهزون إذ جاءهم رسولان من عبد الله بن أبى يقولان لهم : « لا تخرجوا من دياركم وأموالكم واثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » فطمع بنو النضير بهذا الوعد وراوه فرصة . ماذا لو انتصروا هم ومنافقو المدينة ، وعادت إليهم أوضاعهم كما كانت قبل الإسلام ؟ ويستقر رأيهم على القتال ، ويقيمون المتاريس فى الطرقات ويحتمون بالحصون ويكدسون أرزاقاً تكفيهم سنة كاملة من الحصار ، والماء متيسر فى آبار الحصون ورغم كل هذا الذى عبأ به اليهود أنفسهم من تأمر وتحالف وتحصين فإن النبي قد وجه المسلمين أن يقوموا إلى اليهود فى مواقعهم ويهاجمونهم فى حصونهم ، وتدور الحرب بين المسلمين ، وبين بنى النضير : داراً

بعد دار وشارعا بعد شارع واليهود يدمرون ما يضطرون الى اخلائه « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » . ومع صبر المسلمين وجلدهم ، وقوة إيمانهم ومواصلة حصارهم لبنى النضير ست لیسال متتابعة لم يظهر ضعف فى مقاومة اليهود ، فأمر الرسول بقطع بعض نخيلهم وحرقتها . ليكون أدعى لتسليمهم . لأن الرسول يعرف طبيعتهم الذى لا يعرف معاني التضحية والبذل فى مواقف الشدة وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ولم يصل إليهم من عبد الله بن أبى مسعدة ، فقبلوا الجلاء بشرط أن يكف الرسول عن دمائهم وأموالهم وأمتعتهم إلا آلة الحرب فقبل الرسول أن يكف عن دمائهم ، وكل ثلاثة منهم لهم بغير يحملون عليه ما شاءوا من متاع وأموال فقط . فصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كى لا يسكنها المسلمون .

جلا بنو النضير فنزل بعضهم بخير وقصد بعضهم الآخر الشام : **الجريمة والجزاء** : إذا نظرنا إلى جريمة بنى النضير . نجد أنها جريمة فظيعة كانوا يستحقون من أجلها الإبادة جميعا .

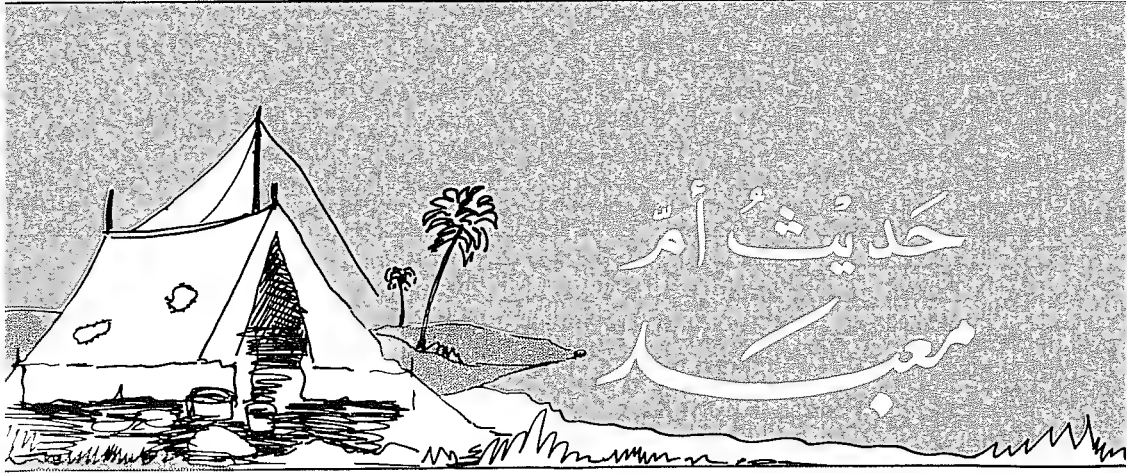
ذلك أنهم لم يتآمروا على قتل فرد بصفته فردا ، وإنما تأمروا عليه بعنوان أنه نبي المسلمين ، ورئيس دولتهم ، وصاحب الدعوة التى الفت بين قلوبهم ، وجعلتهم قوة لا يستهان بها ، وإذن فهم تأمروا على كل المسلمين فى شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . ولا زالت تلك طبيعتهم الشريرة إلى يومنا هذا . يحاولون القضاء على صاحب كل دعوة جديدة وعلى كل رئيس يعمل للصالح العام فى الدول العربية

يسمى للنهوض بها وتقدمها ، ويضعون الصعاب فى طريقه ، ويعملون على التفرقة بينه وبين جماعته ، ولكن كل ذلك لن يكون ! .

فكما أنهم لم ينجحوا فى مؤامرتهم ضد الرسول ورد الله كيدهم فى نحورهم ، فلن ينجحوا فى مؤامرتهم ضد المسلمين والدول العربية ، فقد وضحت سرائرهم ، وانكشفت مؤامرتهم ووضحت لكل ذى عينين .

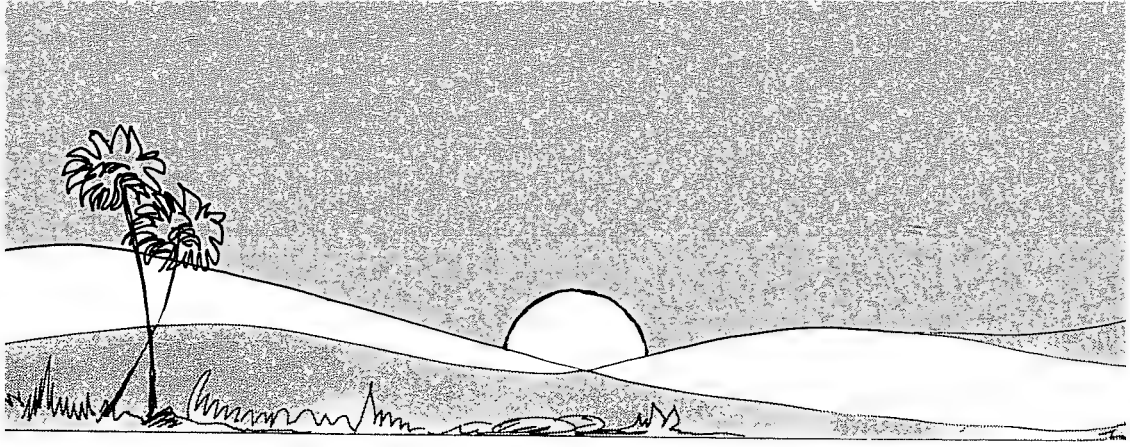
وعلى ذلك فجرمتهم كانت بشمة ومع هذا فلم يأمّر الرسول بإبادتهم بعد استسلامهم لأن الرسول من خلقه العفو والصفح حتى مع أعدائه ويرجو أن يرتدع غيرهم ، ويرجع عن التآمر والغدر ، ولكن ذلك لم يكن لأن جبلتهم الغدر والخيانة وسيوضح ما كان من يهود بنى قريظة من تآمر ، ولذا كان جزاؤهم يختلف عن بنى قينقاع وبنى النضير اختلافا تاما .

أثر جلاء بنى النضير : من السهل أن يقدر الإنسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بنى النضير عن المدينة ، فضعف اليهود ، يؤدى بالتالى إلى اضعاف العنصر الثانى وهم المنافقون ويبين أهمية جلاء بنى النضير أن سورة الحشر نزلت فيما كان منهم وما حل بهم ، وفيما كان من المنافقين الذين شجعوهم على المقاومة وما كان من الفوائد التى عادت على المسلمين من جلاء قبيلة بأكملها عن المدينة ، فقد أصبحت أرضها ملكا لمن اختص به من المهاجرين وبعض الانصار الفقراء مثل أبى دجانة وسهل بن حنيف فاعتبط المهاجرون والانصار بما أصابوا من أرض اليهود ، وسر الجميع بغنيمة السلاح الذى تركه بنو النضير بناء على شروط الجلاء .



من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حديث أم معبد رضي الله عنها الذي حدث به حبيش بن خالد رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة رضي الله عنهما ، ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبى بفناء قبعتها ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل لها من لبن قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ، قالت : نعم بأبي أنت وأمي أن رأيت بها حلبا فأحلبها ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها في شأتها فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رويوا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى امقلا الإناء ، ثم غادره عندها ، وبأيعها وارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، تساوك هزالا ، مخاخن قليل ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والثشاء عازب حيال ، ولا حلوب في البيت قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا .

قال صفيه يا أم معبد قالت : رأيت رجلا ظاهرا الوضاعة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسبما قسيما ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطع ، وفي صوته صحل ، وفي لحيته كثافة ، أزج أقرن ، ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجلهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كان منطقته خرزات نظم يتحدرن ربعة ، لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنصر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم اندرا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقوليه ، وان أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند .



قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من امره ما ذكر
ببكة ، ولقد هممت بأن أصحبه ، والأععلن أن وجدت الى ذلك سبيلا ، فأصبح
صوت ببكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هنا نزلاها بالهدى واهتدت به	فقد فاز من أمسي رفيق محمد
فيالقصى ما زوى الله عنكم	به من فخار لا يبارى وسؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم	ومعصدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختك عن شاتها وانائها	فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزيد
فصادرها رهنا لديها لحالب	يردها في مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم	وقدس من يسرى اليهم ويغتردى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنو مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم	وأرشداهم — من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهاوا	عمى وهداة يهتدون بهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب	فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده	بصحبه — من يسعد الله يسعد

● أم معبد : بفتح الميم ، واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أضم بن حنيس بن
هرام بن حبشية ، خزاعية ، كعبية ، صحابية ، وكانت نازلة بقباء في طريق المدينة ،
وتصاتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة مروية من طرق عديدة ، بعضها ،
وتصاتها ، وحبش بن خالد هو أخوها .

الدكتور محمد الدسوقي

التنزيل العزيز : والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون (١) .

قال ابن سيده : ان قال قائل : اهم
محمودون على انتصارهم ام لا ؟
قيل : من لم يسرف ولم يجاوز ما امر
الله به فهو محمود .

٢ - وقد تحدث القرآن الكريم عن
النصر في آيات كثيرة ، اذ وردت في
الكتاب العزيز مادة « نصر » نحو مائة
 وخمسين مرة ، وقد تناول ذلك
الحديث بوجه عام نصر الله لعباده
المؤمنين ، وان غير الله لا يملك لاحد
نصرا ولا خيرا ، وان الذين بغوا
وسعوا في الارض فسادا انتصر الله
منهم ، وكانوا عبرة لغيرهم من
المجبرين والقاسطين .

ولا مجال في هذه الكلمة للحديث
عن تلك الآيات جميعها ، فهي تحتاج
الى دراسة مستفيضة ، ومن ثم اقتصر
حديثي الآن على آية واحدة جاءت
في سورة البقرة - أطول سور
القرآن الكريم - لأنها ربطت بين
النصر وأسبابه وأكدت أن الخلف

١ - تذكر المعاجم اللغوية لمادة
« نصر » بعض المعاني المختلفة ، ومع
هذا تدور كلها في نطاق نشر الخير
ودفع الضر ، فقد جاء في كتاب
المفردات للراغب الاصفهاني : النصر :
العون ، ثم قال : ونصرة الله للعبد
ظاهرة ، ونصرة العبد لله هو نصرته
لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ،
ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه
واجتتاب نهيه .

وقال ابن فارس في معجم مقاييس
اللغة : النون والصاد والراء أصل
صحيح يدل على اتيان خير وايتائه .
ونصر الله المسلمين : آتاهم الظفر
على عدوهم . وانتصر : انتقم ..
والنصر : العطاء .

وورد في لسان العرب لابن
منظور : النصر : اعانة المظلوم ،
والنصر : الفيث والعطاء ، والنصرة :
حسن المعونة ، والتناصر : التعاون ،
وانتصر الرجل : اذا امتنع من ظالمه ،
قال الأزهرى : يكون الانتصار من
الظالم الانتصاف والانتقام ، وفي

في القرآن الكريم

منهم عدد من الشهداء كان على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . وروى أن عبد الله بن أبي قال للمسلمين بعد حرب أحد : إلى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ، ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الأسر والقتل ، فأنزل الله هذه الآية (٥) .

وقيل : نزلت الآية بعد الهجرة تسلياً للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ، وتحملوا العنت والأذى فداء لعقيدتهم وحريتهم .

٤ - والذي يلاحظ أن هناك قاسماً مشتركاً بين كل ما قيل في سبب نزول هذه الآية ، وهو ورودها في معرض الحديث عن الفتنة والابتلاء ، ومكيدة الشدائد ومجاهدة الأعداء ، وأن الفوز بنصر الله في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة مناطه هذه المكيدة والمجاهدة ، ورسوخ اليقين عند الفتنة والصبر والثبات في مواطن الابتلاء . وإذا كانت الآية الكريمة قد أشارت إلى أن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الإنسان

كالسلف يخضعون لقانون واحد لا يتبدل ولا يتحول « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » (٢) .

وهذه الآية هي قول الله تبارك وتعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » (٣) ٣ - وللمفسرين (٤) أقوال متباينة في سبب نزول هذه الآية ، منها أنها نزلت في غزوة الخندق ، حين تعرض المسلمون في المدينة لحصار الأحزاب وأصابهم ما أصابهم من الجهد والشدّة وسوء العيش ، حتى استبد بهم الجزع والفزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنون .

وقيل : نزلت الآية في غزوة أحد ، وهي الغزوة التي اضطرب فيها أمر المسلمين بسبب مخالفة الرماة أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنالت منهم قريش ما نالت ، وسقط

والبحر المحيط ج ٢ ص ١٣٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) الآية : ٦٢ في سورة الأحزاب .

(٣) الآية : ٢١٤ من سورة البقرة .

(٤) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٢ ،

في ذكرى الهجرة

فرصة النيل من الحق ، فقلوه تعالى :
« مستهم البأساء والضراء وزلزلوا »
يدل على أن دعاة الحق ينزل بهم من
الشدائد والمصائب سواء في الأنفس
والأموال ما يقض مضاجعهم ويلززل
قلوبهم ، فهم في رعب واضطراب كأن
الأرض قد مادت بهم .

وفي قوله تعالى : « حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
الله » ما يدل كذلك على أن ما أصاب
المؤمنين من شدائد وأهوال تجاوز حد
الصبر عليه والثبات معه ، لأن رسل
الله أسوة في الجهاد والصبر والثبات
عند المحن والفتن ، فإذا لجأ الرسول
والذين آمنوا معه إلى استعجال نصر
الله الذي أبطأ عليهم (٩) - فيما
يرون - دل ذلك على أن الأمر بلغ
الغاية القصوى في الشدة ، وأن
المؤمنين أمسوا في خطب عظيم وكرب
أحاط بهم ولا يجدون مخرجاً ينقذهم
ويدرا السوء عنهم .

٦ - ويذهب بعض المفسرين إلى
أن التعبير بصيغة المضارع « حتى
يقول » فيه إشارة إلى تكرر استعجال
النصر ، وهو يبرز جسامته الخطر
وضراوة الخوف والجزع كما أن فيه
تصويراً لهذا الموقف كأنه واقع
مشهود يتمثله المخاطب فيستخف بها
ينزل به أزاء ما يتمثله ، ولذا يواجه
الشدائد والأهوال بعزيمة الصابرين
وثبات المجاهدين الصادقين .

وقد جاء ختام الآية معلناً أن نصر
الله قريب ، وهو بلا جدال قريب لمن
استحقه وبذل تكاليفه واضطلع
بأعبائه ، وإذا كان هذا النصر يبطيء
أحياناً فلحكمة قد تخفى على المؤمنين ،

فإنها قد بينت في إيجاز دقيق ،
وتصوير رائع أن مشيئة الله في خلقه
اقتضت أن يكون انتصار الحق على
الباطل مرتبطاً بدرجة الإيمان بالحق
والجهاد في سبيله ، فلا يكفي الحق
أنه الحق لتكون له السيادة والقيادة ،
وليدفع عدوان الباطل عليه ، بل لا بد
من أن يصبح الحق واقعا ماديا في
الظاهر ، بعد أن صار حقيقة كائنة
في الضمير ، وآية هذا جهاد دائم
وبذل موصول وصبر كريم مهما تكن
المشقات والأخطار والمصائب في
الأنفس والأموال ، وبدون ذلك لا
ينتصر أصحاب الحق في هذه الحياة
الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

٥ - على أن الآية في مستهلها
تخاطب أهل الصدر الأول من
المؤمنين (٦) ، ولكن هذا الخطاب
ليس قاصراً عليهم ، فهو موجه إلى
كل من ارتضى الإسلام ديناً ليدرك أن
مجرد الانتماء إلى هذا الدين القويم
لا يؤهل لنصر الله في الدارين ،
وإنما يؤهل لهذا النصر التزام صادق
بكل ما تعبد الله به خلقه « إن تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) »
وصبر على ما جرت به سنة الله من
ابتلاء عباده المؤمنين بمختلف ألوان
الابتلاء ، اظهاراً للمجاهدين الصابرين
من المنافقين والمخادعين « ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم (٨) » .

وحديث الآية عن المجاهدة
والابتلاء والصبر يوضح مبلغ
ما يتعرض له المؤمنون من نصب ،
وما ينالهم من عنث ، ويؤمى إلى أن
الباطل يلجأ إلى كل وسيلة تتيح له

(٨) الآية ٢١ في سورة محمد .

(٩) أنظر البحر المحيط ج ٣ ص ١٤١ .

(٦) أنظر تفسير المنار ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٧) الآية ٧ في سورة محمد .

وهم من ثم لا يضجرون ولا يهنئون لأنهم على ثقة من أن الله لا يتخلى عنهم ، وصدق الله العظيم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين (١٠) » .

٧ - وحاصل معنى الآية أن طريق الجنة محفوظ بالمكارة ، وأن نصر الله مقرون بالتضحية والصبر ورباطة الجأش لا بالأمانى والكلمات ، وأن ما يتعرض له المؤمنون من الآلام والأخطار قليل في جنب ما قاسى غيرهم ممن سبقهم بالإيمان والهدى (١١) ، ليتأسى اللاحق بالسابق في المجاهدة والمصابرة وليؤمن الناس بما لا يدع مجالاً للشك أن سنة الله في عباده المؤمنين واحدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد روى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشأ ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (١٢) .

٨ - وهذا المعنى الذى تحدثت عنه آية البقرة وقررت به سنة الله في خلقه لتقبل النفوس المؤمنة راضية مطمئنة على حمل الأمانة لا تخشى الباطل مهما أمعن في الكيد ، ولا تزيدها الحن الا قوة في الإيمان

وصبراً في الجلال ، تتوقع نصر الله كلما غام الأفق وبدأ أن الفجر بعيد (١٣) . - هذا المعنى تحدثت عنه عدة آيات غير تلك الآية ، منها قوله تعالى في سورة آل عمران : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (١٤) . وفي سورة التوبة قال الله تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ، ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون » (١٥) . وفي سورة العنكبوت يقول الله تبارك وتعالى : « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١٦) . وفي سورة محمد قال الله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فأمماً مناً بعد وإمماً فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلى بعضهم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (١٧) .

وهذه الآيات كما نرى تتحدث عن فتنة المؤمنين وابتلائهم وتمحيصهم ، وتؤكد سنة الله في خلقه ، وأن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته العمل وأن سبيل الفوز برضوان الله ونصره مناطه الجهاد والصبر ، ومن ظن غير ذلك فقد ضل سواء السبيل . ٩ - ومن المسلم به أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، فهو سبحانه يعلم حقيقة القلوب قبل المحنة والابتلاء ، فكيف

(١٤) الآية ١٤٢ .

(١٥) الآية ١٦ .

(١٦) الآية ١ ، ٢ ، ٣ .

(١٧) الآية : ٤ .

(١٠) الآية ٤٧ في سورة الروم .

(١١) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٠١ .

(١٢) تفسير القاسمي ج ٣ ص ٥٣٠ .

(١٣) في ظلال القرآن ج ٢ ص ١٣٠ .

في ذكرى الهجرة

شهواتهم وآثروا الدنيا على الآخرة
وصدق الله العظيم « إن الله يدافع
عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل
خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وإن الله على نصرهم
لقدير (٢٠) » .

١٠ - ولنا فيما قصه القرآن من
أخبار الأنبياء والمرسلين والمؤمنين
المجاهدين ما يرشد إلى تلك السنة
الإلهية التي تحدثت عنها بعض آيات
الكتاب العزيز سنة الابتلاء والامتحان
قبل الحماية والدفاع والتأييد والنصر ،
فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا
قومه إلى عبادة الله وحده وترك
عبادة الأصنام فأعرضوا عنه
وسخروا منه وآذوه واضطهدوه ،
ولكنه لم يعبأ بسخريتهم وإذائهم
وأخذ يواصل جهاده وكفاحه من أجل
تبليغ دعوته وأنقاذ قومه من برائن
الجاهلية ، غير أنهم قرروا أن يحرقوه
بالنار بعد أن عجزوا عن أن يمنعوه
وما يريد « قالوا حرقوه وأنصروا
آلهتكم إن كنتم فاعلين (٢١) » ، ولم
يستطع إبراهيم أن يتغلب على
قومه ، وهنا منعه الله مما هو عاجز
عنه ، وأيده بنصره وحمايته وأنقذه من
كيد المشركين « قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا
فجعلناهم الأخرين (٢٢) » .

١١ - وفي قصة الهجرة دليل
واضح على تلك السنة الخالدة ، فقد
صبر المؤمنون في مكة على الاضطهاد
والتعذيب ، وضربوا أروع الأمثلة في

ورد في بعض تلك الآيات أن الله
يتمحن عباده المؤمنين ليعلم الذين
جاهدوا وصبروا وصدقوا وأخلصوا
في إيمانهم ؟ إن هذا يعني أن الابتلاء
والامتحان يكشف في عالم الواقع
ما هو مكتشف لعلم الله مغيب عن
علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على
ما يقع من عملهم لا على مجرد ما
يعلمه سبحانه من أمرهم ، وهو فضل
من الله من جانب ، وعدل من جانب ،
وتربية للناس من جانب فلا يأخذوا
أحدا إلا بما استعلن من أمره ، وبما
حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله
بحقيقة قلبه (١٨) .

ومن المسلم به أيضا أن الله يدافع
عن عباده المؤمنين ، ولكن دفاع الله
لا ينتزل على الكسالى والمهملين
والتواكلين والذين يحسبون أن مجرد
الإيمان وإقامة بعض الشعائر يحقق
لهم النصر والخير ، وإنما يتفضل الله
بدفاعه ونصره على الذين أبلوا في
سبيله أحسن البلاء ، وجاهدوا
أصدق الجهاد ، لأنه سبحانه لا يريد
 لعباده أن يكون النصر لقية تهبط عليهم
من السماء بلا عناء (١٩) ، ففي
الجهاد والبذل والصبر في مواطن
الشدة والخوف تربية ضرورية للأمة
التي اختارها الله لحمل الرسالة
الخاتمة ، فلا تنوء بها أو تتقاعس عن
الذود عنها ، ولهذا جاء الإذن بالقتال
بعد الحديث عن دفاع الله عن
المؤمنين ، وفي هذا إشارة إلى أن
النصر لا يجيء إلا بعد بذل وجهاد ،
ولا يهبط على الذين أخلصوا إلى

(٢١) الآية ٦٨ في سورة الأنبياء .

(١٨) في ظلال القرآن ج ٢٠ ص ١٠٥ .

(١٩) المصدر السابق ج ١٧ ص ٩٨ .

(٢٢) الآية ٦٩ ، ٧٠ في سورة الأنبياء .

(٢٠) الآية ٣٨ ، ٣٩ في سورة الحج .

الجهاد والفداء ، فنصرهم الله نصرا عزيزا .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أذن له ربه بالهجرة إلى يثرب يفكر مليا في هذه الرحلة الشاقة ويتخذ الأسباب التي تكفل لها النجاح مع ثقة لا حد لها في وعد الله بالحماية والنصر .

إن الرسول كان يدرك أن قريشا قد أعدت عدتها لتنفيذ ما أطبقت عليه كلمتها في دار الندوة ، وأن بالها لن يهدأ حتى تنفذ ما انتهت إليه وإن مجرد خروجه من مكة لا يعنى نجاته من الخطر ، لأنه سيطارد . في مخارم الجبال والأودية ، فكان عليه أن يخطط لهجرته ويحتاط لكل الاحتمالات وإن بدا ما قام به الرسول إزاء قوة قريش أمرا هينا لكنه كان لازما ، فضلا عن تأييد الله ونصره — لكي يصل الرسول إلى يثرب ومعه صاحبه دون أن تنال قريش منهما ما تريد .

وتمثلت الخطة التي وضعها الرسول ليفوت على قريش هدفها فيما يلي :

أولا : سرية اللحظة التي خرج فيها من مكة ، أو بعبارة أخرى تضيق دائرة الذين يعرفون هذه اللحظة بحيث لم تشمل سوى أفراد قلائل ممن لا يشك في اخلاصهم وصدق جهادهم (٢٣) .

ثانيا : خداع قريش والتجسس عليها للوقوف على خططها بعد أن عجزت عن النيل من الرسول وهو في

بيته حتى يأخذ حذره ويتصرف طوعا لما تدعو إليه الأحداث وتوحى به الأخبار .

لقد كانت الهجرة عملا منظما يخضع للتخطيط العلمي الدقيق ، وكان هذا من عوامل نجاحها وآية على أن التوكل الحق على الله يجب أن يصحبه العمل المخلص والسعي الممكن وأن من أخلد إلى الوهن والكسل وظن أن السماء لن تدع حقه فريسة للباطل فهو واهم .

إن قدرة الله لا يعجزها أن يأوى محمد إلى فراشه ليلا في مكة لتبزع شمس اليوم التالي عليه وهو في يثرب دون أن يلجأ إلى غار ودون أن يستعين بمن يأتيه بأخبار أو يذله على طريق ودون أن يتحمل ما تحمل من وعاء السفر في طريق طويل كله صخور ورمال ، ولكن قضت مشيئة الله أن تكون الهجرة على هذا النحو من الجهاد والتنظيم والتخطيط لتكون أروع دليل على أن تأييد الله لأوليائه منوط بما يبذله هؤلاء من جهد وعمل « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثین إذ هما فی الفار إذ یقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته علیه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٢٤) » .

لقد ذاق محمد صلى الله عليه وسلم النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال ، وكان ربه قادرا على عصمته من أذى الناس إلا أنه جل شأنه أراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه ، فلا

(٢٣) أنظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢٤) الآية ٤٠ في سورة التوبة .

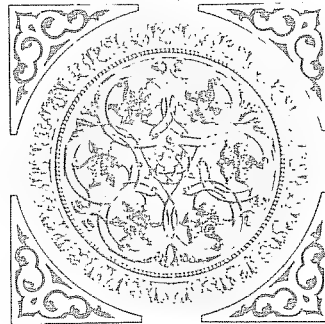
في ذكرى الهجرة

بلوغ الغاية المقدسة - النصر أو الشهادة - مهما يكن الثمن ، وهؤلاء المؤمنون الصابرون يدافع الله عنهم ، ويمنعهم مما هم عاجزون عنه ولا قبل لهم به ، ويحقق لهم دائما النصر على أعدائهم .

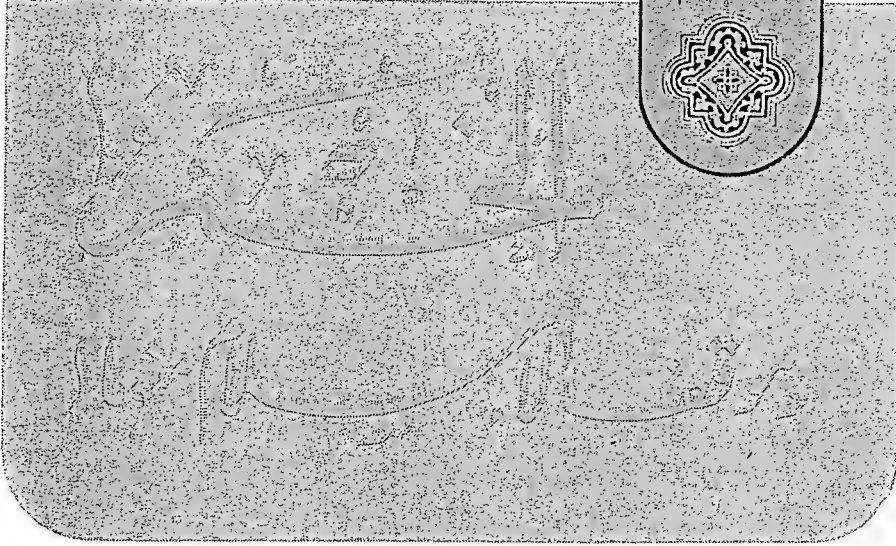
إن المسلم لا يرضى بالدنية في دينه ودنياه ، وهو لهذا لا يهادن الباطل ولا يصادق الكفر والظلم ، ويؤمن بأن الله وحده نعم المولى ونعم النصير ، وأن السبيل إلى عون الله ونصره إعداد القوة ، قوة الإيمان والأبدان والسلاح ، ثم الصدق في الجهاد والثبات والصبر عند الشدائد والحن ، والسعى المخلص لإعلاء كلمة الله ، وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٢٥) » .

يقتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

١٢ - وبعد فهذا طرف من حديث النصر في القرآن الكريم يتضح منه أن سنة الله في عباده المؤمنين ماضية إلى يوم القيامة ، وأن نصر الله لأوليائه مرتبط بما يبذله هؤلاء من المهج والأموال وما يصبرون عليه من الشدائد والمصائب ، فقد شاء الله أن يكون للنصر تكاليفه وأعباءه التي ينوء بها ضعاف الإيمان والذين يعبدون الله على حرف ، وهؤلاء أبدا لا ينصرون ، أما المؤمنون الذين صبروا وصابروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، واتخذوا كل أسباب النصر ، ولم يركنوا إلى التواكل والكسل فهم أهل لحمل تلك التكاليف والأعباء لا يفرون منها ولا يضيعون بها وإنما يقبلون عليها بنفوس مطمئنة تزيدها الشدائد مضاء وإصرارا على



الحُرُود
في
الاسلام



للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » .. وفي هذا التعقيب تحرير للطيبات ، وعزل للخبائث من المأكولات والمشروبات عن حماها ، حتى لا يدخل في طعام المؤمن وشرايه الا ما هو طيب ، لأن المؤمن طيب طاهر ، ولن يحفظ عليه طيبه وطهره الا اجتنابه لكل رجس وخبث .
وقد كشف القرآن هنا عن وجه بعض تلك المطاعم الخبيثة ، وهي الخمر التي من شأنها أن تذهب بعقل شاربها ، وتنقله من عالم الانسان الى عالم دون عالم الحيوان ، ثم الميسر ، وهو القمار ، والمال الذي

١ - يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انموا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انها يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا انها على رسولنا البلاغ المبين » (٩٠ - ٩٢ المائدة) .

تجئ هذه الآيات الكريمات من سورة المائدة تعقيبا على آيات جاءت قبلها في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله

الاسلامية من القتل والزنا ،
والسرقة ، وما رصدت لها من
عقوبات رادعة ، يتولى ولى الامر من
المسلمين انزالها بمرتبتها ..
ونعرض فى حديثنا هذا لجريمة
الخمر ، ونظرة الشريعة اليها ،
وحسابها لشاربيها .

ويقتضينا البحث هنا أن ننظر فى
أمرين :
أولهما : الخمر ، من حيث
ماهيتها ، والمادة أو المواد التى
تتخذ منها ..

وثانيهما : الخمر ، ومكانها بين
المحرمات فى الشريعة الاسلامية .
أما الخمر ، من حيث ماهيتها
فأمرها معروف ، ولم تكن بنا من
حاجة الى الكشف عن وجهها ، لولا
أن كثير كلام الفقهاء فيها ، وتمددت
وجوه الخلاف بينهم فى صفتها ، وفى
المادة التى تصنع منها ، والطريقة
التي تصنع بها حتى تكون خمرًا ،
وحتى تأخذ صفة الخمر التى جاءت
الشريعة بتحريمها ، واقامة الحد على
شاربيها ..

ولقد اختلف الفقهاء فى المادة التى
تصنع منها الخمر ، فوقف بها
بعضهم عند التمر والعنب ، بمعنى أن
ما صنع من غيرهما لا يعد خمرًا ،
وان كان له ما للخمر من أثر فى
شاربيها ، وهم يستدلون على هذا
بما روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم من أنه قال : « الخمر من
هاتين الشجرتين » وأشار الى النخلة
والكرمة .. بل لقد ذهب بعضهم الى
أن الخمر ما كان من العنب وحده ،
مستدلا على هذا بقوله تعالى :
« انى ارانى أعصر خمرًا » (٣٦ :
يوسف) ومؤولا الحديث : « الخمر
من هاتين الشجرتين » على أن
المراد بالشجرتين شجرة واحدة ،
هى شجرة العنب ، اذ المثني - فى
تقديره - قد يطلق على المفرد - كما

يخطر به فيه ، ويقع ليد كاسبه ،
وهو مال حرام ، وما جلب به من
طعام هو خبيث محرم .. ثم
الأنصاب ، وهى حجارة كانت تنصب
حول الأصنام ، لتذبح عليها الذبائح
المقدمة قربانًا لها ، فكل طعام مورده
من هذا المورد ، هو خبيث بخبث ما
دخل عليه من شرك بالله ، وان كان
فى أصله طيبًا .. ثم الأزلام : وهى
قداح الميسر يلعب بها على الذبائح ،
مقامرة ، فحكمها حكم الميسر فى خبث
ما يرد منها ..

٢ - ويعيننا هنا من الكشف عن
وجه هذه المنكرات ما يدخل على
المتلبس بها ، أو بواحدة منها من
ضياع وخسران ، وبعد عن مواطن
النجاح والفلاح ، لأنها من عمل
الشيطان ، والشيطان لا يعمل الا
الشّر ، ولا يريد بأبنساء آدم الا
افسادهم ، والتنكب بهم عن طريق
الخير والولاء لله رب العالمين ، كما
يقول سبحانه : « انها يريد الشيطان
أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى
الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر
الله ، وعن الصلاة » فهذا ما يريده
الشيطان من اغوائه واغرائه لمن
يستجيبون له ، ويتناولون من يده هذا
الرجس المهلك ..

٣ - ولأن الخمر هى أشأم وجوه
هذا الرجس ، وأشدّها فتكا بمعالم
الانسانية فى الانسان ، فقد أقامها
القرآن الكريم فى تلك الآية الكريمة
على رأس هذه المنكرات : « انما
الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان » ولهذا
أدرجتها الشريعة الاسلامية مع
الكبائر التى أوجب اقامة الحد على
مرتكبيها ، كالقتل ، والزنا ،
والسرقة .

٤ - وقد بينا فى احاديث سبق
نشرها فى أعداد مضت من مجلة
(الوعى الاسلامى) موقف الشريعة

فهم ذلك من قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قائلا ان المراد بالبحرين أحدهما .. وهذا لا شك تصنف في التأويل ، لا يراد به الا التلهي بشـرع الله ، والعبث بآياته وكلماته .. والأمر في هذا أوضح من أن يحتاج الى الكشف عن عواره ، والدلالة على اسفافه وسقوطه .. اذ كيف يشير الرسول الكريم الى شـيئين بلفظ المثني فيقول « من هاتين الشجرتين » وهو يريد واحدة ؟ .. ثم كيف يستدل بقوله تعالى : « انى ارانى أعصر خمرا » على أن الخمر لا يكون الا من العنب ، حيث هو الفاكهة التى تعصر ، وما دام صاحب يوسف فى السجن قال : « أعصر خمرا » فذلك دليل قاطع على أن الخمر لا يكون الا مما يعصر ، ولا يكون ما يعصر الا العنب . ان هذا الضرب من اللغة ، لا يصدر — كما قلنا — الا من عايش لاه ، لا يرفعى للدين حرمة ، ولا يقيم لدلول اللقمة وزنا !! انه اهدار لمعانى الكلمات اللغوية ، فضلا عن الاستخفاف بدين الله ، والجرأة عليه .. !

هـ — وأما القائلون بأن مادة الخمر محصورة فيما أخذ من التمر أو العنب ، وهم يستدلون على هذا بقوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٦٧ : النحل) . القائلون بهذا القول لا يختلفون كثيرا عن القائلين بأن الخمر من العنب وحده ، فكلاهما متعسف فى التأويل ، يرمى بهذه الشطحات البعيدة ليقال انه من أصحاب رأى والنظر .. !!
والذى ينظر فى الحديث الشريف : « الخمر من هاتين الشجرتين » لا يجد فيه حصرا لمادة الخمر فى فاكهتي هاتين الشجرتين اللتين كانتا بين يدي الرسول الكريم ، والذى كان

— صلوات الله وسلامه عليه — يشير اليهما بيده السكرية ، وهو يحدث أصحابه عنهما ، وعما كان يتخذة العزب منهما من شراب الخمر ، لأن مادة الخمر الغالبة عند العرب كانت من التمر والعنب ، اذ كانت هاتان الفاكهتان أكثر الفواكه عندهم ، ولهذا جاء وصف الجنات الدنيوية والأخرية فى القرآن الكريم منوها بأشجار النخيل والأعناب ، وجعلهما اللون الغالب على أشجار الجنات وفواكهها ، فيقول سبحانه : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل » (٣٢ : الكهف) ويقول جل شأنه : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت » (٢٦٦ : البقرة) وقوله تبارك اسمه فيما كان يقترحه المشركون على النبى فى مقام العناد والتحدى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا » (٩٠ و ٩١ : الاسراء) ويقول عز من قائل عن جنات الآخرة : « فيها فاكهة ونخل وزمان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٦٨ و ٦٩ : الرحمن) .

ومن هذا يتضح انه لم يكن بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه عن الخمر ، وعن المادة التى تصنع منها الا شجرتا النخل والعنب ، وهما — كما قلنا — الشجرتان اللتان كانتا أكثر أشجار الفاكهة شيوعا عند العرب ..

ولهذا ، فانه — صلى الله عليه وسلم — حين كان يتحدث عن الخمر ، وعن المواد التى تصنع

منها ، دون أن يكون بمشهد منه شيء من أشجار النخيل والاعناب — قال : « أن من العنب خمر ، وأن من التمر خمر ، وأن من العسل خمر ، وأن من البر خمر ، وأن من الشعير خمر » ..

ومع هذا فإن حصر النبي — صلى الله عليه وسلم لهذه المواد الخمس ، لم يكن حصرا مطلقا لكل ما تصنع منه الخمر ، وإنما كان تقريرا للواقع المعروف عند العرب يومئذ لما يتعاطونه من خمر ، سواء كانت مصنوعة بأيديهم ، أو واردة عليهم مما يجلبه التجار من خارج الجزيرة العربية ..

يقول الخطابي في تعليقه على هذا الحديث : « ليس معناه أن الخمر لا تكون إلا من هذه الأشياء الخمسة بأعيانها ، وإنما جرى ذكرها خصوصا لأنها كانت معهودة في ذلك الزمان ، فكل ما كان في معناها من ذرة وسلت — وهو الشعير — ولب ثمرة ، وعصارة شجر ، فحكمه حكمها » .

وفي صحيح مسلم عن أنس قال : « لقد أنزل الله الآية التي حرم فيها الخمر ، وما بالمدينة شراب يشرب إلا من تمر » .

وفي صحيح البخاري عن أنس أيضا ، قال : « حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمر الاعناب إلا قليلا ، وعامة خمرنا البسر والتمر » .. والبسر هو ثمر النخيل قبل أن ينضج ويصير تمرا ..

وعلى هذا فمادة الخمر لا معتبر لها في تحريمه ، وإنما المعتبر فيها هو أية مادة تعطى خمر ، وهو الخمر الذي يستخرج منها ، والذي من شأنه أن يسكر من يتعاطاه .. فكل ما أسكر فهو خمر ، لأنه يخامر

العقل ويستره ، كما يستر الخمر وجه المرأة .. وفي الحديث : « أن الخمر من العصير ، والزبيب ، والتمر ، والحنطة والشعير والذرة ، وإنى أنهاكم عن كل مسكر » (مختصر سنن أبي داود للمنذرى ، حديث ٣٣٢) .

٦ — وكما اختلف الفقهاء في مادة الخمر ، اختلفوا أيضا في الصفة التي تكون عليها ، والصنعة التي تصنع بها ، فقال بعضهم : الخمر ما خمر دون أن تمسه النار ، وأما ما طبخ بالنار فليس خمر ولا يأخذ حكم الخمر وإن أسكر ... !!

كذلك اختلفوا في النبيذ ، وهو ما ينقع من تمر ونحوه ، فقال بعضهم : إذا تخمر وغلا ورمى بالزبد فهو خمر ، قليله وكثيره حرام ، وإذا لم يتخمر ويرمى بالزبد ، فإذا أسكر فهو مكروه ، وإذا لم يسكر فلا شيء فيه ! ومن هذه المقولات قول أبي حنيفة في النبيذ ، إذ يقول : « الإنبذة كلها حلال إلا أربعة أشياء : الخمر والمطبوخ إذا لم يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، ونقيع التمر فإنه السكر ، ونقيع الزبيب » . ويعلق ابن حزم على قول أبي حنيفة هذا بقوله : « ولا خلاف أن نقيع الدوشات — وهو نقيع الشعير — حلال عند أبي حنيفة وإن أسكر ، وكذلك نقيع الرب وإن أسكر » والرب — بضم الراء المشددة — خفارة كل ثمرة بعد اعتصارها .

وقال أبو يوسف ، صاحب أبي حنيفة : « كل شراب من الإنبذة يزداد جودة على الترك فهو مكروه ، ولا أجزى بيعه ، ووقته عشرة أيام ، فإذا بقي أكثر من عشرة أيام فهو مكروه ، فإن كان في عشرة أيام فأقل ، فلا بأس ! » .

وقال محمد بن الحسن — صاحب أبي حنيفة أيضا : « ما أسكر كثيره

كثيرة للجمع بين هذه التناقضات ،
فيأخذ من كل رأى ما يرضيه ،
ويوافق هواه ، فإذا دينه رقع مختلفة
الالوان ، رقعة من هنا ورقعة من
هناك ، وكلها — فى تقديره — من
الدين .. !!

وفى هذه القضية بالذات — قضية
الخمير — أخذ قوم فيها بهذا المذهب
الذى يجمع بين متناقضات الآراء ،
ويتبع ما يرضى هواه منها دون نظر
الى حلال أو حرام ، ما دام يرجع فى
هذا الى رأى من آراء هؤلاء الأئمة
الاعلام .. !!

وفى هذا يقول الشاعر متهمًا
بهذا التضارب فى شأن الخمير ، التى
ليس فيها الا قول واحد ، هو أنها
الخمير وأنها الحرام ، قليلها وكثيرها،
ما أسكر منها وما لم يسكر .. يقول
هذا الشاعر :

أحل العسراقى النبيذ وشربه
وقال الخزامى : المدامة والسكر
وقال الشمامسى النبيذ محرم
فحلت لنا من بين قوليهما الخمير !!
ويعنى الشاعر بهذا أن أبا حنيفة
ومن تابعه — وهو عراقى — قد قال
فى النبيذ قولاً يخرج به عن دائرة
الخمير ، ويرفع عنه الحرمة المضروبة
على الخمير ، وأن أقصى ما يكون على
شاربها أنه أثنى فعلاً مكروهاً إذا
شرب منه حتى سكر ، أما إذا شرب
ولم يسكر فلا شيء عليه .. !

أما الحرامان عند أبى حنيفة
وأصحابه فهما المدامة ، أى الخمير
المصنوعة من العنب ، والسكر ،
وهى الخمير المصنوعة من التمر ،
فما خمير من تمر أو عنب فهو خمير ،
وهو الحرام قليله وكثيره ، أسكر
أو لم يسكر ، أما ما خمير من غير
العنب والتمر فهو نبيذ ، وقد عرفنا
رأى أبى حنيفة فيه !

ما عدا الخمير أكرهه ، ولا
أكرهه !! » .

ويعلق ابن حزم على هذه الآراء
— رأى أبى حنيفة وصاحبيه —
فيقول : فأول فساد هذه الأقوال أنها
كلها أقوال ليس فى القرآن شيء
يوافقها ، ولا شيء من السنن ، ولا
شيء من الروايات الضعيفة ، ولا
عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ،
ولا عن أحد من التابعين ، ولا عن
أحد من خلق الله ، قبل أبى
حنيفة ، ولا أحد قبل أبى يوسف فى
تحديثه عشرة أيام لما ينقع من
الانبذة !!

ثم يقول ابن حزم فى جراحة
وصراحة هما طبيعة غالبية فيه
— يقول : « نيا لعظم مصيبة هؤلاء
القوم فى أنفسهم ، إذ يشترعون
الشرائع فى الإيجاب والتحريم
والتحليل من ذوات أنفسهم ، ثم
بأسخف قول وأبعده عن المعقول ! »
(المحلى ، لابن حزم جزء ٧ / ص
٥٦٢ وما بعدها) .

وقد تتبع ابن حزم بأسلوبه الحاد
وصوته الجهير — تتبع جميع الأدلة
والإسانيد التى استند إليها أبو
حنيفة وصاحباها فى رأيهم فى النبيذ ،
فنفذ هذه الآراء ورد ضعيفها ، أو
تأولها على وجهها الذى يدعم وجهة
نظيره فى دفع هذه المقولات
وأبطالها .

ولا شك أن فى هذا الجدل بين
أصحاب تلك الآراء المختلفة ، وفى
التدافع بين الحجج والحجج ،
والتلاطم بين الأدلة والأدلة — لا شك
أن فى هذا متعة ذهنية ، ورياضة
عقلية ، يشهد فيها المرء كيف تتصارع
العقول وكيف تصول الأفكار وتجول
— ولكنها متعة تذهل الإنسان عن
الحقائق التى بين يديه من أمر دينه ،
وتفتح لذوى القلوب المريضة طرقاً

والشامى الذى يشير اليه الشاعر
هو مالك وأصحابه .. ومالك يحرم
النبيذ من أى شيء كان ، اذا أسكر
كثيره فقليله حرام ، شأنه فى هذا
شأن الخمر التى جاء القرآن
بتحريمها .

وما كان ينبغى أن يكون فى شأن
الخمر خلاف ، وقد جاء النص القرآنى
قاطعا بحرمتها بوصفها خمرا ، أى
تخامر العقل وتغطى على مدركاته ،
دون أن ينظر الى المادة التى تتخذ
منها أو الاسلوب الذى تصنع به ..
ثم جاءت السنة المطهرة بعد هذا مؤكدة
ما نص عليه القرآن الكريم اذ يقول
الرسول — صلوات الله وسلامه
عليه : « كل مخمر خمرا ، وكل مسكر
حرام ، ومن شرب مسكرا بخست
صلاته أربعين صباحا » ومعنى
بخست صلاته أى خف ميزانها ، فلا
يؤتى صاحبها أجرها كاملا ..
ويقول — صلوات الله وسلامه عليه :
« ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

فكيف يزاغ عن هذا الحكم القاطع
فى الخمر وحرمتها ، أيا كان الوجه
الذى تظهر به ، وأيا كان لونها
وطعمها ! ان كل مسكر خمرا ، قليله
وكثيره حرام ، والمؤمن مؤتمن على
دينه ، فما عرف أنه يخامر عقله اذا
شربه ، كان حراما عليه أن يذوق
قطرة منه .

هذا هو فيصل الامر فى الخمر ..
قليلها وكثيرها حرام ، يأثم شاربها ،
ويقام الحد عليه اذا ثبت عليه أنه
شربها بشهادة شهود عدول ، أو
بدلالة حاله ، كأن ظهر فى الناس
وهو سكران لا يعى ما يقول .

فالعلة فى تحريم الخمر هي
الاسكار ، والتأثير على العقل تأثيرا
يغير من طبيعته ، ويثبته توازنه ،
والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما

.. وليست علة تحريم الخمر قتلها
وكثرتها عند شاربها ، وانما علتها
أنها الخمر ، وانها رجس ، وانها
الحرام ، وليس فى الحرام قليل أو
كثير ، فما حرم كثيره فقليله حرام ،
سدا للذرائع ، حيث لا حجاز بين
القليل والكثير الذى يسكر !!

٧ — وأما نظرة الشريعة الاسلامية
الى الخمر وعددها من الآفات التى اذا
تفشيت فى مجتمع أفسدت عليه
وجوده ، ونزعت عنه كل معانى
الانسانية — هذه النظرة أوضح من
أن يدل عليها ، فقد عددها القرآن
الكريم رجسا من عمل الشيطان ،
وأقامها على رأس الكبائر ، وجعلها
أما لها ، اذ أن شارب الخمر اذا
لعبت حمياها برأسه خلع عذار
حياته ، وتخلل من كل دين ، وخلق
ومروءة ، وأفلت من سلطان عقله ،
وهان عليه أن يأتى كل منكر ، وأن
يفعل كل محرم ، ما كان يردده عنه
عقله ويمنع منه حياؤه ودينه
ومروءته ، قبل أن تلعب الخمر
برأسه .

روى أبو داود فى سننه عن ابن
عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « لعنت الخمر على
عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها —
أى لذاتها — وشاربها ، وساقها ،
وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها
ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة
اليه ، وأكل ثمنها » .

ولا نجد فيها حرم الله من كبائر
كبيرة تحيط بها لعنات الله من كل
جانب ، فتصيب كل من يتصل بها
من بعيد أو قريب ، باللعنة ، وتنزله
منازل سخط الله وغضبه مثل كبيرة
الخمر !!

وقد رصد الاسلام للمجاهر بشرب
الخمر عقوبة دنيوية فاضحة مخزية

له ، منزلة اياه منزل الصوفاء واليهوان ، فلم تأخذه بعقوبة محددة كالجلد ، أو الرجم ، وانما جعلت للجماعة التي يعالّن فيها أحد أفرادها بشرب الخمر أن ترجمه بكل ما تطوله يدها ، وأن تزجره كما يزجر الكلب العقور ، حتى يغيّب عن وجهها .. هذا فضلا عن العقاب الاخرى الراصد له ..

روى انه جىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فأذن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لمن فى مجلسه من أصحابه أن يتولى زجره وتأديبه ، فكان منهم الذى رماه بنعله ، وكان منهم الذى ضربه بيده ، وكان منهم الذى ضربه بثوبه .. هكذا يلقي النار كل خطر يدهمهم ، انهم يدفعونه بكل ما يجدونه حاضرا بين أيديهم .

هذه صورة من صور العقاب لشارب الخمر ، ومن صور العقاب لشارب الخمر أيضا أن يجلد عددا من الجلادات غير محدد ، وانما يحدده ولى الامر حسب نظرته الى حال الشارب فقد جلد رسول الله لشارب الخمر عشرين جلدة ، وجلد عمر أربعين جلدة ، وذلك بعد أن فتحت الأمصار ، وكثر الداخلون فى الاسلام ، الذين خف وازع الدين عندهم عما كان عليه المسلمون ، فى عهد رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه .

٨ — واذا كانت أمم الغرب تأخذ على الاسلام موقفه من الخمر ، وأخذه بالنكير على شاربها ، وعدها ذلك دلالة من دلالات تأخر المسلمين ، واستغلاق ملكاتهم التى من شأن الخمر أن يفتحها كما فتحتها على أمم الغرب ، فسادت وعزت ، وملكّت أزمة الحياة ، وقادت موكب

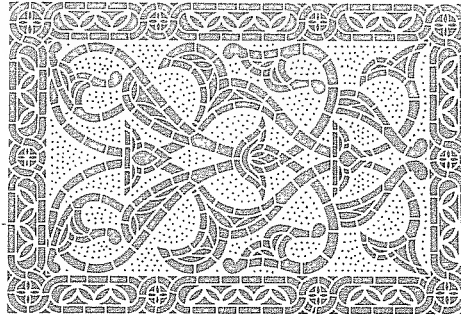
الحضارة ، على حين بقيت دول الاسلام فى قيد العجز والتخلف — نقول اذا كانت هذه هى تهمة الغرب للاسلام والمسلمين ، فانها ليست أول فرية يفتريها الذين يضمرون العداوة للاسلام ، دون أن يعرفوا حقيقة هذا الدين . ودون أن يختبروا حقائقه ، مكتفين فى هذا بالنظر الى حال المسلمين اليوم ، وما رماهم به الاستعمار الاوربى من ادواء اغتالت معالم العزة فيهم ، واصارتهم الى ما هم فيه من تخلف فى ماديات الحياة التى كانت هى رغبة الاستعمار وطلبتة من استعمار أوطانهم ، وسلب خيراتها ، حتى أقفرت من هذه الماديات التى يفر بها الغرب ، وان لم يستطع هذا الاستعمار أن ينتزع معالم الانسانية من كيان المسلمين التى غرسها الاسلام فيهم . فحفظ هذا الدين وجودهم وما يزرع به عالمهم الداخلى من عواطف انسانية كريمة حرم العالم الغربى من كثير منها ، وتحول الناس هناك الى آلات تعمل وتنتج لكسب المال ، ولا شيء غير كسب المال .. !

٩ — ولقد عرف العالم الغربى من آثام الخمر وأضرارها أكثر مما يعرف المسلمون ، وخاصة فيما تفعله الخمر فى الاجسام فضلا عن العقول ، وذلك بما كشف الطب هناك من الادواء والعلل الجسدية التى تتركها الخمر فى شاربها ومن يدمنون تعاطيها ، حتى لقد لجأت دول كثيرة ، ومن بينها أمريكا الى سن قانون يحرم الخمر ، ويحارب الذين يتعاطونها ، ويرصد العقوبات المالية وغير المالية لمن يخالفون هذا القانون ، ولكن سلطان الخمر على الناس كان قد تمكن منهم ، فغلب على سلطان القانون وقهره ،

واضطرت الحكومات الى الغاء هذا القانون ، والعودة بالناس الى حالهم الاولى مع الخمر يعبون منه كما يشاعون ، وهى تعلم أنها تسوق الناس - مكرهة - الى أوخم العواقب .. وفى تحريم هذه الدول للخمر ، ثم قهرها ، وتخاضلها ، واستسلامها لهذا السلطان القاهر لها حجة قائمة على الذين يرون فى الخمر غير ما يرى القرآن من شناعتها وسوء عاقبتها ، وما تخلفه وراءها من ضحايا مشوهة الانسانية فى ظاهرها وباطنها .

١٠ - واذا كان الغربيون قد عجزوا أمام سلطان الخمر ، واستسلموا له صاغرين ، فان الاسلام بتدبيره الحكيم فى محاربة هذا الداء ، قد استطاع أن يعزله عن دنيا المسلمين عزلا يكاد يكون تاما ، وخاصة عند المتدينين منهم ، ومن فى قلوبهم خشية لله ، ورعاية لحدود الله .. أما الذين لا يخشون الله منهم ، ولا يرعون ناهوس المجتمع

فقد رصدت الشريعة الاسلامية العقوبة الرادعة لمن يجاهرون به من أخذ الشارب منهم بالضرب المذل المهيئ ، أو الجلد المخزى الاليم وهذا حكم قائم فى شريعة الاسلام على شاربى الخمر ، المجاهرين بها ، ولو نفذ هذا الحكم كما أمرت الشريعة به لاختفت حانات الخمر من بلاد الاسلام ، ولما ظهرت فى المجتمع الاسلامى تلك الوجوه المنكرة لشاربيه .. فما طبقت أحكام الشريعة الاسلامية فى جريمة من الجرائم الا اختفت تلك الجريمة ، واستراح الناس منها ، والشاهد الحاضر لهذا جريمة السرقة التى اختفت فى الجزيرة العربية بعد أن أخذ السارقون بأحكام الشريعة ، وما تقضى به من قطع يد السارق اذا ثبتت عليه التهمة مستوفية جميع أركانها ، فبأيت قويم يقيمون حدود الله على الخارجين على شرع الله .. اذن لطابت حياتهم ، وعلا فى الحياة شأنهم ، وفتح الله عليهم بركات من السماء والارض .





الأستاذ : على القاضى

التربية عملية دائمة فى حياة الفرد لتعديل خبرته وبها يكون الإنسان قادرا على النمو المتجدد الذى يجعله يحيا حياة سعيدة ويكون عضوا ايجابيا نافعا فى المجتمع .

وكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يرسم صورة لما يريد أن يحققه فى مجتمعه ويضع الأسس لتربية أبنائه حتى يمكن أن ينشئهم على المنهج الذى يحقق الصورة التى يرسمها .

وللتربية عوامل تؤثر فى تربية أبناء المجتمع .

والإسلام دين له مثله وله أهدافه التى يريد أن يحققها فى هذه الحياة وقد وضع الإسلام الأسس السليمة لتربية أبنائه . وتناولت هذه الأسس جميع نواحي الإنسان الجسمية والنفسية والفكرية .

كما اهتم بعوامل التربية التى تحقق المثل التى تنشدها .
وعوامل التربية فى الاسلام هى : الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع —
وستتناول بإيجاز الكلام عن كل واحد منها .

الأسرة :

الأسرة هى البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال ، وقد أثبتت تجارب الجنس البشرى أنها أفضل نظام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لهم ، وتقديمهم ، وحمايتهم — فرعاية الطفل والعناية به أول ما يجب على الوالدين ، يحسنان تربيته ويقومان بتعليمه وهما مسئولان عن ذلك مسئولية كاملة لا تقتصر على فترة من الفترات ، فالطفل قليل التجارب سهل التأثر لقلته خبراته ، وسهولة استهوائه ، ولذلك يجب أن يحاط بكل عناية حتى لا تتأثر نفسيته بعادات وآراء غير صالحة وغير مناسبة للأغراض التربوية التى يهدف المجتمع الى تحقيقها . فالوالدان عليهما أن يهتما بصحة الطفل وحمايته من الأمراض وعلاجه منها اذا أصيب بنوع منها وعليهما أن يهتما بتكوين العادات الصحية وحمايته من الأخطار . وعليهما أن يعنيا بالناحية العقلية لادراك العلل . كما أن عليهما الاهتمام بالناحية الوجدانية فيهدبا انفعالاته ويكونا العادات الوجدانية الصالحة ويحاولا استئصال العادات الوجدانية السيئة ان وجدت ويعوداه السيطرة على انفعالاته كالثورة لسبب تافه مما يسبب له المتاعب الدائمة كما يسببها لمن يتعامل معه .

وقد أثبت علماء النفس أن ما يلاقيه الطفل من المعاملات فى السنوات الأولى سيستمر صداه فى نفسه طوال حياته . ففى حضن الأسرة يجد الطفل حاجته من الحنان — والعطف والرعاية — والرسول الكريم أوصى باظهار العطف والحنان للأطفال .

وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان ، وقد أطال السجود مرة لأن الحسن كان متعلقا بكتفه فلم يجب أن يفزعه . . .
وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء فى العطف والحنان حتى لا تتأثر نفسية الطفل فيتأثر سلوكه . . . وقد نظر الرسول الكريم الى رجل له ابنان قبل أحدهما وترك الآخر فقال له : فهلا سويت بينهما ؟ ودخل عامل على عمر بن الخطاب فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم . فتعجب العامل وعتب عليه فقال له عمر : كيف انت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق ! فقال عمر : (اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟)

وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية يقول الرسول الكريم :
(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) .

وكما اهتم الاسلام بتربية الطفل اهتم بتربية الطفلة . بل لعل اهتمامه بها أكثر لما لها من أهمية فى الأسرة ومن أثر فى تربية أبنائها فى سنواتهم الأولى فهى ملازمة لهم قائمة على أمورهم معنية بشئونهم فهم يقتدون بها ويتشربون روحها ويأخذون من عاداتها وأخلاقها وهذا الحديث الشريف يبين لنا مقدار اهتمامه بها **(من كانت له ابنة فادبها فاحسن تاديبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة)** بل أكثر من هذا فالاسلام لم يكتف بالتربية فى الصغر بل تعداها الى ما قبل ذلك . فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ! فللوراثة تأثيرها العميق . تأثيرها فى الصفات

الجسمية وفى كثير من الصفات الخلقية فقد يرث الصغير أشياء لا يستطيع التخلص منها وقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والفرائز كلها تورث . كما أثبت أن المزاج — وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والفدى — يتأثر بالوراثة .

والاسلام اكتشف هذه الأشياء منذ أربعة عشر قرنا تقريبا فأوصى بملاحظتها والحث فى الوصية ونبه وشدد فى التنبيه على اختيار الأبوين اللذين لهما صفات خاصة تحقق إيجاد الجو الصالح الذى يصلح لتربية الطفل فالرسول الكريم يقول فى اختيار الزوجة :

(إياكم وخضراء الدمن . فیسأله سائل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ فيقول : المرأة الحسناء فى المنبت السيئ) فالمرأة اذا لم تنشأ فى بيئة طيبة ولم تربى تربية طيبة لا يمكن أن تخرج ابناً لها إلا مثلها ومن هنا كان لا بد من التحذير والتحذير الشديد فضلاً عن أن ابنها سيرث بعض صفاتها فان تربيتها له سيكون لها أسوأ الأثر فى حياته لما لها من المقدرة على استهوائه ولما يراه فيها من المثل الأعلى فيقتدى بها، ويبالغ الرسول فى التنبيه حين يبين الأثر الذى تنتجه الوراثة فيقول : **تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**) ويبين الرسول الكريم أن (المرأة تنكح لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها) ويقول لمن يريد أن يتزوج (فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

وفى اختيار الزوج يطلب من أهل الزوجة أن يختاروه على أساس الدين وإلا فإن الفساد ينتشر . يقول الرسول الكريم : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجهوا إلا تفعلوه تكن فئنة فى الأرض وفساد كبير) .

المسجد :

يمثل المسجد فى الاسلام عاملاً هاماً من عوامل التربية فهو مكان للعبادة وهو مكان للتربية أيضاً وما العبادة إلا جزء من رسالة المسجد ولذلك فقد كان أول شيء فعله رسول الله عليه السلام بعد أن حط رحاله فى المدينة أن سأل عن المريد الذى نزلت فيه ناقته قائلاً : **لن المريد ؟** فأجابه معاذ بن عفراء : أنه لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان ، وسيرضيهما . ورجا النبى أن يتخذة مسجداً وقبل النبى وأمر أن يبنى فى هذا المكان مسجده .

فى هذا المسجد وضع النبى الكريم أسس دعوته الاسلامية وكان يبين لأصحابه خطوطها الرئيسية وتفصيلاتها ويفهمها لهم ويرببهم عليها . ففى خطبته الثانية بالمسجد قال :

(**أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم . أن الله يغضب أن ينكث عهده**) .

فالصلة الروحية بين العبد وربه هى أول شيء يجب على المسلم قاله يعبد وحده باخلاص ولا يشرك به فى عبادته . . وهو الذى يتقى حق تقاته . ويراعى فى كل عمل يعمل الانسان سواء كان خاصاً به أم عاماً لمجتمعه ووطنه وهذه خير طريقة لتربية الضمير وكان المربى الأول صلوات الله عليه يلاحظ حال تلاميذه ويخلطهم بنفسه ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلومات فى أذهانهم وطريقته فى ذلك هى أحدث طرق التربية إذ كان يطلب من المخطئ اصلاح خطئه بنفسه فان لم يصل الى ذلك تركه الى أن يفقد توازنه ويزداد انتباهه فيكون

عنده استعداد عظيم لتلقى الصحيح منه .
صلى رجل بمسجد الرسول صلاة سريعة ثم جاء فسلم على النبي وصحابته وهم جالسون فرد النبي عليه السلام ثم قال له : (ارجع فصل فانك لم تصل) فعاد وصلى كما صلى من قبل وحين رد عليه مثل رده الأول قال له : والذي بعثك بالحق نبيا ما أحسن غيره فعلنى فأخذ الرسول الكريم يعلمه كيفية الصلاة الكاملة . فالرسول صلوات الله عليه لم يعلمه فى مبدأ الأمر بل طلب منه ان يصلح خطاه بنفسه أولا . وحين لم يفعل ذلك فى المرة الأولى تركه حتى فقد توازنه وأصبح عنده الاستعداد الكافى لتلقى تعليم النبي له فى يقظة تامة وانتباه كبير فلا ينسى بعد ذلك أبدا بل ويهتم بأن يعلم غيره ما تعلمه .

ومن أساليب التربية التى اتبعها المسجدان المسلم اذا دخله ووجد حلقة علم جلس حيث ينتهى به المجلس بلا فرق بين انسان وانسان فالجميع فى بيت الله سواء .

وكان من أهم الأشياء التى لاحظها الرسول إلا يثقل على أصحابه حتى لا يسأموا فلا يستفيدوا شيئا ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السأمة علينا . بل كان كثيرا ما يدخل فى دروسه عنصر التشويق حين يقص عليهم أخبار الأمم السابقة وما آلوا اليه وكان النبي يتعهد أصحابه بالرعاية والعناية يخطب فيهم ويدرس لهم ويبين لهم الجديد من التشريع ويوضح لهم ما غمض عليهم يسألهم أحيانا ليختبر ذكاءهم وانتباههم وكان يجيب على أسئلتهم التى يوجهونها اليه . واستطاع المسجد الأول بهذه الطريقة أن يخرج للإسلام علماء فى الفقه الإسلامى وفى فهم القرآن الكريم ورجالا فى كل ناحية من النواحي ، وقد كان لهم أثر بين فى نشر الثقافة الإسلامية فى أنحاء العالم الإسلامى بعد امتداد رقعته واتساع سلطانه . ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم وحده . بل تعدته الى تقوية الروابط الاجتماعية ، وتوثيق الصلات الأخوية ، وإشعار أعضاء المجتمع الإسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا فرق بين فرد وآخر . فالمسلمون يصلون خمس صلوات كل يوم فى المسجد يقفون متجاورين بدون تفريق فى صفوف منتظمة فاذا ما قضيت الصلاة لاحظوا من تخلف منهم فيسألون عنه ويبحثون عن السبب الذى تخلف من أجله .

وروح المسجد روح تكافل واتحاد . ولأهمية المساجد فى التربية الإسلامية لم يتهاون النبي فى المسجد الذى أنشأه جماعة من المنافقين وكانوا يأتون اليه ليحرقوا كلام الله عن مواضعه ويفرقوا بين المؤمنين ضاررا وهو الذى سماه القرآن الكريم (« مسجد الضرار ») فلم يكتف الرسول بعدم تلبية لدعوتهم فيرفض الصلاة فيه بل أمر بإحراقه بدون هوادة لما له من أثر سىء فوجوده موضع خطر كبير على أبناء المسلمين .

واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليم فى جميع العصور الإسلامية وحتى عصرنا الحاضر فى بعض أقسام الأزهر . واقتصر حين انتشرت المدارس على بعض نواحي التربية .

وهكذا استطاع المسجد ان يقوم بدور كبير فى تربية الأمة الإسلامية ، وان يكون ذا أثر قوى لا نزال نحس به ونرجو أن يعود الى سابق عهده فى التأثير والتربية حتى نصل الى ما وصل اليه أجدادنا من رقى وتفوق .

وحتى نحس بالهدوء الهدوء النفسى والاطمئنان القلبى ، والسعادة الحققة .

المدرسة :

نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءا طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد فى بداية الأمر وما زالت تنمو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة منتشرة فى البلدان الاسلامية انتشارا كبيرا . وقد كانت على درجات منها الكتاتيب ومنها بيت الحكمة الذى انشئ أيام الرشيد والمدارس النظامية ببغداد ودار العلم بالقاهرة ، والبيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنوعا وذلك ضرورى لتربية الطفل حتى لا ينشأ الطفل مدلا . والمدرسة توجد توازنا فى حياة الطفل من الناحية الفردية والاجتماعية — فالمدرسة حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الحقيقى — والمدرسة القديمة كان المدرسون الذين يتصدون للتدريس فيها يمتهنون هذه المهنة عن رغبة — والمدرسة الحديثة تعد المدرس اعدادا خاصا لمهنة التربية .

والمدرسة عامل هام من عوامل التربية لأنها بأسلوب التربية الذى تتبعه تؤثر فى مفاهيم التلاميذ وفى تكوين معتقداتهم كما تؤثر فى سلوكهم . . وعن طريق تقليدهم لأساتذتهم واستهوائهم والايحاء اليهم يستمر التأثير فى ذلك .

وقد أخذت المدرسة بذلك جزءا كبيرا من رسالة المسجد فى التربية وهى بذلك تعتبر مكملة له بها لها من امكانيات لا توجد فى المسجد وبخاصة فى عصور العلم والتكنولوجيا أو هى امتداد للمسجد ولرسائله اذا كانت التربية فيها تسير على أساس العقيدة الاسلامية والتعليم يسير على أساس تحقيق أهداف الاسلام .

المجتمع :

المجتمع عامل هام من عوامل التربية لما له من تنوع واثر فهو يشمل كل ما فى المجتمع من اصدقاء ومن صحافة واذاعة مسموعة واذاعة مرئية وخيالة وهيئات دينية واجتماعية وغير ذلك .

والاسلام يعطى صورة لترايط المجتمع وتأثير بعضه فى بعض فى الحديث الشريف الذى يقول : (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا ما استنقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : أنا خرقتنا فى نصيبنا خسرنا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا .

ومن هنا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد فيه يحس بالاحساس الكامل بالمسئولية كلكم راع ومسئول عن رعيته (ويفرض على كل مسلم أن يغير المنكر الذي يراه في حدود استطاعته) من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان) وهو بهذا يجعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

وقد بين الرسول الكريم اثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب الا الصديق الصالح (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير — لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) ويحذر القرآن الكريم من الاطمئنان الى الظالمين (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) .

ولقد كان الجلوس في الطرقات — وما زال — مصدرا للمشكلات الكثيرة في المجتمع ومحكا لمستوى الأخلاق في الأمة . ولقد نهى الرسول الكريم أصحابه عن الجلوس في الطرقات فلما قالوا له : ان ذلك غير ممكن طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق بحيث لا يترتب على الجلوس في الطريق أى مشكلة اجتماعية ، بل بحيث تظهر منها فوائد اجتماعية (اياكم والجلوس في الطرقات قالوا : يا رسول الله مالنا بدمن الجلوس فيها . انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال : فان أبيتم الا الجلوس فيها فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غرض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . والحوادث التي يراها الأطفال في الخيالة وفي الاذاعة المرئية تظل في ذاكرتهم مدة أطول من تلك التي يرونها عن طريق آخر — وانهم يضعون فيها ثقة أكبر مما يضعون في المعلومات التي يحصلون عليها من طرق أخرى . وان أكثر الحقائق تذكرنا تلك التي تقترن بصفة وجدانية .

ولقد كان للخيالة اثر كبير في رفع نسبة جرائم الأطفال حين اتجهت الاعلام الى الاكثار من المناظر التي تتحدث عن الجرائم ومثل ذلك الاذاعة والصحافة فان لذلك كله أثرا كبيرا في تربية الصغار والكبار أيضا .

هذه الأشياء التي تحدث آثارها في المجتمع تعتبر عاملا هاما من عوامل التربية وعلى المجتمع أن يحيطها بالضمانات التي تكفل التأثير الحسن في نفوس الأطفال والشباب ، وتكون عاملا طيبا من عوامل التربية في الاسلام .

خاتمة :

وبعد فهذه هي عوامل التربية في الاسلام وينبغي أن تسير كلها في الطريق الذي رسمه لها الاسلام تحقق مثله وتنشر أفكاره وتطبقها على نفسها وتكون قدوة للناس جميعا فبذلك يسعد الفرد ويسعد المجتمع الاسلامي ويسير على هذا النهج من يريد أن يسعد من المجتمعات الأخرى .

سيادة الدولة أو الأمت في ظل الإسلام

للدكتور
وهبه الزحيلي

فى غرة شهر الله الحرام المحرم من كل عام إذ يسدل الستار على عام قد مضى ، وتبدأ صفحة جديدة لعام آخر من عمر الزمان قد بقى ، لا يشعر المسلم بأية حال باهتزاز فى قيم الإسلام ومبادئه وأحكامه التشريعية ، وإنما يرى أنها فى نداوتها وجدتها وحيويتها ربيع يتدفق شبابها بالحيوية ، أو سلسيل يفيض عذوبة ، أو مولود بكر يتخايل ويملا الأفق بهجة وانتعاشا وفرحا ونضارة .

فالقدم لا يزرع فى رأسه الشيب ، ولا تعرض له الشيخوخة والهرم والعدم ، ولكنه يزداد بهاء وقدسية واحتراما ، واستمساكا بتلابيبه ، والتزاما لتعاليمه . ويظل هو السيد المطاع الذى يحتكم إليه ، والميزان الحساس الدقيق الذى تقيم به الأعمال صغيرها وكبيرها ، فيحاول المرء العيش فى ظله ، ويعاهد الله على ألا يحيد عن حدوده ، ويشحن النفس بطاقة قوية ليكون الغد أو المستقبل أفضل من الماضى ، ويزداد الشعور بضرورة الالتزام الصارم كلما انحدر عمر الانسان ، واتجه نحو النهاية الحتمية بيقين الصادقين ، وعزيمة المجاهدين الصابرين ، وتوبة الأطهار الأصفاء من عباد الله الصالحين .

إذا فتقادم الزمن لا يؤثر ولا يغير قيد أنملة فى طبيعة التشريع السماوى الخالد الذى ضمه القرآن المجيد وأبانتها السنة المطهرة ، مما هو مقطوع به ،

أو له صفة الديمومة والخلود ، أو الواضع لمبدأ ثابت لا يقبل التغير والتطور
فى ناموس الحياة السوية . ومن هنا ينبع احترام تشريع الإسلام ، ويزداد
اعتباره ، ويقوى الاهتمام به كلما ذر شارق ، وغرب غارب ، وتوالت الشهور ،
وتتابعت الأعوام ، وطلعت الحياة بأنظمة ينقض بعضها بعضا ، أو تهدم نظرية
علمية ما استقر فى الأذهان .

ولكن لنا أن نتساءل فى العصر الحديث حيث ازداد تدخل الدولة فى كل
شئ تشريعا وتنفيذا وتخطيطا ، وأصبحت القيادة وقتفا عليها ، وقتن الناس
ببريق المدنية ومعطيات الديمقراطية ، وبأسطورة حق « الشعب » وكونه
« مصدر السلطات » ، فى هذه الظروف الحاسمة وجب أن نتساءل : ما مدى
حرية الدولة أو الأمة التى تمثلها الحكومة فى ممارسة سلطاتها على الناس ،
أو بعبارة أخرى : ما هى حدود أو قيود سيادة الدولة فى ظل الإسلام ، وهل
يعنى قيامها بالتشريع انفرادها بهذه السلطة ، وصم الآذان عن نداءات
السماء ، وتشريعات القرآن الذى تقرر آياته صباح مساء سمع الشعوب
الإسلامية ؟

إن كلمة « السيادة » اصطلاح حديث نسبيا وجد مع وجود فكرة الدولة
الحديثة ، وهى صفة أو خاصية تنفرد بها السلطة السياسية فى الدولة بعد أن
تكتمل أركانها الثلاثة من شعب وإقليم وهيئة حاكمة (تنظيم) ، وقد برزت فكرة
السيادة بادية ذى بدء لتسويغ إطلاق سلطة الدولة ، فلا يحد سلطانها شئ ،
ثم تعرضت نظرية السيادة المطلقة فى العصر الحديث لنقد قوى جوهري
مقتضاه أنها لم تعد تتفق مع الظروف الحالية للمجتمع الدولى وحقوق وحريات
الأفراد وتضامن الجماعة وتعاونها فى تحقيق حاجاتها المشتركة .

وادت هذه الانتقادات الى ضرورة تقييد السيادة فى الداخل والخارج ،
ومن مظاهر السيادة فى داخل الدولة : الحرية فى اختيار النظام السياسى
والاقتصادى وسن التشريعات الملزمة لفرضها على المواطنين . ومن مظاهر
السيادة خارج الدولة : الحق فى إعلان الحرب وعقد المعاهدات والاستقلال
السياسى .

وقد تمتعت الدولة الإسلامية منذ بدء تكوينها فى المدينة المنورة بكل
مظاهر السيادة الداخلية والخارجية ضمن قيود محددة ، فكان لها سمو
السلطان فى الداخل ، والاستقلال الكامل عن غيرها ، وأساس هذا الاستقلال
ظاهر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا » وفى قوله عز وجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .
وتجمع آية أخرى مظهرى السيادة معا ضمن القيود المعقولة وهى : « محمد

رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .
 أما عن قيود السيادة في ظل الإسلام ، فمن الخطأ الشائع إطلاق القول بأن « الأمة مصدر السلطات » إذ أن حق التشريع بالمعنى الدقيق إنما هو للشارع الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى ، فليس لأي فرد أو جماعة سلطة التشريع أي إنشاء أحكام مبتدأة أصيلة في الدولة ، وإنما يكون الاجتهاد ، ومنه إجماع الأمة محصوراً في نطاق استلزام روح الشرع ، واستمداد الحكم المناسب لضرورات الزمان المتجددة من فحوى التشريع السماوي ، أي أن التشريع لله وليس للأمة بدليل قوله تعالى : « إن الحكم إلا لله » ، وما على الأمة إلا إطاعة أوامر الله والرسول : « يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » . وقد أثنى الله على الطائعين الملتزمين فقال سبحانه : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً » وقد حذر القرآن من التفكير في الحيدة عن الوحي الإلهي ، فقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليماً » . وقد أذعن المسلمون الأوائل لوحي السماء إذعانا كلياً ، فكانوا كما حكى القرآن عنهم : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون » .

وتشدد القرآن في هذه القضية — قضية طاعة الوحي ، فأذعر بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » وأعلن تجرد المنتكرين لهذه الطاعة من صفة الإيمان مخاطباً من له صفة السلطة أولاً : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « فأولئك هم الظالمون » « فأولئك هم الفاسقون » (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

وفي مجال القضاء طولبت السلطة القضائية إحدى سلطات الدولة بتطبيق شرعة الله ، وخطوب الأنبياء أولاً بذلك ليكونوا القدوة المتبعة لغيرهم : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهدى فيضلك عن سبيل الله » وأمر الرسول محمد أيضاً بالطاعة : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » « فاحكم بينهم بالقسط » « إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس » « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » .

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصاياه لأمته مبدأ سيادة التشريع الإلهى مجردا عن كل لبس أو غموض : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وأوضح النبى أيضا للأمة حدود طاعة أولى الأمر فيها يكفل سيادة التشريع ، فقال عليه السلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصيته ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » « إنما تجب الطاعة فى المعروف » وصارت القاعدة المقررة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وعلى هذا فالأمة مصدر السلطات فى التنفيذ واختيار الحكام ومراقبتهم ، لا فى التشريع المبتدأ ، والسيادة بهذه الحدود أو القيود تكون لمجموع الأمة أو الأفراد ، وما الحكام إلا وكلاء عن مجموع الشعب ، فهم الذين يختارون الحاكم ، ولهم حق عزله من منصبه إذا خالف الشرع ، وعليهم مراقبة تصرفاته ، وهو مسئول أمام الله ، وأمام الأمة : « الإمام راع ومسئول عن رعيته » . ولا تختلف المسئولية أيا كانت صورة نظام الحكم خلافا أم ملكيا دستوريا أم نيابيا أم رئاسيا عسكريا أو مدنيا ، والسيادة تكون مقيدة إذن بحدود الشريعة ، والدولة تتصرف ضمن مخطط التشريع الإلهى ، وكل القوانين والدساتير والأنظمة الصادرة عنها ينبغى أن تكون فى إطار الشريعة ، لأن الأمة أو الدولة التى تمثلها مستخلصة عن الله فى التطبيق والتنفيذ واستلهاهم روح التشريع السماوى . أما معالجة الأمور الجديدة الطارئة التى لم تكن وقت نزول الوحي ، فتكون بواسطة اجتهاد أولى العلم والخبرة والاختصاص وكل من تتوفر فيه أهلية الاستنباط دون اقتصار على فئة أو طبقة معينة ، وإنما المطلوب توفير المقدرة والكفاءة العلمية . وتستعين الدولة بهؤلاء الذين يستنبطون الحكم الشرعى من مصادره الإلهية ، ووفق روحه التشريعية العامة ، ومراعاة وجه المصلحة والأعراف والعادات الزمنية التى لا تكون مصادمة لنص أو مبدأ تشريعى . والاجتهاد حق للأمة بل واجب مفروض عليها ، إذ به يتحقق خلود الشريعة ، وتتوفر صلاحيتها المقررة لكل زمان ومكان . ومن المستبعد أو غير المقبول أن تكون مجالس الأمة أو الشعب القائمة فى دول الإسلام الحالية قادرة على الاجتهاد أو محققة له ، وإن توفر فيها بعض الأفراد المتخصصين ، لأن العبرة فى النهاية للتصويت بأغلبية الأصوات ، بقطع النظر عن كون الصوت أو الراى نابعا من شريعة الله أو منسجما مع احكام الإسلام .

ويمكن تجلية كيفية ممارسة الدولة لسيادتها فى ظل الشريعة بالأمثلة الآتية : إن إعلان الحرب على العدو وعقد الاتفاقيات ومعااهدات الصلح أو السلام معه ينبغى أن يتجسد فيه كل مبادئ القرآن والسنة والسيرة النبوية ،

حتى يكون ذلك مشروعاً . وليس المدو الذي تطبق عليه قوانين الحرب أو القتال ، والسلم أو الصلح هو الذي اغتصب أرضاً أو مقدسات إسلامية ، وإنما هو الجائم في بلاده الأصلية ، ويبدأ المسلمين بالمدوان . لهذا يخطئ الكثيرون الذين يطبقون الآيات القرآنية الداعية إلى قبول السلام على الصهاينة المحتلين لأراضينا بطروفت دولية معينة ، مثل قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وكذلك القوانين الوضعية التي تجيز التعامل بالفائدة وإن قلت نسبتها ، أو التي تحرم الفائدة أو الربا في القطاع الخاص بين الأفراد ، وتجيز التعامل به في القطاع العام أي أن الدولة لها حرية المراجعة من جانبها ، عملاً ببعض الاجتهادات الحديثة المنحرفة ، هذه القوانين كلها غير مشروعة لمصادمتها النصوص القرآنية القطعية التي تحرم الربا مهما كان قليلاً ، فليس ذلك إذن من أعمال سيادة الدولة .

وعقد التأمين وإن اعتبر صحيحاً لأنه يعتمد على دراسات اجتماعية دقيقة يقل معها احتمال الفرار أو المقامرة ، يظل غير مشروع بالنسبة للعوض المدفوع عند وقوع الضرر ، لأنه من كسب خبيث قائم على الربا .

ومظاهر الحياة الحديثة التي تجيزها الدول المعاصرة من مسارح وتمثيليات وغناء ورقص واختلاط ودور عرض الأفلام ، مهما قيل في تسويقها من الحكومات ، تظل غالبية الضرر ، ومنافية لأخلاقية الشعب الذي ينبغي أن يتربى على الخشونة ومعرفة أسباب وفنون الحرب ، لدفع مختلف أوجه الاعتداء التي تتعرض لها الأمة الإسلامية من جميع أعدائها .

ومهما قيل بأن للحاكم تقييد المباح وتقييد الحريات من أجل الصالح العام ، لا يجوز له بأية حال تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحجة الحفاظ على وجود الدولة والدفاع عنها .

وإذا جاز للقاضي الحكم بالظاهر دفماً للخرج ، وقطعاً للخصومة وإنهاء النزاع ، فإن حكم القاضي لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، أي أن الاعتبار الديني يظل سائغ العمل به مع الاعتبار القضائي . وفي ذلك مراعاة لمظهر سيادة الدولة الداخلية وسيادة الشريعة أيضاً ، كل في نطاقه الخاص به دون تصادم ولا تعارض .

وإجماع الأمة أو التضامن الاجتماعي الذي يقوم عليه أساس تحديد السيادة في الإسلام ، والذي يتفق مع أمثل النظريات القانونية في هذا الشأن

لتقييد سيادة الدولة ، لا يعنى الخروج عن سيادة الشريعة ، وإنما ينبغى أن يتم اتفاق الجماعة معها ، فللشريعة الحاكمة المطلقة على تصرفات الأفراد والجماعة ، وهى التى تحدد سلفاً ما يجوز من تصرفات تتفق مع فكرة التضامن الاجتماعى ، وما يتعارض معها ، وليس الأمر متروكاً لمجرد شعور الجماعة أو رد الفعل الحادث فى المجتمع للحكم على تصرفات الدولة صحة أو بطلاناً .

والخلاصة أن الدولة بمختلف سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية لا تملك بمقتضى خاصية السيادة المتصفة بها الخروج على أحكام الشريعة المقررة فى القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة ، وإنما هى مقيدة بها ، وعملها قاصر على تنفيذ تلك الأحكام البينة ، وعلى الاجتهاد فيما يطرأ على المجتمع من وقائع وحوادث تتطلب حلاً وفقاً لمبادئ الشريعة وأحكامها العامة ومقاصدها التشريعية .

وأما الأسباب التى تجعلنا نصير على تقييد سيادة الدولة بالقيود التى فرضتها الشريعة ذات السيادة الحقيقية والخلود ، فهى كثيرة متنوعة منها :

١ - إقامة التشريعات التنظيمية الصادرة من الدولة على أساس متين من الأخلاق والعقيدة والعدل والحق والمساواة بين الأفراد ، وبين الحاكمين والمحكومين على السواء .

٢ - تحقيق وحدة التشريع بين دول الإسلام أو أقاليمه ، والوحدة التشريعية التى يحلم بها رجال القانون والتى هى أساس الوحدة السياسية والاقتصادية لا يتوصل إليها بغير طريق شريعة الإسلام السماوية الأصل .

٣ - الاطمئنان الى سلامة المنطلقات التشريعية والثقة بواضعيها ، والمبادرة الى تنفيذها باعتماد ذاتى ورقابة شخصية .

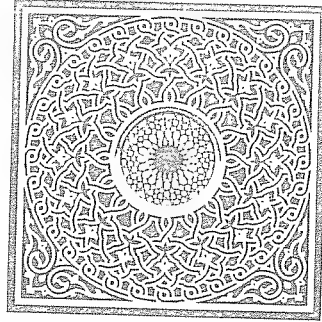
٤ - نشدان الكمال وتجنب أوجه النقص والمعز والقصور التى تسد نجدها فى القوانين الوضعية .

٥ - شهول نواحي الحياة السلبية والإيجابية من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، حتى تسير الحياة سيراً صحيحاً غير متعثر ، ويتم بعدها تحقيق المجتمع الفاضل . وذلك بعكس ما تقتصر عليه القوانين الوضعية من معالجة العلاقات الاجتماعية القائمة ومحاولة إقرارها ، وإن خالفت مبادئ الدين والأخلاق .

٦ - وفوق كل ذلك الفوز برضا الإله وبنعيم الآخرة ، وضرورة الشعور بمراقبة الله فى كل تصرف ، وخوفا من عقاب الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وإن تم الإفلات من العقوبات الدنيوية المادية التى تمارس تنفيذها السلطات القضائية وأعاونها من رجال السلطة التنفيذية .

٧ - تحقيق الاستقرار التشريعى فى أصول الحياة ، ومراعاة واقع التطور والتبدل الحادث فى مصالح الناس وتهيئة كل عوامل التقدم والرقى ، ونبذ كل أوجه العجز والتخلف والركود ، إذ أن مرجع كل ما مر بالمسلمين من انحطاط وانهزام آفته الجهل بمعانى أحكام الشريعة الحققة ، ثم محاولة إلصاق الاتهام ظلما بأنها سبب هذا التخلف ، ليتم فعلا إيجاد الهوية السحيقة والفجوة البعيدة بين المسلمين ومصدر تقدمهم الفعال ، والدافع الى الحركة الدائمة التى تلحقهم بمن سبقهم الى النهضة أو تفوقهم أحيانا .

ونكرر أخيرا ما يقوله علماء الإسلام : إن على الدول الإسلامية أن تعود الى التزام شرعة الله دستورا ونظاما وقانونا وحياة اجتماعية ، فهو الشرط الأساسى والسلاح المعنوى الذى ينقصهم فى حروبهم المستمرة مع الأعداء ، فقد خاضت الدول العربية حروبا أربعة مع إسرائيل ولم يحققوا نصرا بسبب فقدانهم شرط النصر المطلوب منهم ، وإن فقدوه عدوهم ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم .



في مَوْكِبِ الصالحين

عبد الله بن عمر

للأستاذ محمد شوكت التوني

ومنه ما أجروه على لسان سيدنا عمر
من أنه كان فظا غليظا إلا أن المفكر
اليوم ليحزم أن صفاتا حميدة كثيرة
قد انتقلت من صلبه في دم أولاده
وأحفاده وحفظت الصفات الحميدة
الطيبة التي كانت من عناصر السمو
الإنساني والتفوق البشري . وأهم
هذه الصفات هي الشدة في الحق
حين دخل الإيمان في قلوبهم والعنف
حين كانوا على جاهليتهم ، والطيبة
التي جعلت منهم البكائين الرحماء .
فإن ما أثر عن سيدنا عمر من قوة حزم
وشدة في الحق وتمسك بأوامر الله
وفناء لا نظير له في إقامة ميزان
العدل حتى لقد قتل ولديه عبدا

شجرة مباركة كانت بعض جذورها
مباركة في الجاهلية وسمق من جذعها
أصل ثابت كان دعامة من الدعائم
التي قامت عليها رسالة الاسلام حتى
ليقال بحق ابن سيدنا عمر بن الخطاب
كان جزءا من الرسالة الحميدة .
إنها عائلة الخطاب بن نفيل التي
طابت نبتا وعظمت فروعا وصوح لها
عطر ما تزال الاجواء تحمل طيبه
وتتحدث عنه الاقلام والالسن ولهم في
الجنة غرفات ومقاعد صدق واكرام
عند ملك مقتدر « ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون » .
كان الخطاب رجلا مهابا موهوبا
في الجاهلية ولئن وصفه المؤرخون ،

الرحمن قطعاً وعبيد الله في رواية كما
سنلمح من بعد لأقل بكثير عن مواقف
خشوعه وجزعه ورحمة قلبه ، حتى
لتسيل دموعه من الشفاق على نفسه
من مظنة جور أو على الناس من وطأة
الفقر أو الجوع أو الظلم . والذي بدا
من بعد في عبد الله عمر وظل يتسرب
من جيل لبطن حتى أثار وأضاء من
شجرة مباركة زيتونة تضيء بنور الله
في قلب عمر بن عبدالعزيز سبط أمير
المؤمنين سيدنا عمر .

أن هذه الشجرة الطيبة الميمونة
فيها من الفضون اللانعة التي آتت
أكلها ولم تظلم منه شيئاً ما من شأنه
وعظمة قدره أن يزين أي راية وأي
دين وأية ملة .

أن منها زيد بن نفيل وهو من أوائل
الذين كفروا بالأصنام وآمنوا بالله
وكان ذلك في عهد الجاهلية . وما
أدراك ما الجاهلية ظلام وظلم وجهل
وعمى وتأخر إلى حد عبادة الأصنام
وقد كان أحد أربعة أدرك منهم الإسلام
ورقة بن نوفل الذي طمأن الرسول
الكريم حين نزل عليه الوحي ووعدته
بمؤازرته .

أما زيد فإنه لم يلحق الإسلام ولكنه
هاجر من مكة إلى الشام وتنصر معرفة
بالله وكانت هجرته إلى الشام لا هرباً
من تعذيب أخيه الخطاب بن نفيل
ولكن هروباً إلى بقاء يعبد فيها الله
ويعرف فيها الله ويذكر فيها الله .
وأن قصته مع أخيه الخطاب لتدل

على مقدار صلابته في الحق وقوة
احتماله للعذاب في سبيل العقيدة
فقد كان دائم المجاهرة بكفرانه
بالأصنام والأوثان ، عازفاً عن عبادتها
باحثاً عن دين قويم ، وكان أخوه
الخطاب متحمساً لدين آبائه وأجداده
متحزباً لعقيدة الكفر ويعتبر أن صباً
أخيه معرة لعائلته وقبيلته فكان دائم
الأيذاء والتعذيب له ولكن زيذاً كان على
التصميم والعزم أن لا يعبد الأوثان
ولا يؤله الأصنام ولا يقارف الميتة
والدم والذبائح التي تذبح عن الأوثان
ويقول دائماً : « أعبد رب إبراهيم »
وقد جاء في القصص أن زيد بن نفيل
كان إذا ما تخلص من عذاب أخيه
الخطاب لجأ إلى الكعبة وأسند ظهره
إلى جدارها وهو يقول « يا معشر
قريش والذي نفس زيد بن عمر بيده
ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم
غيري » ثم يقول « اللهم لو أني أعلم
أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكني
لا أعلمه » .

ويقول ابن اسحاق أن سيدنا عمر
ابن الخطاب وسعيد بن زيد قتالا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم « أنستغفر
لزيد بن عمرو ؟ قال « نعم . أنه
ليبعث أمة وحده » .

ثم يجيء إلى رحابة صدر الإيمان
والإسلام زيد بن الخطاب وهو شقيق
سيدنا عمر ولكنه كان أسبق منه إلى
الإيمان بالله وبرسوله ورسالته بل أنه
كان من أوائل الأحاد الذين آمنوا

أما الحديث عن سيدنا عمر الذي خلد باسم العدل وخلد العدل مقترنا باسمه والذي قال فيه رسول ملك الروم القولة التي سارت على الأيام كلما قدم عليها الزمان تجلى ضوءها وبهر نورها تلك قولته « حكمت فعدلت فأمنت ياعمر » ومنها نقش على جبين الحياة أن الحكم لا يرضى الله إلا إذا كان عدلا فإذا كان الحاكم عادلا فقد عاش آمنا من غوائل المعتدين وأمن معه المحكومون فإن الحياة بلا أمن أشد سعيًا من جهنم فإذا أمن الحاكم وأمنت الرعية فقد حق للحاكم أن ينام في العراء بلا حراس ولا حجاب فإن عين العادل الأعظم تكلؤه وحق للمحكومين أن يتمتعوا بنوم لا بغى فيه عليهم ولا عدوان .

أما الحديث عن سيدنا عمر فإن الصحائف ولو كانت عدتها بالآلاف ما أحاطت بشمول شخصيته ولقد صنف المصنفون وألف العاكفون على التسطير والتحرير وسيكتب الكاتبون وسوف يسطر الكاتبون ويغنى الزمان ولا تزال بقية تقال في سيدنا عمر . وإنما نحن بصدد الحديث عن ولده عبد الله بن عمر ، ولا شك أنه كان طرازًا آخر من دوحة الخطاب . وكان غصنا قويًا مخضدا من الشوك صافيا للحق .

لم يكن فيه عنف الخطاب بن نفيل ولكن فيه إيمان زيد الكبير وزيد الصغير وصلابتهما في الحق . ولم يكن فيه شدة أبيه على نفسه وآله وعلى الناس أجمعين في تمكين الإسلام ورد المظالم وتحقيق العدالة والحكم بالتسطاس البين . ولكن كان فيه رحمة قلب أبيه العظيم الذي كان يبيكه صياح طفل جائع . والذي قال معبرا عن شعوره بمنشأه كأمير .

برسول الله ومن أوائل الذين هاجروا إلى المدينة قبل هجرة الرسول إليها وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حضر جميع الوقائع مع الرسول وكان من أعمق المسلمين إيمانا وأثبتهم على الحق جنانا ومن أعف الناس لسانا وأصدقهم اخلاصا . وقد سبق سيدنا عمر من دوحة الخطاب سيدة من أوليات المسلمات هي فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد بن نفيل وكان اسلام سيدنا عمر في دارهما التي بقى من آثارها ما يستدبره المسلمون كل يوم وهم يهرولون بين الصفا والمروة وهي مبتدأ الصفا .

وفي دار فاطمة سمع سيدنا عمر سورة طه يرتلها العبد المؤمن الصابر الصامد الذي بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة خباب بن الارت . .

ومع سيدنا عمر واسلامه الذي اهتزت له أرجاء مكة وتنادت به رمال الصحراء وريحها وأنواؤها . . وصك أذان قریش واصطكت من هوله فرائص أهل الكفر يسلم ابنه الأكبر عبد الله بن عمر وكان صبيا .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذي أعز الله به الإسلام ، وكان تشهده مؤذنا بارتفاع الأذان من صوت بلال قد تعالى إعلاما نورانيا سماويا يعلن أن جاء الحق وزهق الباطل لا اله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله أكبر ، الله أكبر .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذي يتمثل فيه التطبيق العملي لشريعة الإسلام وعدله والذي كان في الحق أقسى ما يكون حتى ليصبح مضرب الأمثال وموضع إعجاب القادة والساسة من جميع الأجناس على اختلاف العصور والأجيال .

عمر فجعل لا يدنو منه أحد الا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه » .

وفى هذه اللحظة ولد عبد الله المسلم المؤمن ودلف الى قربة رسول الله يغترف من علمه وقد فتح الله بصيرته للإيمان ومشى نور الايمان بين يديه .

وظل ملازماً لسيد الخلق ، والمعلم الاول والأخير يتلقى عنه العلم ويحفظ عنه الحديث وأصدق الاقوال فمن ثبت الثقة أن عبد الله بن عمر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفاً وستمائة وثلاثين حديثاً ولم يزد عنه فى رواية الحديث الا أبو هريرة وعبد الله بن مسعود .

ومن المسلم بين المحدثين ورواة الحديث ومدونييه وباحثيه أن الحديث اذا انتهى الى عبد الله بن عمر فقد صلح سنده واحتج به .

ولقد وصفه أبو جعفر فيما روى صاحب الطبقات (ابن سعد) انه قال (لم يكن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أحذر الا يزيد فيه قولاً ولا ينقص منه ولا » من عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وظل على حاله من تتبع الصدر المحكمات التى هى من الوحي تنثر من فم الرسول الامين الذى وصفه ربه بأنه « ما ينطق عن الهوى » فاذا أذن الزمان يتلقفها فينثرها بدوره على الخلق وعلى الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها نورا يهدى الى الحق ويضمن سعادة الدارين ويؤلف بين الخلق ويساوى الناس لا يتفاوتون الا بالتقوى يضمن الحرية والعدل والمساواة والايمان وينهى عن الظلم والعبودية والتعالى والتعاضم ويؤسس على الرحمة والمودة المجتمع فالدول فالانسانية .

للمؤمنين فاذا قوله يصير دستوراً لكل حاكم ومسؤول عن الرعية « والله لو ضاع عقل بعير فى أرض السواد (أى العراق) لسألنى الله عنه » وقوله : « والله لو عثرت شاة بأرض الفرات لسئلت عن عثرتها يوم القيامة » .

كان عبد الله بن عمر قد بلغ الثامنة من عمره عندما أسلم أبوه فأسلم هو الآخر ولزم باب رسول الله واجتاز عتبات الجامعة الكبرى جامعة محمد عليه السلام فاذا به ينمو والعلم اللدنى يزكو معه فى قلبه وروحـه ونفسه وهاجر مع أبيه وهو فى العاشرة من عمره ولزم قرب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام وحضر المواقع بعد أحد .

ويروى عن اسلامه واسلام أبيه قال رضى الله عنه (لما أسلم عمر لم تعلم قريش باسلامه فقال أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قيل له جميل بن معمر الحجى فخرج اليه وأنا معه أتبع أثره — ولعله كان يدرى انه انما يتبع النور ويمشى فى طريق النجاة ويسلك سبيل الفائزين بالجنة ثم يتابع قوله — وكنت غلاماً أعقل ما أرى وما أسمع فأتى جميل بن معمر فقال : يا جميل انى أسلمت ، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر واتبعته أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : « يا معشر قريش » وكانوا فى أنديتهم وسوامرهم حول الكعبة « ألا ان عمر بن الخطاب قد صبا » .

وكان عمر يقول من خلفه بصوت أعلى من صوته :

« كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فثاروا عليه فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس عنه فقام

وكان من حظ عبد الله عند الخالق ان جعله من خزنة نور النبوة ومن رواة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد قوله وما أوتي من الناس مثل هذا الحظ الا القليل « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

وبعد أن قبض الرسول ولحق بالرفيق الأعلى لم يتجه عبد الله بن عمر الى أية ناحية من نواحي النشاط السياسى أو الحربى أو الدينى كالفتيا أو القضاء ولم تدفعه نفسه الى اكتساب الرزق عن طريق التجارة ، ولكنه أثر أن يعيش مع النبى محمد عليه صلوات الله يضرب فى الأرض حيث كانت تطأ قدما محمد عليه السلام وحيث بقى عبر انفاسه المحملة بأظهر النفحات اللدنية المحملة بأنقى العطور الالهية . . كان يرتاد الوديان والبطاح التى شرفت برسول الله الامين ويصلى حيث سار الحبيب ويركع حيث وقف ويسجد حيث رقد وكلما ذكر شجرة استراح تحتها الرسول الكريم وأظله منها ظل وارف وهو المحمى بظل الله موقى من كل شر بأستار العرش وعنايته وكلاءته هام عبد الله فى هذه الشجرة يصلى تحت غصونها وفوق ترابها الذى حال مسكا من أثر الرسول أياما وليالى .

وهو فى بيوت الله وفى سامر المؤمنين يحدث السامعين باحاديث الرسول وهو لا يعلم وقتئذ انه إنما يسمع القرون والاجيال والآباء وهو كما وصفه أبو جعفر أكثر الناس حرصا على أن لا يزيد أو ينقص من قول سمعه من فم الطاهر المطهر . وانزوى عبد الله فى أيام أبيه فهو لا يبدو نور الكتب والمؤرخين الا حين يكون الورع والجد وتنفيذ شرع الله .

فها هو عمر أمير المؤمنين ومن وهبه الله بسطة من الهيبة حتى لقد كان يفزع منه ومن شدته وبطشه

كبراء اهل الشرك ويخافه المؤمنون — أخوته فى الله وأحباؤه فى دين الله — وهو الذى يدخل على سيد الخلق فاذا أمهات المؤمنين يتصايحن طمعا فى لين الرسول الكريم ورحمته وعذوبة شيمه وسجاياه حتى اذا ما ابصرن بعمر امسكن عن الصياح . . فزجرهن وهو يكاد يبطش بهن وهو يصيح : الا تخافن رسول الله وتخشيننى ؟ . . . والله انها لكبيرة .

وهو المسلم الوحيد الذى جاهر بهجرته عندما اعتزمها متقدما رسول الله وصاحبه الى المدينة فقد خرج متشحا سيفه ورمحه وطاف بالبيت مجاهرا بالهجرة وكانت عند المشركين جريمة يقتص من صاحبها فما نبت شفة ولا رفعت يد باشارة استنكار الا رفعها بسيف أو رمح .

ها هو عمر وهذا حاله الذى عرّفه عنه القاصى والدانى منذ فجر الاسلام الى يوم الدينونة يقف فى المسجد خطيبا فيعترضه أعرابى وهو يقول : « مالك علينا طاعة يا عمر » .

ويفزع عمر من قوله الاعرابى الأشعث الأغبر الذى لا حول له ولا طول الا خشية الله ويسأله عما جعله يخلع عنه طاعة أمير المؤمنين فيرد عليه الاعرابى بشجاعة المسلم المؤمن الذى لا يخاف الا الله والذى يواجه بقوله الحق أمير المؤمنين وهو يوقن « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » .

« لقد أعطيت كلا منا ثوبا وجعلت لنفسك ثوبين » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضع على جسده الكريم الذى بشر بالجنة وطوق بورودها ورياضها وزحزح من أول يوم فى اسلامه عن النار ولهبها ولظاها المستعر — كان سيدنا عمر بالفعل يضع ثوبين .

وكان يكفى أن ينطق سيدنا عمر بكلمة فيصدق الخلق جميعا فما عهد

القدمين وموثوق النفس عن الضراعة
والتشفع وأخوه الأكبر العطوف
الرقيق لا يفكر فى مخالفة الأمر لا أمر
أبيه ولكن أمر الله بالحد . وهو لا
يخشى أمير المؤمنين وإنما يخشى
الله ، ولكنه لا جدال قد اضطرع
حسه وشعوره مع يقينه على طول
الطريق .

ثم تبطئ أنباؤه عن التاريخ حتى
يظهر عند فاجعة مصرع أبيه العظيم
وقد ناله مجوسى بطعنات قاتلات
وإذا بعبد الله فى جوار الجريح
العادل الخالد يأمره بما يصنع به
وبقاتله وبالناس فيطيع وينفذ وهو
أرضى ما يكون نفسا بقضاء الله
وأهدأ ما يكون جنانا بقدر الله شره
كخيره بينما ثار أخوه عبيد الله بن
عمر وسار فى المدينة يقتل فى
الغرباب من الفرس والمجوس فقتل
الهمزان وجفنية وابنة صغيرة لأبى
لؤلؤة ولولا أن اجتمع عليه
المهاجرون والانصار لفتك بهم فتكا
ذريعا .

أما عبد الله فقد لازم أباه
يستحضر له الداوين والدواء ثم
يسأله سيدنا عمر عن الكتفة التى
كتب فيها اجتهاده فى توريث الجد
ليمحو ما كتب ويسارع اليه بها .
ثم إذا جاء موعد الشورى وقد
استخلص أمير المؤمنين ستة من
صحابه الرسول وهناك رواية
تروى عن رفض سيدنا عمر أن يجعل
بينهم عبد الله وهناك رواية تروى
أن عبد الله قد رفض الخلافة بعد
أبيه وكلا الروايتين تدلان على مقدار
عظمة عبد الله ونظرة المسلمين له
حتى يرغب بعضهم فى استخلافه
وحده أو كواحد من ستة ولكن
المقطوع به أن سيدنا عمر لكى يطمئن
على حسن سير الشورى بين الستة
الكبار الصالحين أمر أن يدخل معهم
عبد الله ولا يكون له فيها إلا حق الرأى

الناس فيه إلا الصدق وشجاعة الرأى
ولكنه أشهد على نفسه فنادى عبد
الله بن عمر وهو يصيح :
« تكلم يا عبد الله بن عمر »
وقام عبد الله الورع التقى وهو
مشفق من حال أبيه والاعرابى يسأله
عن النصفة والعدل يقول :

« لقد رأيت القميص الذى ناله أبى
قصيرا فأعطيته قميصى يسبل عليه » .
وصمت عبد الله لكى يتحدث
التاريخ فلا يسمع فى علو صوت
التاريخ قولة الاعرابى :
« الآن وجبت علينا طاعتك »

نعم لقد رأى الابن المطيع الشفوق
أباه أمير المؤمنين وقد وقع فى نصيبه
— دون انتقاء ولا اختيار — قميص
قصير يشمر عن ساقيه ولا يكاد يغطى
ركبتيه فلم يعجب من زهد أبيه وعدله
فانه قد ربى فى حجر الرسول أمين
العدل والزهد وسيد العادلين
الزاهدين ولكنه ارتجف اشفاقا من
حال أبيه وهو يرأس القوم ويقابل
رسل الملوك والباطرة فضحى من
أجله بثوبه .

وتغفو عين التاريخ عن عبد الله
ثم ترفع جفونها عنه وقد رأى
سيدنا عمر أن أمير مصر سيدنا عمرو
ابن العاص قد جاهله فى حق الله
فأصطنع الحد على ابنه عبد الرحمن
ابن عمر حين اعترف له بشرب الخمر
فسخط على سيدنا عمرو وبعبث
يستقدم ابنه على قتب أى مقيد على
راحلة ولم يأتين على تنفيذ أمره إلا
عبد الله بن عمر فأرسله برسالته
واستقدمه بأخيه وبقدر ما عانى أمير
المؤمنين من اشفاق على ابنه وهو
يقيم عليه الحد والناس يتصايحون
من حوله « أنك يا عمر تقيم عليه
حدين » وهو يصيح فيهم « ومن
يجيرنى من عقاب الله » قاسى عبد
الله وهو يعود — بأخيه من مصر
الى أرض الحجاز مقيدا موثوق

وليس له الترشيح .
وعندما تآقت نفس الراحل العظيم
إلى أن يدفن بجوار سيده وسيد خلق
الله وجوار صديقه وصديق النبي
وصديق المسلمين حتى تقوم الساعة
بعث بعبد الله إلى أم المؤمنين
السيدة عائشة وجاء بردها إلى أبيه
مبشرا .

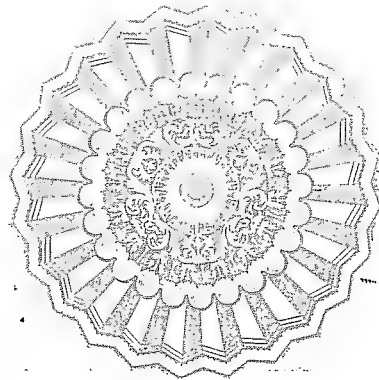
تحميلونه » .
وكان عبد الله يوسد رأس أبيه
فخذه فقال له سيدنا عمر « ضجع
خدي على الأرض ... ويلي وويل
أمي أن لم يغفر الله لي » .

. . . .

هذا هو عبد الله بن عمر واحد
من دوحة الخطاب التي شرفت بعمر
وبحفصة أم المؤمنين وعبد الله بن
عمر وزيد بن الخطاب وفاطمة بنت
الخطاب ثم سار عنصرها الطيب
فأخرج بعد حين خامس الخلفاء
الراشدين « عمر بن عبد العزيز » .

لقد اسدلت عظمة سيدنا عمر
سترا أن لم يكن كثيفا فهو ثقل على
آل الخطاب وانهم لسادة وقادة
ومصاييح هدى ... رضى الله عنهم
وأرضاهم ونفعنا ببركاتهم — آمين .

والقى إليه القول عندما أراد أمير
المؤمنين أن يستن للموتى فقال له
موصيا (اقصدوا في كفى فانه ان
يكن لى عند الله خير ابدلنى خيرا
منه وان كنت على غير ذلك سلبنى
فأسرع سلبى واقصدوا في حفرتى
ولا تخرجن معى امرأة ولا تزكونى
بما ليس فى فان الله هو أعلم بى
واذا خرجتم بى فاسرعوا فى المشى
فانه ان يكن لى عند الله خير قدمتمونى
الى ما هو خير لى وان كنت على غير
ذلك كنتم قد القيتم عن رقابكم شرا



من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة

(كان الإمام ابن تيمية سجيناً في مصر وقد
أرسل إلى والدته في الشام هذه الرسالة)

(من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة أقر الله عينها بنعمه ، وأسبغ
عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إيمائه وخدمه ، سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته — فإننا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل
شيء قدير . ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وإمام المتقين ، محمد عبده
ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة ، نشكر
الله عليها ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلها جاءت في نمو وازدياد ، وأياديه
جلت عن التعداد . وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد إنما هو لأمر
ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا . ولسنا والله مختارين للبعد
عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطلعتم
على باطن الأمور فأنكم — والله الحمد — ما تختارون الساعة إلا ذلك ، ولم نعزم
على المقام والاستيطان شهراً واحداً ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم ، وادعو لنا
بالخيرة . فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة في خير
وعافية .

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن
يخطر بالبال ولا يدور في الخيال ، ونحن في كل وقت مهمومون بالسفر ،
مستخبرون الله سبحانه وتعالى ، فلا يظن الظان أننا نؤثر على قريبكم شيئاً من
أمر الدنيا قط ، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قريبكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور
كبار نخاف للضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .
والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة ، فإن الله يعلم ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ،
وهو علام الغيوب . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم
استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله
وسخطه بما يقسم الله له) ، والتاجر يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله
فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه . وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة
إلا بالله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كثيراً ، وعلى سائر من البيت
من الكبار والصغار ، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحداً واحداً ، والحمد
لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مائة الفارسي

« والله العزة ورسوله وللمؤمنين »

(قرآن كريم)

(من اعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

رواه الطبراني

العمل سر الحياة

حكى أحد العلماء عن نفسه قال :
كنت مغرما في طفولتي بجمع شرائق
الفراش ومراقبة خروج الفراشة
منها في الربيع ، وكان جهادها في
التخلص من سجنها يثير عظمي
دائما ، واتي والدي بمقصر وأعلمه في
غلاف الحرير المطبق على الفراشة
وساعدها على الخلاص ، ولكنها ما
لبثت قليلا حتى ماتت ، عندئذ قال
ابي : يا بني الجهد الذي تبذله
الفراشة لتخرج من الشرقة يخرج
السم من جسمها ، وإذا لم يخرج هذا
السم ماتت الفراشة .
وكذلك الناس اذا جهدوا في
الحياة زادوا قوة وعزما .

فلسطين صبح

الشرق الأوسط خطا

حرص أعداء العرب ، على طمس
اسم فلسطين في كل ما ينشر ويذاع ،
ويكتب ويقرأ ، وهددتهم حيلتهم
الشيطنية ، الى تسمية هذه المشكلة
التعيسة باسم مشكلة الشرق الأوسط
فتجرعنا سمومهم ، برضا نفس ،
وطواعية فاخفى اسم فلسطين من
الخطب الرنانة والاذاعات التي
تصاحب الناس وتماسيهم في حين
بقيت جميع مشكلات العالم باسمها ،
فيتنام ، وحربها تسمى فيتنام ،
ومشكلة برلين تسمى باسمها ،
ومشكلة أرنلدا تسمى باسمها ، حتى
مشكلة أيسلندا والصراع على السمك
حملت اسم الدولة الصغيرة التي
تكافح من أجل رزقها ورزق أولادها .

وتشهد شاهد

وراء كل حجر شعبان يهودى .
تحت كل شجرة دودة يهودية .
وراء كل طريق عود كبريت يهودى
وراء كل مرض ميكروب يهودى
انهم المرض والدمار لكل البشرية .

الفيلسوف الالماني
تريتشكه

الأنبياء والرسل

فى القرآن الكريم

ذكر الله عز وجل فى كتابه
طائفة من الأنبياء ، ولم يذكر جميع
الأنبياء والمرسلين . قال تعالى :
« ورسلا قد قصصنا عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله
فى كتابه خمسة وعشرون نبيا : منهم
ثمانية عشر فى أربع آيات متتالية
من سورة الأنعام وهى قوله تعالى :
« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك
حكيم عليم . ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من
قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزي الحسنين . وزكريا ويحيى
وعيسى والياس كل من الصالحين .
واسماعيل واليسع ويونس ولوطا
وكلا فضلنا على العالمين » .

والسبعة الآخرون هم آدم وادريس
وهود وصالح وشعيب وذو الكفل
ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه
أجمعين .

حقوق المرأة

جاءت أسماء بنت يزيد الانصارية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بين أصحابه فقالت :

بأبى انت وأمى يا رسول الله . أنا
وافدة النساء اليك . ان الله عز وجل
بعثك الى الرجال والنساء كافة ،
فأما بك وبالك . أنا معشر النساء
محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ،
وحاملات أولادكم ، وانكم معشر
الرجال فضلتكم علينا بالجمع
والجماعات وعبادة المرضى وشهود
الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل
ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل
وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا
أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ،
وغلزنا لكم أثوابكم ، وربنا لكم أولادكم
أفنترككم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم
الى أصحابه بوجه كله ثم قال :

هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن
من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا : يا رسول الله .. ما ظننا
أن امرأة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم
اليها فقال لها :

افهمى أيتها المرأة ، وأعلمى من
خلفك من النساء ، أن حسن تبعل
المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ،
واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

قصة

كان أبو سفيان بن مالك بن جعشم
على ثقة من أنه في الطريق السدي
وصف له ، فهو يتلفت يمنة ويسرة ،
ويصعد بصره ويصويه ، ويرسله
بعيدا في ثنايا القبار ، والذي تقذف
به الصحراء من خلال الجبال
الذاهبة الى الاعالي في حركة شبه
لولبية ، وحينما ينحدر عن فرسه
الكبيت في رشاقة النمر ، لنعم
النظر في آثار المناسم التي طبعتها
الابل على صفحة الرمل .. كأنه
يستنطقها عن ضالة وقف نفسه على
نشذاتها ، ثم لا يلبث أن يقفز الى
قربوسه مستأنفا مسيرته اللقوب ..
ويغيب الفارس الاسمر أثناء تلك
في تصورات غير محدودة تشد بخياله
الى آفاق لا يرغب في فراقها ، ولا

للأستاذ

محمد الجنوب

الركب

يريد أن يياس من ملاقاتها على صعيد الواقع .. أنه ليردد على نفسه خبر الجائزة الكبرى التي أعلنتها قریش لكل من يرد عليها غريمها وصديقه حين أو ميتين .. مثنى ناقة .. أجل مثنى ناقة .. وانها لثروة تتجاوز نطاق الأحلام في هذه البادية التي تكاد تكون عارية ، إلا قليلا من طوائف النخيل منثورة هنا وهناك تخضر حينا وتيبس أحيانا ، والا تنقا موزعة خلال الأودية من أشجار الضال والسلم ، تتناوبا غرائب الأبل ، وهزالي المعزى ، تتغذى من أطرافها أو تستظل بها في حمارة القبط المحرق مع رعايتها من الصبيان والأصبيات ، على مشارف الأحياء العابرة ، أو القرى المستقرة .. وبألها ثروة لن تكلفه — إذا قدرت له — سوى السير من الجهد ، الذي هو أبدا على أتم الأهمية للقيام بأضعافه في الأغارات القبلية ، التي لا تخلو منها أيام الناس ولياليهم في هذه الصحراء الرهيبة .. وأنه ليتذكر ، وهو يطلق بصره الحاد في ثنايا المعجاج ، ويشد جانب خماره على نصف وجهه الأسفل ، ليقى فيه وأنفه دفقات الفبار .. يتذكر تلك اللحظة التي وافى بها نسييه الدلجى نادى قومه بكرة اليوم ،

ليقص عليهم خبر الركب الذي لحه في هذه البقعة من أرحاء (قديد) متوقعا أن يكونا هم الضالة التي تنسدها قریش .. ويعز على ابن مالك أن يشركه بهذه الغنيمة احد ، بعد أن قضى الأيام ، وهو يتنسم أخبارها ... فيومئذ لابن عمه بعينه أن اسكت ، ثم عقب على خبره بقوله : إنما هم بنو فلان يتبعون ضائعة لهم .. ثم لم يكد يطبئن إلى انصراف أذهان الحضور عن بغيته حتى نهض متتابعا ليمضى إلى سرائقه ، فيامر بسلاحه فيخرج له من مؤخر حجرته ، ثم يلبس عدة القتال ويأخذ سهامه التي يستنبئها عن الغيب ، فيستقسم بها يريد استطلاع خطه قبل الانطلاق .. ولكن الطالع لم يكن على ما يريد ، إذ خرج له السهم الذي لا يبشر بالنجاح .. وكان عليه أن يعدل عن خطه لو أطاع أعراف الناس ، ولكن الشره إلى النياق قد حفزه على خلافها ... ومن أجل ذلك يواصل سبيله مغذا المسير ، لا يلقى على شواغله القلبية التي لا تنفك تهبب به أن يعود .. وفجأة عثر الكميبت بفارسه الأسمر ، فلم يستطع التماسك فوقه ، فإذا هو ينزلق من على رقبته فيكاد

المبارك

صفوة قريش كلها .. فلم يغادر مكة فرارا من إيذائها؟؟ ان السنة الرواة لتجتمع على ان الرجل أعجوبة البشر في سمو الأخلاق ، وفي صدق المعاملة .. وفي التزام جانب البر .. فعلا كل هذا التكر له .. وفيهم يستبيح قومه العدوان عليه ؟. ويتذكر بدقة ما يقوله أولئك الرواة من البدو المترددين على مكة .. انهم يؤكدون فضائله ، ويلحون على التنويه بمناقبه التي لا يملك أعداؤه جحودا لها ، حتى ليسمونهم فيما بينهم الصادق والأمين .. وكل ذنبه أنه يدعوهم الى مثل فضائله ، فلا يعدو قوى على ضعيف ، ولا يطفى غنى على فقير . وانهم ليسمعون بعض هذا في مواعظ أولئك الحنفاء ، الذين هجروا تقاليد الجاهلية ، وراحوا يضربون في الأرض بحثا عن ملة ابراهيم ، فلا يناكرونهم ، ولا ينكرون لهم ، بل يصفون اليهم في آناة وتقدير .. فلم يخصون هذا القريشي وحده بالجفاء والعنف والمطاردة والايذاء ؟..

ويرجع الفكر في آخر ما تلقاه عن دعوة الرجل .. فيتذكر أنه يدعو الى دين من شأنه — لو استجيب له — أن يغير حياة قريش ، بل حياة الناس كلهم في هذه الجزيرة .. دين يسفه أحلامهم ، ويحطم أوثانهم ، ويهبط بصناديد قريش وذوائب مضر الى مستوى عبدانهم ، حتى لا يرتفع أحد على آخر الا بقدر التزامه لمعالم هذا الدين .. وليس هذا فحسب .. بل انه ليجتذب اليه الانصار من كل ضعيف ومظلوم وذى تطلع الى تغيير الواقع الجاهلي ، فينفاتون في حبه ، ويعرضون نحورهم لكل ألوان العذاب في طاعته .. حتى أن أحدهم — رجلا أو امرأة — ليتقبل الموت مبتسما ما دام ذلك مؤديا الى مرضاته ..

يكب على وجهه ، لولا دفعه الأرض بيديه .. وعاد الى قداحه يستوضحها السر ، فاذا السهم الزاجر نفسه يواجهه عينيه بما يكره .. ومع ذلك لم يجد لديه القدرة على استجابته ، وألقى نفسه عائدا الى صهوة فرسه هامزا إياه ، يريد منه مزيدا من السير يشغله عن أوامر السهم الزاجر .. بيد أنه سرعان ما عوجل بعثرة ثانية قذفت به الى الثرى بأشد من المرة السابقة . وراح يفالط نفسه ، ويحاول اقتاعها بكل تفسير يصرفها عن الواقع . وفي عفوية صرفة تمتد يده الى جراب القداح ، فيخرجها ثم يستخرج أحدها ، فاذا هو — هو ذلك النذير الكريه !. ويرد القدح الى مكانه ثم يعلو متن فرسه ويهمز جانبيه بعصبية ، فيندفع على وجهه مهتديا بظل الرمح المحتد بين أذنيه ، وهو يضرب الحصى بحوافره فتتطاير في كل اتجاه ، ويرسل الزفير من منخره الواسعين ، يحمل هدير جوفه كضوضاء القربة الكبيرة حين يضطرب بها ظهر البعير ..

ويستأنف الفارس الأسمر تصوراتاه دون ارادة منه .. ويكاد يذهل عما حوله .. وبفتة يرى نفسه غارقا في شأن الرجل الذي هو في طلبه .. ويسأل نفسه : أليست مغامرة جنونية أن أتبعهم وحدي ، وكان في وسعي أن أستعين ببضعة رجال من خاصة أهلي؟! حقا .. ان مثلي لا يبالي كثرة العدو ، ولكن .. هؤلاء الهاجرون وطنهم وأهليهم نجاة بانفسهم وحريرتهم ليسوا كأولئك الذين نلقاهم في غزواتنا الأخرى .. انهم أبعد من أن يستسلموا دون قتال تشييب من هوله نواصي الأطفال .. وتتفق ذاكرته عن روائع الأنباء التي تتناقلها البادية عن محمد وصحبه .. هذا القريشي المطارد .. ليس هو

يستطع احصاءهم أول الأمر ، ثم أتضح له أنهم أربعة رجال .. فلم يتردد في الحكم بأنهم مطلوبه الذى خرج له . وباقصى قوته تسلق متن الفرس ، وجعل يخزه ليضاعف من قدرة انطلاقه .. وما هى الا لحظات حتى كان على مرمى السهم من الركب ، وقد أمسك برمحه يهزه ليستوثق من صلاحيته ، وأعد نفسه لكل احتمال .. غير أنه سرعان ما وجد نفسه مطروحا على وجهه ، اذ ذهبت يدا فرسه فى الأرض ، ثم ما لبث أن انتزعهما بعد لآى ، فاذا الفارس يتصاعد وراءهما كأنه سحابة من الدخان يضربها الأعصار ...

ولبت أبو سفيان هنيهة ينفض وجهه ويديه وثيابه ، ويتلمس جسمه كأنه يفيى التيقن من سلامته .. ثم أطرق يفكر ..

لم يمد يده هذه المرة الى جراب الألام ، لأنه فرغ من الحاجة اليها ، وخمدت سورة المطامع فى صدره ، فلم يعد راغبا فى التطلع نحوها .. لقد رجع الى نفسه يتأمل ويتمتم : حتام تغالب يا سراقه القدر ! .. ألم يكن لك أن تدرك أن الرجل محفوظ .. وألا سبيل لبشر عليه ! ..

وفى استسلام عميق الى الواقع جعل ينادى : أنا سراقه بن جعشم . انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا باتيكم منى شئ نكرهونه .. ويقف الركب ، ويسمع سراقه صوت أحدهم يقول لرفيق له على الراحلة الأخرى ، دون أن يصرف نظره عن وجهته : قل له : وما تبغى منا ؟ ..

ولم تخطيء فراسة الفارس المدلجى ، اذ أدرك لفوره أنه أمام

أفيكون ذلك هو السبب المباشر لكل هذا العداء الرهيب ! .. وخيل للفارس الأسمر أنه قد وجد فى هذا التعليل ما تنسوغ به قريش مطاردتها لصاحبها ، وتصميمها على وقف دعوته ، ما دام هذا هو السبيل الوحيدة لاستبقاء سيادتهم على المجتمع المكي ، والحفاظ على مصالحهم التى تهددها دعوة محمد ! .. غير أنه لم يلبث أن هز رأسه بقوة ، كأنما يريد أن يطرد منه ذلك الضرب من التفكير الذى لم يزاو مثله من قبل .. وراح يهمس لنفسه : مالى وللتنقيب عن أسرار الناس .. وحسبى من الأمر هذه الثروة الكبيرة التى رصدتها قريش تمنا لفرمها .. انها متنا ناقة ... متنا ناقة ! .. وانها لتستحق منى القيام بأكثر من هذه المغامرة ..

ودق جانبى الفرس بمؤخر قدميه ، فراح يسبح فوق الرمل باقصى ما تمكن له طبيعة الأرض الهشة من الإسراع .. وفى الوقت نفسه تحرك عدد من الزوابع الترابية ، متجها الى الاعالى وهو يلهم الحصى والهشيم وفتات السلم ، ليقذفها بوجهه ووجه فرسه ...

وتتالى صفعات الزوابع على محيا الفارس شديدة مدوية دون أن يستطيع اتقاءها بغير هذا اللثام الذى أحاط به وجهه وغطى ببعضه احدى عينيه ، اللتين شحنتا بالأتربة .. ثم لم يلبث أن جمد بفرسه مضطرا ، وهبط عنه ليلوذ بجانبه ريثما تهدأ العواصف ...

وفرك مقلتيه مليا ، ثم أطلق بصره يتبين موضعه ، فاذا هو براحتين يرفعهما السراب فى أقصى الشعاب وقد علاهما عدد من الشخصوس لم

أن مأزج نفس فرسه فراح يتراقص
تحتة في نشاط يترجم عن مشاركة
عاطفية لا يعرف كيف يصفها :

أبا حكيم . والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى أذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه !
عليك بكف القوم عنه فأننى
أرى أمره يوما ستبدو معاله
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسأله

وتموج البادية بانبناء الأحداث
الحديدة ، التى فجرتها دعوة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وتتبع القبائل
أخبار الوقائع التى تكاد تغير وجه
الجزيرة وتغير معه حياتهم نفسها بين
يوم ويوم ! . .

لقد حققت هذه الدعوة من القوة
خلال سنوات ثمان ما لم يخطر فى بال
أحد من سكان هذه البادية . .
فانتصار فى بدر يستاصل سدنة
الوثنية فى مكة بل فى جزيرة العرب
كلها ، وصمود فى أخذ يحطم آمال
الخصوم فى صد السيل الدافق من
روافد هذا الدين الذى لا يقهر ،
وتضعف رهيب فى صفوف الأحزاب
من قريش وغطفان ، يقضى على كل
تفكير بغزو يثرب فى المستقبل ، بعد
الاخفاق الذى أصابهم يوم الخندق . .
وفوق ذلك تدمير لقوة يهود جميعا
لا فى المدينة وحدها فحسب ، بل
فى كل بقعة يحتلها هؤلاء الدخلاء فى
خير ووادى القرى وتيماء . .

وكانت نزوة الأحداث خضوع مكة
نفسها لسلطان محمد ، إذ انكسرت
بفتحها شوكة كل معارضة لدعوته
فى هذه الجزيرة . . .

الرجل الذى ملأ نبؤه العظيم أرجاء
هذه الجزيرة ، وانتشر فتاكها
ينفضون هذه البقاع بحثا عن آثاره . .
وشعر بقوة خفية لازمة تشده الى
صاحب ذلك الصوت ، الذى حرك
كل طاقة حية من عقله وقلبه ، ومد
بصره الى وجهه ، يريد أن يستشف
الأسرار التى بها استطاع أن يزلزل
كبرياء قريش ، فيدفعها الى التذرع
بكل الوسائل الممكنة للقضاء عليه ،
ولو وقف تأثيره العجيب على القلوب
. . وكان مهابة محمد قد كسرت بصره
فلم يطق مواجهتها ، ومضى يتكلم
وهو نصف مطرق : أن قومك قد
جعلوا فى كل منك ومن رفيقك مئة
ناقة لمن يردكما عليها . . وقد انبعثت
ذئاب البادية تنشد أثركما فى كل مكان
رغبة فى نوال السديتين . . ولكنى
أيقنت أن الله مavec وناصرك ، فلکم
على أن احفظ غيبيكم وأرد عنكم
الطلب . . وأن أزودكم بما يعوزكم فى
هذه الرحلة ، فاكذب لى كتابا يكون
آية بينى وبينك . . ومرنى بما شئت .
وسر رسول الله بما سمع من
سراقة فدعا له بخير ، ولم يرزاه
شيئا ، والتفت الى صديقه يقول :
اكتب له يا أبا بكر . .

وتناول الفارس المدلجى العظم
المكتوب بكلتا يديه ، وفى حرص كبير
دسه فى أعماق كنانته ، ثم عاد
أدراجه ليكيف الطلب عن الركب ، فلا
يلقى باغيا له الا رده قائلا : لقد
كفيتكم هذا الجانب ، فانشدوا غرضكم
فى سواه .

ويتذكر سراقة طاغوت مكة أبا الحكم
ابن هشام وهو يحرضه على ملاحقة
محمد . . ثم يتصوره وهو يتلقاه باللوم
على تهاونه فى شأنه بعد لقائه ، فلا
يتمالك أن يرد على لومه من وراء
الصحراء بذلك الحداء ، الذى ما لبث

وكان يدا خفية انتزعت من فراشه
ثم دفعته دفعا الى متاعه وفرسه ، ثم
مضت به تسوقه في رضى عميق نحو
الجهة التي يشير اليها قلبه ، الذى
كان يخفق بقوة تحت كنانته الأثيرة ..
وبعد أيام من السير الذى كاد أن
يتصل ، وأفي سراقه كتاب المصطفى
في صعيد (الجعرانة) وهي عائدة
بالنصر من معركة (حنين) ..

واستل الفارس المدلجى من
كنانته ذلك الكف الذى طالما حرص
عليه ، ورفع به يده ، ثم مضى يشق
سبيله خلال كثيفة من خيل الانصار .
ويتلقى سراقه قوارع الرماح
من هنا وهنا ، وينهال عليه الزجر
والسؤال : اليك .. اليك .. ماذا
تريد ؟! ولكنه يصبر نفسه ، ويواصل
خطاه حتى يقابل نبي الله وهو يقول :
يا رسول الله .. أنا سراقه بن جعشم
.. وهذا كتابك لى ...

ويقبل نبي الله بوجهه على سراقه ،
لا يصرفه عنه شيء من مشاغل ذلك
الموقف ، وفي نبرة آسرة يقول له :
يوم وفاء وبر .. أدنه .

وكان ذلك كافيا ليفسح له الطريق ،
فمضى حتى اذا كان بين يديه ، ضم
بكفيه راحته وأعلن اسلامه وبيعته ..

ونارت في صدر الفارس المدلجى
شئون لا يستطيع حصرها ، ويود لو
يسأل بها كلها رسول الله ، لتطول
وقفته معه ، ولينزود منه بما ينفعه
وينفع به .. الا انه لم يجد قدرة على
ترجمتها ، فقد ارتج عليه فما يدري
بماذا يتكلم ... حتى ثاب اليه بعض
مراده فقال : يا رسول الله الضالة من
الإبل تفتش حياضى ، وقد مالتها
لأبلى ، هل لى من أجر فى أن
أسقيها ؟ .. وجاءه الجواب الحكيم

ولقد كانت القبائل ، حتى قبيل فتح
مكة ، تتردد متتبعة حركة الصراع
بينها وبين المدينة ، أما الآن ، وقد
أعلنت قريش كلها اسلامها وبيعته
لهذا الصادق الأمين ، فلم يبق أمام
هذه القبائل سوى الدخول فى
ما دخلت فيه قريش ، أو القيام يدا
واحدة للدفاع عن بقية الوثنية التى
لا تربطهم بها وشيجة سوى تقليد
الآباء ، الذين أورثوهم تقديس هذه
الحجارة ، دون أن يسمحوا لأنفسهم
بالتفكير فى قيمتها ..

ولا جرم أن اتفاق القبائل فى
ما بينها على حماية الوثنية أحد
المحالات التى لا سبيل الى تصورها
فضلا عن تحقيقها .. فلم يبق الا
الطريق الأول .. وهو الذى قد شرع
فى سلوكه الكثير من وفود القبائل ..
واذا كان ذلك هو الاتجاه السليم
بالنسبة الى كل أولئك المتربسين فى
هذه البادية ، فهو بالنسبة الى سراقه
ابن جعشم أكثر سلامة وأحكم خطة
... لأنه قد أتبع له أن يرى ويلمس
من براهين الله فى ذلك الداعى الأمين
ما لم يقبض لغيره .. ومع ذلك فقد
انتظر أكثر مما يجب أن ينتظر ، وتحقق
من الأحداث خلال هذا الانتظار أكثر
مما كان يتوقع .. فالأم هذا التردد
.. والى متى يمتد هذا الانتظار ؟ ..

ويرف الشعور القديم فى قلب
سراقه .. فتعاوده أطراف اللحظات
السعيدة ، التى عاشها ساعة واجه
الركب المبارك فى أطراف (قديد)
وينذكر ما لم يكن قد نسيه قط من
روعة ذلك الموقف ، وكأنه يلح من
جديد تلك الطلعة المشرقة ويسبح كرة
أخرى فى جو تلك المهابة التى لا يثبت
أمامها القلب ولا البصر ...

في ظل الاسلام حرماً كبيراً ، لا تخاف
المرأة السالكة فيه الا الله والذنب على
غنمها .. بعد أن كانت مظنة الضياع
والهلاك ، لا يطمع فيها ضعيف بآمن،
ولا يآمن فيها سار أو سائر إلا أن
يكون له مجير من جباريها ..

وخرج أمير المؤمنين الفاروق
لاستقبال ذلك الوفد ، وحوله بقية
الصحابة الذين استبقاهم لمعونته في
عاصمة الاسلام ..

وعلى مشهد من الحشود ، التي
تجمعت لتسقط أخبار المجاهدين أخذ
أمير المؤمنين في عرض هاتيك التحف
التي حملها الوفد .. ولما نظر الى
نفائس كسرى الخاصة دعا بسراقة ،
وألبسها السوارين اللذين بشره بهما
رسول الله ، ثم قال له : ارفع يديك
— حتى يراهما الناس — وقل : الحمد
لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز ،
وألبسهما سراقة الأعرابي .

ورفع سراقة يديه ، وجعل
يحركهما ليكشف شعرهما الكثيف عن
السوارين ، وهو يردد في لهجة
تفيض بالفرح والخشوع والايان :
(الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن
هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابي) ..

وترتفع أصوات المؤمنين من حوله :
(الحمد لله .. الحمد لله ...) .

يهز نياط قلبه : نعم . في كل ذات كبد
حرى أجر ! .. وقبل أن يودع نبى
الله ليعود الى أهله ، فيطبق هناك
ما رأى وما سمع هنا من حقائق
الاسلام ، سمع رسول الله يقول له :
كيف بك — يا سراقة — اذا لبست
سوارى كسرى ؟ .. ولم يدر سراقة
بأى شيء يجيب على هذا النبا
العجيب .. ولو هو سمع هذه الكلمة
من غير رسول الله لما كان لها عنده
من جواب سوى السيف ، لأنها اذا
ذاك لا تعدو أن تكون سخرية منه
وهزواً .. بيد أنها من الرسول صلى
الله عليه وسلم نبأ من الغيب
لا مندوحة من تحقيقه على وجه من
الوجوه .. ولكن .. كيف .. وأين
... ومتى ؟! ..

وانطلق سراقة باتجاه أهله ، وقد
تبدلت مشاعره ، وشققت روحه ،
وخف جسده حتى ليخيل اليه أنه على
وشك أن يطير عن ظهر فرسه . ولم
يستطع أن يفصل ذهنه عن آخر
كلمات الرسول ، فهو يقلب كفيه
ويردد على نفسه في مثل الذهول :
سوارى كسرى .. ومن أين لمثل
سراقة بن مالك بن جعشم بسوارى
كسرى !! ..

x x x

وسرعان ما استحالت أرض العرب





مكتبة المحلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

حياة يوسف

منهج جديد فى معالجة قصة سيدنا يوسف عليه السلام كما وردت فى القرآن الكريم . تلك القصة الوحيدة التى قصها الله تعالى فى سورة وحيدة من أولها الى آخرها وسلك فى سردها التسلسل التاريخى فكانت أعجوبة وأعجازا فى التفصيل والجمال ، ومن أجل أن الله تعالى تولى تسجيلها كاملة . فى سورة كاملة من كتابه الكريم ، ومن أجل الحفاظ على اشاعات أنوارها كما رتبها تبارك وتعالى سلك المؤلف الاستاذ محمود شلبى مسلكا جديدا فقدم للناس (حياة يوسف) كما قدمها كتاب الله تعالى مع الآيات تبينا وتفسيرا فى أسلوب جميل والفاظ سلسلة جميلة وعبارات منسقة .
والكتاب يقع فى (٢٣٢) صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة — شارع الصناديقية — بميدان الأزهر بمصر .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

من اعظم الموسوعات فى علم الحديث كما أنه مرجع من ادق المراجع لعلماء السنة ومنهل لكل مسلم يريد أن يرتوى من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ويقف على أحكام دينه من أقوال نبى المسلمين وأفعاله .
قضى مؤلف هذا الكتاب الاستاذ أحمد عبد الرحمن البنا زمنا فى اعداده وابداعه وتبويبه على أبواب الفقه وشرحه وخرج أحاديثه واستنبط الأحكام الشرعية منها وقد أسماه (الفتح الربانى) فى ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه (بلوغ الامانى) .
وكل جزء من أجزائه الاثنى والعشرين يقع فى قرابة ٤٠٠ صفحة ومن نشر دار الحديث ه عطفة الرسام بالغورية بالقاهرة .

الفتاوى

حكم المصاب بسلس البول

السؤال :

شخص يكثر خروج البول منه ، وخاصة في فصل الشتاء بغير إرادته ، فهل ينتقض وضوءه بذلك ؟ وهل يجب عليه تطهير ثوبه كلما أصابه البول في هذه الحالة ؟

الجواب :

خروج البول ولو قطرة واحدة ناقض للوضوء لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » غير أنه إذا دام خروجه واسترسل ولم يستطع منعه « وهو المعروف باسم سلس البول » كان ذلك عذرا يبيح الترخص بقدره ، والضرورات تبيح المحظورات ، والمشقة تجلب التيسير .

وحكم من ابتلى بهذا العذر ونحوه كاستطلاق بطن ، أو انفلات ريح ، أو رعاف دائم ، أو جرح لا يرقأ — حكم المستحاضة (وهي ذات دم نقص عن أقل مدة الحيض أو زاد على أكثره أو زاد على أكثر مدة النفاس ، أو زاد على عاداتها في أقل مدة الحيض والنفاس ، وتجاوز أكثرهما ، أو حبلى أو آيسة) . وقد نص الحنفية على أنها تتوضأ لوقت كل فرض ، لا لكل فرض ولا لكل نفل ، وتصلى به ما شاعت من الفرائض والنوافل في الوقت . ويبطل وضوءها بخروجه عند أبي حنيفة ومحمد . ويجب أن تستأنف الوضوء للوقت الآخر ، وكذلك من به سلس البول ونحوه .

ويشترط لثبوت العذر ابتداء أن يستوعب وقتا كاملا من أوقات الصلاة بحيث لا ينقطع زمان يسع الوضوء والصلاة ، والانقطاع اليسير في حكم العدم ، وشرط بقائه ودوامه بعد ذلك أن يوجد ولو مرة واحدة في كل وقت كامل من أوقات الصلاة ، ولا يعد منقطعا إلا إذا زال وقتا كاملا .

وأما الثوب الذي تصيبه نجاسة العذر فقليل لا يجب غسله ، لأن قليل النجاسة يعفى عنه ، وقدر في النجاسة المائعة بقدر مقعر الكف فالحق به الكثير للضرورة ، ولأن العذر غير ناقض للوضوء فلم يكن نجسا حكما ، وقيل يجب غسل الزائد عن القدر المعفو عنه إذا أفاد الغسل بأن كان لا يصيبه مرة بعد أخرى . وإلا لا يجب ما دام العذر قائما . واختاره مشايخ الحنفية وصححه في البدائع . وقال ابن قدامة الحنبلي في شرحه الكبير على المغنى : « إن المستحاضة تغسل فرجها وتعصبه وتتوضأ لوقت كل صلاة ، وتصلى ما شاعت من الصلوات ، وكذلك من به سلس البول ، والمذى ، والريح ، والجرح الذي لا يرقأ دمه ، والرعاف الدائم ، ويجوز لهؤلاء الجمع بين الصلاتين ، وقضاء الفوائت والتنفل إلى خروج الوقت . وتتقيد الطهارة بالوقت إذ هي طهارة ضرورة ، فإذا توضأ قبل الوقت وخرج منه شيء من الحدث بطل وضوءه ، وإذا توضأ بعد دخول الوقت

صح وارتفع الحدث ولم يؤثر في الوضوء ما يتجدد من الحدث الذي لا يمكن التحرز منه ، وإذا خرج الوقت بطل الوضوء » ١ هـ ملخصاً .

وذهب الشافعية كما في المجموع وشرح المنهاج إلى أن المدار في ثبوت العذر على الاستمرار والدوام غالباً ، ويجب في الاستحاضة وما الحق بكما غسل النجاسة ، وشد المحل بنحو عصابة عقب الفسل . والوضوء لكل فريضة عقب الشد في وقت الصلاة لا قبله لأنها طهارة ضرورة فتتقيد به كالتيهم ، والمبادرة بالصلاة عقب الوضوء ، إلا لمصلحة تتعلق بالصلاة كانتظار الجماعة ، ويصلى به الفريضة والنوافل القبلية والبعدية ، ولا يصلى به فريضة أخرى حتى يتوضأ لها . ولا يبطل الوضوء والصلاة بتجدد الحدث أثناءهما . ١ هـ بتلخيص .

وفي مذهب المالكية « كما في شرح متن الخليل » طريقتان : إحداهما أن العذر لا ينقض الوضوء مطلقاً ولا تبطل به الصلاة ، غير أنه يستحب لمن ابتلى به أن يتوضأ لكل صلاة إلا أن يؤذيه البرد .

والأخرى : وهي التي شهرها ابن رشد أنه لا ينقض الوضوء ولا تبطل الصلاة إذا لازم نصف وقت الصلاة على الأقل ، إلا أنه يستحب الوضوء إذا لازم نصف الوقت أو أكثره لا إن لازم كل الوقت . وينتقض الوضوء إذا لازم أقل من نصف الوقت فيتوضأ لكل صلاة ، ١ هـ .

وذهب الظاهرية وابن حزم (كما في المحلى) إلى أن من غلب عليه خروج البول « وهو من به سلس البول » ويسميه ابن حزم « المستنكح » بمعنى من غلب عليه ، يجب عليه بعد غسل الموضع حسب الطاقة بدون حرج ومشقة ، الوضوء لكل صلاة فرضاً أو نافلة ، فيتوضأ للفريضة ، ويتوضأ وضوء آخر للنافلة ، ثم لا شيء عليه فيها خرج منه بعد ذلك في الصلاة أو فيما بين الوضوء والصلاة ، ولا بد أن يكون الوضوء أقرب ما يمكن من الصلاة . ١ هـ ملخصاً .

وجملة القول أن جمهور الفقهاء قاسوا أرباب الأعذار على المستحاضة لورود النص فيها ، فالحنفية والحنابلة ذهبوا إلى أنها مأمورة بالوضوء لوقت كل صلاة . والشافعية ذهبوا إلى أنها مأمورة بالوضوء لكل فريضة ، والمالكية لم يوجبوا عليها الوضوء مطلقاً في الطريقتين ، فذهبوا في أرباب الأعذار إلى ما بيناه بطريق القياس .

ويعلم من هذا أن مجرد خروج البول بكثرة كما في السؤال لا يعد عذراً مبيحاً للترخص المذكور ، وإنما يكون كذلك إذا دام واستمر على النحو الذي بيناه في المذاهب ، ولعل الأرفق بأرباب الأعذار مذهب الحنفية والحنابلة ، وللعمى أن يقلده ولو كان من مقلدة المذاهب الأخرى ، والله أعلم .

الوفاء بالحج المنذور

السؤال :

نذر إنسان لله تعالى أن يحج إلى بيته الحرام إن شفاه الله من مرضه ، وكان قد أدى فريضة الحج قبل ذلك . فشفاه الله وتيسرت له أسباب الحج من جهة المال ، فعزم على الوفاء بالنذر في هذا العام ، غير أن الأطباء قرروا أنه وهو

فى الحادية والسبعين من عمره ، لا يمكن أن يتحمل حرارة الجو بالأقطار الحجازية فى هذا العام ، فماذا يصنع للوفاء بهذا النذر ؟ وهل يكفى التصديق بالمال الذى أعده للحج ؟

الإجابة :

مذهب الحنفية أن من نذر طاعة لله تعالى كالحج مثلا ، وجب عليه الوفاء بهذه القرية التى التزمها فى الحال ، إن كان النذر مطلقا مثل « لله على حجة » أو عند تحقق الشرط إن كان النذر معلقا مثل : « إن شفى الله تعالى الله فعلى لله حجة » لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وقوله : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » . والنذر نوع عهد من الناذر مع الله عز وجل فيلزمه الوفاء بعهده ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » . . ولا تجزئ عنه الكفارة سواء أكان الشرط المعلق عليه مما يقصد الناذر حصوله كالمثال المذكور أولا ، نحو « إن دخلت هذه الدار فله على حجة » .

وقال فى (البدائع) — ثم الوفاء بالندور به نفسه حقيقة إنما يجب عند الإمكان ، فأما عند التعذر فإنما يجب الوفاء به تقديرا بخلفه ، لأن الخلف يقوم مقام الأصل كائنه هو ، كالتراب حال عدم الماء ، وكالأشهر حال عدم الأقراء (جمع قرء وهو الحيض) حتى لو نذر الشيخ الفانى الصوم يصح نذره وتلزمه الفدية ، لأنه عاجز عن الوفاء بالصوم حقيقة فيلزمه الوفاء به تقديرا بخلفه ، ويصير كأن صام . أ هـ .

والفدية خلف عن الصوم عند العجز عنه بالنص . فإذا نذر إنسان الحج وجب عليه الوفاء به فى الحال إن كان النذر مطلقا ، وعند تحقق الشرط إن كان مطلقا ، وكل ذلك عند الإمكان . فإذا عجز عن ذلك لعذر كالمرض مثلا ، تقبل النيابة عنه فى الحج ويسقط عنه الفرض بحجة النائب إذا كان العذر لا يرجى زواله ، كالعمى ، والزمانة ، والكبر الذى لا يستمسك معه الإنسان على الراحلة ، ولا إعادة عليه مطلقا ، سواء استمر به ذلك العذر أم لا . وأما إذا كان العذر مما يرجى زواله فيشترط لجواز النيابة عنه فى الحج دوام العجز الى الموت حتى يستوعب العجز بقية العمر ، ويقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، وينبني على ذلك أنه إذا زال العذر وجب عليه أداء الحج بنفسه ، ولم تعتبر حجة النائب عنه ، وإذا لم يزل العذر حتى مات ظهر أن حج الغير عنه وقع صحيحا مجزيا ، وخرج به عن عهدة النذر .

ولجواز حج الغير عن العاجز شروط مذكورة فى بابيه : منها أن يكون للعاجز عن الحج ببذنه مال ينفق منه على النائب عنه فى الحج ، فإذا لم يكن له مال لم يجب عليه الحج بنفسه ، فلا يقبل منه أن ينيب عنه غيره فيما لم يجب عليه ، وقد نصوا على أن العذر يجب أن يكون قائما قبل إنبابة الغير عنه . وعلى أن تكون نفقة النائب على الأمر بالحج من مصاريف السفر ذهابا وإيابا وإقامة الى آخر ما ذكر من الشروط .

أما التصديق بالمال ممن عجز عن الحج بنفسه فلم يشرع خلفا للحجة المفروضة أو المنذورة ، فلا يخرج به عن عهدة الفرض أو النذر ، ولا تسقط به عنه هذه الحجة .

وظاهر أن الشيخوخة وحرارة الجو مجتمعين لا تعدان عذرا مانعا من الوفاء بالحجة المنذورة بالنفس ، إلا إذا غلب على الظن بمعونة رأى الأطباء المسلمين الحاذقين ، أو التجربة الصادقة ، حدوث ضرر معه من أداء الحج بالنفس ، كما نصوا عليه فى باب الصوم . والله أعلم .

بربر : الوعى الاسلامى

اعداد : عبد الحميد رياض

الايمان بالغيب

ما هو الايمان بالغيب وهل صعود الانسان الى القمر يعتبر معرفة للغيب بالنسبة للانسان ؟ .

محمد مطلق الحساوى — السعودية

الايمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً هو الايمان بالله فذات الله بالنسبة للانسان غيب ، والمؤمنون بالله يؤمنون بغيب يجدون آثار فعله ولا يدركون ذاته ولا كيفيات أفعاله .

والايمان بالآخرة ايمان بغيب فقيام الساعة من الامور الغيبية والمحجوب معرفة ما يكون فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب ، والمؤمن يعتقد بحتمية وقوعها تصديقاً لأخبار الله بذلك .

والايمان بوجود الملائكة وهم أجسام نورانية تنفذ أوامر الله بالنسبة للكون وبأنبياءه من مخلوقات ، وهى كذلك غيب لا يعرف عنها الانسان شيئاً الا ما أخبر الله به عن صفاتهم بالقدر الذى يتحملة عقله وطاقته ، فهم خلق الله الذين يدينون له بالعبودية والطاعة المطلقة ، وهم يحملون عرش الرحمن ويجفون به « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » وهم خزنة الجنة والنار وقد بلغوا الوحي الى رسل الله ، ويرسلون لتأييد الحق فى الارض مقاتلين فى صفوف المؤمنين « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا » وهذه الوظائف الخاصة بالملائكة والتى يكلفهم الله بها انما هى من الامور الغيبية التى يجب الايمان بها ولا تدرك بالحس .

والايمان بالقدر خيره وشره فهو غيب كذلك حتى يقع للانسان كما جاء فى الحديث النبوى الشريف « ... وان تؤمن بالقدر خيره وشره » ومتى آمن الانسان بالغيب فانه يصون فكره المحدود عن التمزق والانشغال بما لم يخلق له وما لم يوهب القدرة للاحاطة به وعندها يعلم أن المحدود لا يدرك المطلق ، وعلى هذا يكون الايمان بالغيب هو تلقي العلم بشأنه عن الله .

والايمان بالغيب هو الصفة الاولى من صفات المتقين يقول الله تبارك وتعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والغيب يحيط بالانسان من كل جانب وليس معنى صعود الانسان للقمر يعد من معرفة الغيب وانما هو معرفة بآيات الله ضمن القدر الذى يسمح به الله

للإنسان اذ يقول سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بريك انه على كل شىء شهيد » .

فقد صدق الله وعده فكشف للإنسان عن بعض آياته فى الآفاق المغيبة عنه حتى يعرف أن الارض التى يعيش عليها ما هى الا ذرة صغيرة تابعة للمجموعة الشمسية والشمس كذلك يقابلها مجموعة ضخمة على شاكلتها أو تختلف فى هذا الكون الفسيح وما هو الا اهتداء لمعرفة ما فى الكون من عجائب فى حدود المسموح به من الخالق المبدع المفهوم من الآية السكرية السابقة ولا يعد ذلك معرفة للغيب بقدر ما هو اثبات وحجة على من عرف عظمة من خلق هذه النواميس ولم يؤمن به والمولى سبحانه وتعالى يقول : « حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بريك انه على كل شىء شهيد » .

السنة النبوية محفوظة ومخدومة

نشرت احدى الصحف : أن دراسة صحيح البخارى متنا وسندا كاد أن ينقرض ، وقد عقب على هذا الخبر فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للأشرف الدينى على المسجد الحرام بقوله :

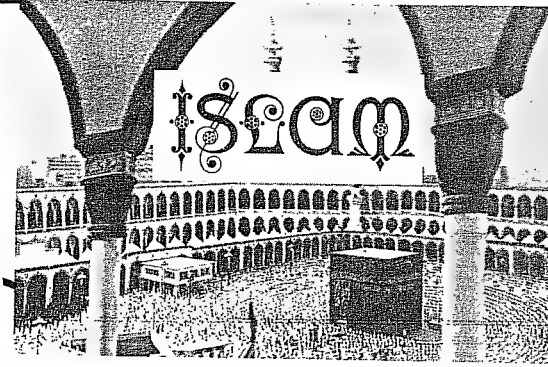
ان مثل هذا الاعلان اجحاف وتجن على علماء المسلمين عامة والمسجد الحرام خاصة سيما وهو يضم بين جوانحه نخبة كبيرة من علماء المسلمين يدرسون الحديث بجميع أقسامه ومتونه على مختلف كتبه الصحاح والسنن والمسانيد ، وأن الذين يدرسون صحيح البخارى فى الوقت الراهن بالمسجد الحرام تسعة من أفاضل العلماء . . فالمسجد الحرام بخير والحديث منتشر فيه بحمد الله ، وأما بالنسبة للعالم الاسلامى والعربى فلا يخفى ما يوجد فيه من جهابذة الرجال وأكابر العلماء الذين يدرسون الحديث ويخدمونه تأليفا ونشرا كباكستان والهند ومصر وسوريا والمغرب والجزائر ، وغيرها من البلدان الاسلامية ، فالسنة النبوية محفوظة ومخدومة ولا زالت بخير والحمد لله .

أرتيريا

خطأ وقع على العدد (١٠٧) فى صفحة ١٠٥ من مجلة الوعى الاسلامى وذلك فى خريطة الدول الامريقية أو خارطة افريقيا ، التى ضمت فيها أرتيريا مع الحبشة دون أى حدود فاصلة ، هذا مع العلم أن قضية الشعب الارتيرى وثورته الشائرة من أجل احقاق الحق وازهاق الباطل لم تعد خفية على أحد .

وان أرتيريا كما هو معروف لديكم لم ترتبط بالسكان الحبشى الا بعد الاتحاد الفدرالى المزيّف الذى توج بمباركة الامبريالية العالمية ضد رغبة الشعب الارتيرى ، ولا أود الاسهاب على قضية هذا الشعب البرى لأنها لم تتعد حدود ١+١=٢ ورجائى الوحيد ونحن بصدد الوعى الاسلامى هو أن لا يخيب ظنى وأن ينشر هذا التنبيه .

أحمد حسن



An Independent Journal Expressing the Islamic Point of View

EDITORS

Dr. Muhammad 'Abdul-Rauf, Washington, D.C.
Dr. Rashid Khalifa, St. Louis, Missouri
Dr. Hâmid Algar, Berkeley, California
S. Shâhid Mufassir, Palmer Park, Maryland
Dr. Mujâhid Al-Shawâf, Mecca, Saudi Arabia
Dr. Ahmad H. Sage, Lombard, Illinois

PUBLISHED QUARTERLY by
Islamic Productions International, Inc.

COPYRIGHT 1971 BY ISLAMIC PRODUCTIONS INTERNATIONAL, INC.
PRINTED IN THE UNITED STATES OF AMERICA

أول مجلة إسلامية على المستوى الجامعى فى أمريكا

يسعدنا احاطتكم علما بصدور أول مجلة اسلامية على المستوى الجامعى فى امريكا ومرفق مع هذه الرسالة غلاف المجلة التى سيصدر عددها الأول باذن الله فى ربيع الأول القادم (مارس ٧٤) وايضا جميع المعلومات المتعلقة بهذه المجلة التى تحتاجها امريكا اشد الحاجة ..

وانا اكتب اليكم راجيا التعاون معنا فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين .. فنحن نرى أن ٦ مليون يهودى قد امتلكوا امريكا .. وليس هناك سبيل الى نصرنا وهزيمة اسرائيل سوى نشر الاسلام بين المواطنين الامريكيين ..

١ - فنرجو ارسال مجلتكم الغراء (الوعى الاسلامى) الى العنوان الموضح اعلاه .. وكذلك منشوراتكم الاسلامية ..

٢ - نرجو ارسال اذن منكم بترجمة بعض المقالات المختارة من مجلة (الوعى الاسلامى) ..

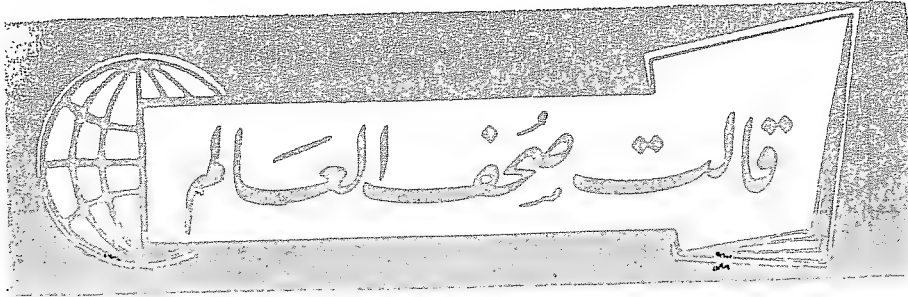
٣ - يا حبذا لو نشرتم عنوان كل كاتب يكتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) حتى يستطيع القراء أن يرسلوه مباشرة ..

٤ - نأمل أن يصلنا منكم قائمة بأسماء كبار الكتاب فى مجلة (الوعى الاسلامى) وعناوينهم حتى نستطيع أن نكتب لهم ..

٥ - هل يمكنكم مساعدتنا ماليا .. ؟ وما هى السبيل الى الحصول على معونتكم .. ؟ اذ اننى لست بحاجة لأن اشرح لكم العقبات التى توضع فى سبيلنا .. وموجة التضاد اليهودية لعرقلة مساعينا ..

وفقنا الله واياكم لخدمة الاسلام والمسلمين . والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور رشاد خليفة
رئيس التحرير



هذا المصحف .. (مزور)

استطاعت اسرائيل أخيرا أن تسرب الى بعض الدول العربية مجموعة من المصاحف المزورة .. وفرت لها من حيث المظهر والشكل الخارجى كل الوسائل التى تبعدها عن مجال الشبهة .. نسبت طباعة المصحف الى وزارة التربية والتعليم الاردنية ، واتضح ان الوزارة لا علم لها به .. !
.. وذكرت اسم مكتبة فى عمان قالت إنها تعهدت بطبعه ، وتبين الا وجود أصلا لهذه المكتبة لا فى عمان ولا فى غيرها .. ثم - لمزيد من الاغراء - أصدرته فى طبعة فاخرة تغرى على الشراء .. ! وهذه هى القصة كاملة :
.. بالصدفة وحدها وقعت فى يد الشيخ عبد الرشيد صقر إمام مسجد الزمالك نسخة من هذا المصحف فى أثناء وجوده فى (دبی) مبعوثا من وزارة الاوقاف ولقد اكتشف المبعوث المصرى على الفور أن المصحف خال تماما من خمس سور كاملة هى : (النساء) و (الاعراف) و (المائدة) و (الانعام) و (الانفال) وان صفحات عدة غير موجودة فى مواضع كثيرة من المصحف .

الأردن تنفى :

وعلى الفور - والكلام هنا لإمام مسجد الزمالك - « اتصلت بوزير العمل والشئون الاجتماعية لدولة الاتحاد والمشرّف على الشسئون الدينية فيها ، وأطلعته على النسخة ، فقام من جانبه باتصال سريع بالشيخ عبد الحميد السايح كبير علماء الاردن ، لمعرفة حقيقة هذا المصحف ، وكيف صدر فى الاردن بهذه الطريقة ثم كيف خرج منها الى البلاد الاسلامية .. وجاءت الاجابة بعد البحث الدقيق تقول أن ليس فى الاردن أى نسخ مشابهة لهذا المصحف ، فضلا عن عدم صدوره أصلا فى الاردن .. فوزارة التربية والتعليم الاردنية لم تطبعه ، ولا وجود اطلاقا للمكتبة التى أشير اليها » .

وأبلغ الأمر لأمير دولة الاتحاد فأصدر قراره بجمع كل النسخ وإحراقها فورا .. ثم ارسال مذكرة عن طريق مبعوث وزارة الاوقاف المصرية الى كل من الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر لمخاطبة الدول الاسلامية بشأن هذا المصحف .

لماذا اسرائيل .. ؟

وقبل توجيه الاتهام مباشرة الى اسرائيل ، تم التأكد من :
● أولا : عدم وجود الآيات التى تدين اليهود صراحة مثل قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » وقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .

● ثانياً : تسرب هذا المصحف الى دولة الامارات عن غير الطريق الشرعى لدخول المطبوعات ، وعدم بيعه داخل المكتبات بالطريق العلنى .
وإذا أضفنا الى هذا :

— تجارب اسرائيل السابقة فى تسريب العديد من المصاحف المزورة الى الدول الافريقية ، والدول الاسلامية .
— التأكد من أن كل البيانات التى ذكرت على الصفحة الاولى من المصحف غير صحيحة ..

يصبح من البديهي أن أحدا غير اسرائيل لا يمكن أن يقدم على هذا العمل الذى يشكك على المدى الطويل — فى كتاب مقدس عندما يجد بعض الناس بين أيديهم مصاحف تضم ١٠٩ سورة فقط ، ومصاحف أخرى تضم ١١٤ سورة .
ولتقادى هذا المخطط الصهيونى نحو تزوير كتاب الله ، تبرز الدعوة مرة أخرى — وربما بصورة ملحة هذه المرة — بضرورة توحيد جهة طبع وإصدار المصحف الشريف على مستوى العالم الاسلامى كله ، والاتفاق على علامة مميزة يصعب تزويرها — تنصدر — على الأقل الصفحة الاولى من المصاحف .
(عن جريدة الاهرام القاهرية)

يجب تعديل مناهج الدراسة بكلية الحقوق فوراً دعوة من شيخ الأزهر وعمداء كلية الحقوق ورجال القانون

فى رمضان الاسبق ١٣٩٢ هـ دعى الدكتور عبد الحليم محمود — وكان وقتئذ وزير الاوقاف — الى طنطا لالقاء محاضرة فى نقابة المحامين بالغربية وكان مما قاله فضيلته أنه دعى مرة الى إلقاءه محاضرة فى كلية حقوق جامعة عين شمس ، فسأل عميد الكلية وأساتذتها ما نصيب الشريعة الاسلامية من المحاضرات التى تلقى على الطلبة كل أسبوع ، وما نسبتها الى محاضرات باقى المواد . فكانت الاجابة أن محاضرات الشريعة لا تتجاوز محاضرتين أو ثلاثا كل أسبوع ، بينما باقى المواد نحو خمس عشرة أو ثمانى عشرة محاضرة .
وقال فضيلته يومئذ : ان العكس هو الواجب ، يجب أن تكون محاضرات الشريعة الاسلامية خمسة عشر أو ثمانية عشر ، بينما تقتصر محاضرات باقى المواد على محاضرتين أو ثلاث محاضرات ..

وهذا الذى قاله فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، لا يليق بنا أن نمر به مروراً عابراً ، بل يجب أن ندرسه ، ونضعه موضع الاعتبار والتطبيق .
وهو نداء رددته من قبل الكثيرون من الصادقين ، ولا يزال يردده الكثيرون من الدعاة المخلصين .

قال الدكتور جهال العطيفى فى مقاله الذى نشرته (الاهرام) فى ٤ أكتوبر ١٩٧٣ « ان ما نحتاج اليه قبل كل شيء آخر هو خلق جيل من رجال القانون ، يجمع الى جانب الثقافة القانونية الوضعية ثقافة شرعية واسعة .
وان هذا يلقي علينا واجبا آخر نحو اعادة النظر فى برامج الدراسات فى كليات الحقوق ، وهو موضوع سبق أن أثير على نطاق واسع فى ندوة عمداء كليات الحقوق العربية فى أبريل من هذا العام (١٩٧٣) ودعت هذه الندوة الى أن تكون دراسة القانون مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية كخطوة

أولى نحو اقامة فقه قانونى ، على أصول الشريعة ومبادئها .
والمرجع المصرى حين وضع القانون المدنى ، أراد أن يربط رجال القانون
بالشريعة فنص فى المادة الاولى من القانون المدنى على أنه :
١ - تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص
فى لفظها أو فى فحواها .

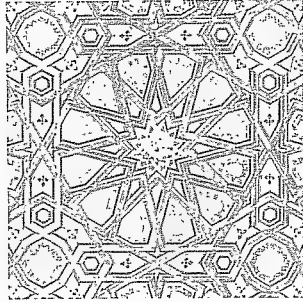
٢ - فإذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه ، حكم القاضى بمقتضى العرف ،
فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية ، فإذا لم يوجد ،
فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

وكتب الدكتور عبد الرزاق السنهورى - واضع القانون المدنى المذكور -
معلقا على هذه المادة فى كتابه « الوسيط فى شرح القانون المدنى » فقال :

« جعل الشريعة الإسلامية هى الأساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا
لا يزال أمنية من أعز الإيمان التى تختلج بها صدور ، وتنطوى عليها
الجوانح . ولكن قبل أن تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة ، ينبغى أن تقوم
نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية فى ضوء القانون المقارن ، ونرجو
أن يكون من وراء جعل الاسلام مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد
ما يعاون على هذه النهضة » .

والقى السيد ابو الاعلى المودودى امير الجماعة الإسلامية بباكستان
محاضرة فى ١٩٤٨/٢/٩ فى كلية الحقوق بلاهور (باكستان) بناء على دعوة
من أساتذتها وطلابها ، وقد حضرها عدد غير يسير من المحامين .

قال سيادته فى هذه المحاضرة والتى نشرت ضمن رسالة بعنوان « القانون
الاسلامى وطرق تنفيذه » قال « ان التعليم الذى يناله الطلبة اليوم فى كلياتنا
الحقوقية لا طائل تحته ، ولا يكاد يغنى من جوع بوجهة نظرنا لأن الذين
يتخرجون فى هذه الكليات ، يجهلون الاسلام وقانونه جهلا تاما ، ولا يكون لهم
أدنى اتصال به ، بل تتبدل عقليتهم وتصطبغ بصبغة الافكار والنظريات غير
الاسلامية ، ولا يتربون الا على صفات هى أنفع ما يكون لتنفيذ القوانين
الفربية ، وأردا ما يكون لتنفيذ القانون الاسلامى ، ولا يدخلون معركة الحياة
العملية الا بها فما دمنا لا نغير هذا الوضع المزرى ، ولا نهتم بأن نخرج فى
كلياتنا الحقوقية فقهاء حسب ميزاننا ومقياسنا ، لا يمكن أن يوجد عندنا رجال
يجدرون بأن تناط بهم وظائف القضاء والافتاء فى محاكم الدولة الإسلامية » .
(عن الاعتصام القاهرية)



بأقلام القراء

المرأة والهجرة

اشرك الاسلام المرأة فى حياة الرجل وجهاده لتكوين له سنداً وركيزة ،
فكانت خير رفيق ونعم شريك وسند للحق وشاركت فى الهجرات الآتية :

هجرة الحبشة :

رقية بنت الرسول أولى المهاجرات صحبت زوجها عثمان بن عفان رضى
الله عنهما .
أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة رافقت زوجها ابا سلمة بن عبد الأسد بن
هلال .

ليلى بنت أبى حنمة شاركت زوجها عامر بن ربيعة .

بيعة العقبة الثانية :

كانت صحبة وفد الانتصار من يثرب الى المدينة والبالغ عدده ٧٣ امرأتان
هاجرتا لتبايعا الرسول عليه السلام وهن :

نسبيت بنت كعب أم عمارة من بنى مازن النجار .

أسماء بنت مروام منيع من بنى سلمة .

الهجرة الكبرى الى المدينة :

تأزمت الأمور وزاد الطفيان عن حده حتى وصل الى حد التآمر واغتيال
الرسول فأتى أمر إسماء بالهجرة الكبرى من مكة الى يثرب مدينة الرسول .
ويكفى دور المرأة أن تقوم أسماء بنت أبى بكر بدور التمهين والمخابرات
للمهاجرين الكريمين الرسول عليه السلام وأبى بكر رضى الله عنه فى غار
حراء .

وقد اضطرت أسماء يوماً أن تعلق الزاد بالرحل فلم تجد ما تربطه به
فنزعت نطاقها فشقته وربطت بنصفه الزاد وانتطقت بالثانى فلقبها الرسول عليه
أفضل الصلاة والسلام بذات النطاقين .

محمد لطفى عيسى — القاهرة

الخدمة فى المناطق النائية

هى واجب اسلامى ووطنى ولكن هل يعنى الواجب من النظام والعدل
والمساواة بين الناس واختيار القواعد التى تؤدى الاهداف السابقة .
ومن هذه القواعد العمل فى بداية الوظيفة حين يكون الموظف خفيف الظل ،
فاذا انتهت المدة المفروضة عليه كان من حقه أن يذهب الى حيث يرغب .
ويليه من لم يقض مدة اغتراب من قبل فى المناطق النائية .

ويليه من يريد السفر الى الخارج فى الدول التى يتهافت الناس عليها ولا
يتم اخراج العدد المطلوب الا بامتحان . . ليتهم يشترطون عليه (قبل أن يخرج)
مدة مماثلة فى منطقة نائية بدلاً من هذا الامتحان .

العظم شرط فى نيل اللحم والجهرة مع التمرة — أو يؤخذ اليها اقرب الناس
مكاناً ليؤدى المدة ثم يعود . . أو يلجأون الى نظام المأموريات والانتدابات .

ويعنى من تجاوز سن الخمسين .
 والمهم أن ينفذ العدل وأن تطبق القوانين فوق رأس الجميع وأن يستوى
 الناس فى الخضوع لها فلا تكون هناك طبقة محظوظة تستطيع الهرب فى اللحظة
 المناسبة من المشقات التى يتعرض لها السواد الأعظم بالتماس واسطة أو طلب
 شفاعة أو دفع رشوة فهذه معرة كانت فى الأمم السابقة وأهلكتها كما ورد فى
 الحديث الشريف المروى عن عائشة وفيه أن أسامة شفع لأمراة مخزومية سارقة
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا
إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله
لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها « متفق عليه » .
 فالشرائع والقوانين لا بد لها من حراس أشداء يدافعون عن الفضائل
 ويحمون الأمة والمجتمع من عوامل الحقد بين الناس وعدم الثقة فى القوانين وفيمن
 يطبقونها ويبقون الايمان بالمثل العليا حيا فى الأئمة والقلوب بدلا من أن تنتقل
 إلى متحف التاريخ ..

عبد الرحمن احمد شادى

من التعصبون

رغم كل المحاولات التى بذلت طوال السنوات الماضية من أجل صرف الناس
 عن دينهم وامانتهم فى صدورهم ، فوجيء العالم أجمع أن المقاتل العربى وهو يجتاز
 خط الهزيمة يرفع صوته بصرخة (الله أكبر) ولقد كانت هذه الكلمة تعلو على
 ازيز الطائرات على حد تعبير احدى الوكالات الأجنبية — ولقد أدرك الجيش
 الاسرائيلى المتهور أنه أمام مقاتل عربى جديد ، غير ذلك الذى عرفه هاربا من
 ميدان القتال .

وحقا لقد كانت كلمة الله أكبر تعلو على هدير المدافع ورددتها أصدا
 الصحراء ، واننا لندرجو أن ترتفع هذه الكلمة عمليا على كل ربوع العالم الاسلامى
 وأن يعود هذا العالم الى الله باخلاص وصدق .

ومن العجيب أن بعض الوكالات الأجنبية ادعت أن رفع شعار الله أكبر
 فى المعركة الأخيرة يدل على التعصب الدينى لدى الجوع المقاتلة ، ومن
 الأعجب أن نرى بعض الكتاب يحاول أن ينفى هذه الصفة وكأننا يشفق ويخاف
 من أن يقال إن العرب متعصبون للحق وعاملون على استرداده ، فيقول إن كلمة
 الله أكبر ردها المسلم والمسيحى فأين التعصب الدينى ؟ ! ثم يضيف على صفحات
 مجلته التى يرأس تحريرها « نحن جتى لا نحارب المعتدى الصهيونى باسم الدين —
 وهو قوام الكيان الصهيونى — ولكن فى سبيل تحرير أرضنا المغتصبة » .

فهو يقر أن اسرائيل قائمة على التعصب الدينى ، ومع ذلك فلا نرى صحيفة
 واحدة فى العالم تقول ان اسرائيل دولة متعصبة دينيا ، اما نحن اذا رفعنا شعار
 الله أكبر وهى مجرد كلمة نرجو أن تتحقق الى واقع عملى ، رمينا بالتعصب وقيل
 لنا إننا متعصبون .

ان الكيان الصهيونى لا يستهدف مصر وحدها ولا حتى العالم العربى بأجمعه
 بل إنه يعمل على تدمير العالم الاسلامى كله وتحطيم العقيدة الاسلامية فى نفوس
 أبنائه ويجب الاعداد لسحق اسرائيل المعتدية كلية ، ولن يتم القضاء على
 اسرائيل الا بعد أن نعد انفسنا بمثل ما تقيم عليه اسرائيل دولتها .

خليل محارب السويركى

الجمهورية العربية السورية

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

القاهرة : قررت لجنة السنة النبوية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر اصدار موسوعة للأحاديث النبوية مع شرحها وبيان الأحاديث المنسوبة للرسول خطأ .

● عرض فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود على سمو أمير دولة قطر مشروعاً بإنشاء كلية للشريعة الإسلامية في قطر . . وقد وافق سمو الأمير على المشروع .

● قرر مجمع البحوث الإسلامية اصدار دائرة معارف قرآنية ومعانيه اللغوية المبسطة مع معجم تاريخي وجغرافي مبسط يشمل خرائط رصد الأماكن والمعالم الأثرية الواردة في القرآن الكريم .

□□□□

السعودية : أكد جلالة الملك فيصل في حديث أذاعه راديو الرياض أنه ليس لليهود أية علاقة أو حق بأن يكون لهم وجود أو سلطة أو تصرف في مدينة القدس . ولا صحة لما يدعيه اليهود من وجود هيكل سليمان في مدينة القدس لأن الرومان عندما استولوا على المدينة نقلوا الهيكل منها .

● بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام مليوناً ومائة وثلاثة وعشرين حاجاً تقريباً .

● عقد بالسعودية مؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية ، واتخذ المؤتمر قراره بإنشاء بنك إسلامي للتنمية يكون مقره جدة ، وتشكلت لجنة

الكويت : أدى سمو أمير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى المبارك بمسجد السوق الكبير .

● بعث سمو أمير البلاد ببرقيتي تهنئة بالعيد الى رجال القوات المسلحة الكويتية المرابطين على خط النار في سورية ومصر . . وقد أذاع نص البرقيتين راديو الكويت .

● أدلى وزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : اننا عندما أقدمنا على اتخاذ قرار وقف الضخ أخذنا بالحسبان كل الاحتمالات المرتقبة وقال : ان التهديدات ما كانت يوماً لتخيف العرب فنحن أمة جبلت على الشجاعة .

● بحث وزير الاوقاف والاعلام الباكستاني مع المسؤولين مراحل الاستعداد لمؤتمر القمة الاسلامي المتوقع عقده في باكستان في الشهر القادم .

● زار البلاد وفد من كينيا برئاسة نائب وزير المالية ورئيس الجالية الإسلامية في كينيا ، ومما يذكر أن كينيا قطعت علاقتها بإسرائيل مؤازرة للعرب .

● نظمت ادارة النشاط الثقافي بوزارة التربية مسابقات لطلاب وطالبات المدارس الثانوية وما في مستواها ومن موضوعات المسابقة التضامن العربي خلال عام ١٩٧٣ ودور الكويت فيه .

● زار الكويت الرئيس الصومالي محمد زيادي برى بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام .

للنبع الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

● أخبار متفرقة ●

باكستان : أعلنت باكستان أنها تستعد لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية فى مدينة « لاهور » .
● قال السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان : ان هناك اليوم من المغرب على المحيط الأطلسى الى أندونيسيا على المحيط الهادى رغبة متجددة ومعززة لتحرير العالم الإسلامى من ربقة السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية .
● أعلن وزير الحج والأوقاف والاعلام الباكستانى أن (٦٠٠٠٠) باكستانى أدوا فريضة الحج هذا العام .

□□□□

أندونيسيا : بلغ عدد المصاحف التى طبعت فى أندونيسيا خلال السنوات الثلاث الماضية حوالى ١١ مليوناً ونصف مليون مصحف الى جانب ٣٠٠ كتاب اسلامى باللغة الأندونيسية .

□□□□

نيجيريا : ستقام بنيجيريا محطة اذاعة إسلامية ، وهى أول اذاعة اسلامية تقام فى جنوب الصحارى بأفريقيا .

● تكونت الرابطة الإسلامية بنيجيريا لتنسيق وتدعيم النشاط الذى يقوم به الهلال الأحمر ، وجعله متمشياً مع العقيدة الإسلامية وفى خدمة الدعوة الإسلامية .

□□□□

غينيا : قررت غينيا تدريس اللغة العربية فى مختلف مراحل التعليم بنفس القدر الذى تدرس به اللغة الغينية المحلية ، وذلك خدمة للغة القرآن حتى يتمكن المسلمون من تفهم دينهم .

تحضيرية لانشاء البنك برئاسة السيد تنكو عبد الرحمن .

ووافق المؤتمر على عقد مؤتمر سنوى لوزراء مالية الدول الإسلامية وزعت وزارة المعارف مجموعة كبيرة من الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية على رابطة معلمى اللغة العربية والاتحاد الإسلامى بداركار بالسينغال . وذلك مساهمة منها فى نشر الدين الإسلامى واللغة العربية فى أفريقيا .

□□□□

أبو ظبى : قرر مجلس وزراء « أبو ظبى » المساهمة فى انشاء المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم بمبلغ مليون جنيه .

□□□□

الأردن : قررت الأردن المشاركة فى رأسمال البنك الإسلامى للتنمية بمبلغ ٢٩٠ ألف جنيه .

● بلغ عدد الخريجين من دار القرآن فى « عين جنة » بلواء عجلون ٦٠ طالباً وقد وزع وكيل وزارة الأوقاف الشهادات على الخريجين .

□□□□

الجزائر : أعلنت وزارة التعليم الأولى والشئون الدينية أن الملتقى الثامن للفكر الإسلامى سينعقد فى « بجاية » من الفاتح الى الثانى عشر من ربيع الأول ١٣٩٤ هـ .

□□□□

المغرب : افتتح وزير الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافة مسجداً جديداً فى « بنى كرار » .

● قررت وزارة التربية الوطنية تعريب كلية الآداب والعلوم الإنسانية فى جميع أقسام العلوم الإنسانية .
● صدر العدد الأول من مجلة « التضامن » .. ومن أهداف المجلة مواصلة الدعوة الى فكرة التضامن الإسلامى ، وابرار شئون العالم الإسلامى ، والدعوة الى الرجوع

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحاي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفروي						المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						يناير ١٩٧٤		محرم ١٣٩٤		أيام الأسبوع
عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س د	عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س د	س د	س د	س د	س د	
١	٢١	٩	٤٠	٦	٤٢	١	٢٣	١١	٥٢	٦	٣٩	١	٢٤	١	الخميس	
٢١	٤٠	٤١	٢٢	٥١	٣٩	١٨	٥٨	٠٠	٤١	٩	٢٥	٢	٢٥	٢	الجمعة	
٢١	٤٠	٤١	٢١	٥٠	٤٠	١٩	٥٩	٠٠	٤٠	٩	٢٦	٣	٢٦	٣	السبت	
٢١	٤٠	٤٠	١٩	٤٨	٤١	٢٠	٠٣	٠٠	٤٠	٩	٢٧	٤	٢٧	٤	الاحد	
٢١	٣٩	٣٩	١٨	٤٧	٤٢	٢١	٠٠	٠٠	٣٩	٨	٢٨	٥	٢٨	٥	الاثنين	
٢١	٣٩	٣٩	١٧	٤٦	٤٣	٢٢	١	١	٣٩	٨	٢٩	٦	٢٩	٦	الثلاثاء	
٢٠	٣٩	٣٨	١٥	٤٥	٤٣	٢٣	٢	١	٣٨	٨	٣٠	٧	٣٠	٧	الأربعاء	
٢٠	٣٩	٣٧	١٤	٤٤	٤٤	٢٤	٣	١	٣٨	٧	٣١	٨	٣١	٨	الخميس	
٢٠	٣٩	٣٧	١٣	٤٣	٤٤	٢٤	٣	١	٣٧	٧	٣١	٩	٣١	٩	الجمعة	
٢٠	٣٩	٣٦	١٢	٤٢	٤٥	٢٥	٤	١	٣٧	٧	٣١	١٠	٣١	١٠	السبت	
٢٠	٣٩	٣٥	١٠	٤٠	٤٦	٢٦	٥	١	٣٦	٦	٣١	١١	٣١	١١	الاحد	
٢٠	٣٨	٣٥	٩	٣٩	٤٧	٢٧	٥	٢	٣٦	٦	٣١	١٢	٣١	١٢	الاثنين	
٢٠	٣٨	٣٤	٧	٣٧	٤٨	٢٨	٦	٢	٣٥	٥	٣١	١٣	٣١	١٣	الثلاثاء	
٢٠	٣٨	٣٣	٦	٣٦	٤٨	٢٩	٧	٢	٣٥	٥	٣١	١٤	٣١	١٤	الأربعاء	
٢٠	٣٨	٣٢	٤	٣٤	٤٩	٣٠	٧	٢	٣١	٤	٣١	١٥	٣١	١٥	الخميس	
١٩	٣٧	٣٢	٣	٣٣	٥٠	٣٠	٨	٢	٣٣	٣	٣١	١٦	٣١	١٦	الجمعة	
١٩	٣٧	٣١	١	٣١	٥٠	٣١	٨	٢	٣٢	٢	٣١	١٧	٣١	١٧	السبت	
١٩	٣٧	٣٠	٠٠	٣٠	٥١	٣٢	٩	٢	٣٢	٢	٣١	١٨	٣١	١٨	الاحد	
١٩	٣٧	٢٩	٢٥	٢٨	٥٢	٣٣	١٠	٢	٣١	١	٣١	١٩	٣١	١٩	الاثنين	
١٩	٣٧	٢٩	٥٧	٢٧	٥٣	٣٤	١٠	٢	٣١	٠٠	٣١	٢٠	٣١	٢٠	الثلاثاء	
١٩	٣٦	٢٨	٥٥	٢٥	٥٣	٣٤	١١	٢	٣٠	٥٩	٣١	٢١	٣١	٢١	الأربعاء	
١٩	٣٦	٢٧	٥٣	٢٣	٥٤	٣٥	١١	٢	٢٩	٥٨	٣١	٢٢	٣١	٢٢	الخميس	
١٩	٣٦	٢٦	٥٢	٢٢	٥٥	٣٦	١٢	٢	٢٨	٥٨	٣١	٢٣	٣١	٢٣	الجمعة	
١٩	٣٦	٢٥	٥٠	٢٠	٥٦	٣٧	١٣	٢	٢٧	٥٧	٣١	٢٤	٣١	٢٤	السبت	
١٩	٣٥	٢٥	٤٨	١٨	٥٧	٣٨	١٣	٢	٢٦	٥٦	٣١	٢٥	٣١	٢٥	الاحد	
١٨	٣٥	٢٤	٤٧	١٧	٥٧	٣٨	١٤	٢	٢٥	٥٥	٣١	٢٦	٣١	٢٦	الاثنين	
١٨	٣٥	٢٣	٤٥	١٥	٥٨	٣٩	١٤	٢	٢٤	٥٤	٣١	٢٧	٣١	٢٧	الثلاثاء	
١٨	٣٥	٢٢	٤٣	١٣	٥٨	٤٠	١٥	٢	٢٣	٥٣	٣١	٢٨	٣١	٢٨	الأربعاء	
١٨	٣٤	٢١	٤١	١١	٥٩	٤١	١٥	٢	٢٢	٥٢	٣١	٢٩	٣١	٢٩	الخميس	
١٨	٣٤	٢٠	٤٠	١٠	٥٩	٤١	١٦	١	٢١	٥١	٣١	٣٠	٣١	٣٠	الجمعة	

السيدة خديجة

● الأم الأولى للمؤمنين هي السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد القرظية الأسدية من أكرم عقائل قريش وأرفع بيوتاتها ، وكان لقبها في الجاهلية « الطاهرة » .

● تزوجت من أبي هالة بن زرة التميمي ، وبعده اقترنت بعتيق بن عائذ المخزومي .

● كانت غنية تستثمر أموالها في التجارة ، وتستعين بمن تثق من الرجال في تجارتها ، استعانت (بمحمد) صلى الله عليه وسلم ، وأرسلت برفقته خادمها ميسرة ، ولما عاد أسرع إلى سيدته وأخبرها بما حققه محمد من ربح عظيم ، وبما رآه من صدقه وأمانته ، فبعثت إليه تعرض عليه الزواج منها .

● تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها أربعون سنة ، وكان في سن الخامسة والعشرين ، وأقامت معه خمساً وعشرين سنة ، وواسته بنفسها ومالها ، وكانت أول من آمن به ، فلم ير زوجان أسعد بيتاً ولا أصدق وفاء من محمد رسول الله وزوجه خديجة أم المؤمنين ، أنجبت له كل أولاده إلا إبراهيم ، وكانوا ستة هم ، القاسم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة وعبد الله ، وكلهم توفي قبله إلا فاطمة فانها انتقلت إلى جوار ربها بعده بستة أشهر .

● وارتحلت خديجة إلى الرفيق الأعلى وهي في الخامسة والستين ، ودفنت بالحجون ، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم في حفرتها وحزن عليها حزناً شديداً ، ولم ينس لها وفاءها وإخلاصها طول حياته . رضى الله عنها وأرضاها وجزاها عنا خير الجزاء .

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمدن التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

- | | | |
|---|---|-------------------|
| القاهرة : | شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة . | مصر : |
| الخرطوم : | دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . | السودان : |
| طرابلس الغرب : | دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . | ليبيا : |
| بنغازى : | مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . | |
| مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا . | | تونس : |
| الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى . | | المغرب : |
| بيروت : | الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . | لبنان : |
| مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . | | عدن : |
| عمان : | وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥) . | الأردن : |
| جدة : | مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . | السعودية : |
| الرياض : | مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . | |
| الخبر : | مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . | |
| الطائف : | مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . | |
| مكة المكرمة : | مكتبة الثقافة . | |
| المدينة المنورة : | مكتبة ومطبعة ضياء . | |
| بغداد : | وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . | العراق : |
| المكتبة الوطنية : | شارع باب البحرين . | البحرين : |
| الدوحة : | مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) . | قطر : |
| شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . | | أبو ظبى : |
| مطبعة دبی | | دبی : |
| مكتبة الكويت المتحدة . | | الكويت : |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

- الهجرة بين ماضينا وحاضرنا ... للدكتور محمد بيسار ... ٤
- نظرات في سورة الأنعام ... للشيخ محمد الفزالي ... ٨
- مشكلات الفواصل (٢) ... للدكتور علي محمد حسن ... ١٦
- نصر الله المؤمنين ... للدكتور محمد البهي ... ٢٢
- أسباب الهجرة ... للدكتور أحمد الحجى الكردى ... ٢٩
- الحاجة الى تقويم هجرى موحد ... للدكتور محمد عبد الرؤوف ... ٣٤
- أهمية القدس قديما وحديثا ... للشيخ عبد الحميد السائح ... ٤٠
- نحو اقتصاد اسلامى ... للدكتور ابراهيم فؤاد أحمد ... ٤٩
- يا بنى ... للاستاذ أحمد محمد جمال ... ٥٣
- اليهود وتأمرهم فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ... للدكتور محمود محمد زيادة ... ٦٠
- أم معبد ٦٨
- من حديث النصر فى القرآن الكريم ... للدكتور محمد الدسوقي ... ٧٠
- الخير وموقف الاسلام منها ... للاستاذ عبد الكريم الخطيب ... ٧٧
- عوامل التربية فى الاسلام ... للاستاذ على القاضى ... ٨٥
- سيادة الدولة أو الأمة فى ظل الاسلام ... للدكتور وهبة الزحيلي ... ٩١
- عبد الله بن عمر ... للاستاذ محمد شوكيت التونى ... ٩٨
- المائدة ١٠٦
- الركب المبارك (قصة) ... للاستاذ محمد الجذوب ... ١٠٨
- مكتبة المجلة ... اعداد الاستاذ عبد الستار فيض ... ١١٥
- الفتاوى ١١٦
- بريد الوعى ... اعداد عبد الحميد رياض ... ١١٩
- قالت الصحف ١٢٢
- بأقلام القراء ١٢٥
- الاخبار ... اعداد الاستاذ فهى الامام ... ١٢٧
- مواقيت الصلاة ١٢٩
- أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله عنها .. ١٣٠